احسان هندي

- اجازة في الحقوق
- اجازة في الآداب - قسم التاريخ

الحياة العسكرية عند العرب

أو

الجيش العربي في ألف عام

٥٠٠ - ١٥٠٠ م

دراسة تأريخية - عسكرية لنظم التعبئة وفنون القتال والاسلحة
عند العـرب منذ الجاهلية وحتى الفتح
العثمـانـي

مطبعة الجمهورية بدمشق

إحسان هندي
- اجازة في الحقوق
- اجازة في الآداب - قسم التاريخ

الحياة العسكرية عند العرب

أو

الجيش العربي في ألف عام

٥٠٠ - ١٥٠٠م

دراسة تأريخية - عسكرية لنظم التعبئة وفنون القتال والاسلحة
عند العــرب منذ الجاهلية وحتى الفتح
العثمــــــاني

مطبعة الجمهورية بدمشق

الحياة العسكرية عند العرب

الاهـداء

الى الجيش العربي الموحد ، جيش الانطلاقة العربية الجديدة .

★ ★ ★

أهديك من أدب السياسة ما به — كانت ملوك العرب قبلك تولع
لا انني أدرى بهـا لكنهـا — ذكرى تحض المـؤمنين وتنفـع
البس من الحلق المضاعفة التي — وصى بها صنع الصـنائع تبع
والهنـدواني الرقيق فانـه — أمضى على حـد الدلاص وأقطع
واركب من الخيل السوابق عدة — حصنا حصينا ليس فيـه مدفع
خنـدق عليك اذا ضربت محلة — سـيان تتبع ظافرا أو تتبـع
واجعل مناجزة العـدو عشـية — ووراءك الصدق الذي هو أمنع
واذا تضايقت الجيوش بمعرك — ضنك فأطراف الرماح توسـع
واصـدمه أول وهلة لا تكترث — شـيئا فاظهار النكول يضعضع
واجعل من الطلاع أهل شـهامة — للصدق فيهم شـيمة لا تخـدع

(من قصيدة للشاعر ابي بكر الصيرفي ينصح بها الملك المغربي « ابن تاشفين » بعض النصائح في فنون الحرب) .

★ ★ ★

مقدمة

– لا يزال عدد الكتب التي ألفها العلماء الاجانب في فنون الحرب عند العرب ، يفوق بنسبة كبيرة ما ألفه الكتاب العرب المعاصرون في هذه المواضيع، بل بوسعنا أن نقول ، ان أجدادنا قد أغنوا خزائن الكتب العربية بكثير من المخطوطات في هذا المضمار ، وهو الامر الذي لم نرثه نحن عنهم بكل أسف • وبوسع الباحثين والمؤرخين منا ، اذا رغبوا عن التأليف في هذا المضمار ، أن يحققوا ، على الاقل ، المخطوطات التي ألفها قدماء العرب في فن الحرب ، والتي يزيد عددها عن الالف مخطوط موزعة حاليا على المكتبات العامة في اسطنبول وباريس ولندن وصوفيا وبرلين ولينينغراد وأوكسفورد والاسكوريال والقاهرة ، وقد ذكرت في آخر كتابي هذا أسماء حوالي مائة من هذه المخطوطات مع امكنتها ليتسنى الرجوع اليها واخراجها الى حيز الوجود •

– كما والملاحظ أن مدارسنا العسكرية الآن تدرس لطلابها خطتي معركتي (كانيا) و (أرابيلا) كنموذج للخطط العسكرية الناجحة ، في الوقت الذي نجد به خطط القائد العربي خالد بن الوليد على درجة من المهارة تفوق خطتي هاتين المعركتين بمراحل شاسعة ، ولا يظنن أحد أني أبالغ في قولي هذا تعصبا للعرب ، اذ أن الماريشال الالماني « فون دركولتز » قال قبلي بزمن طويل : « ان خطة خالد بن الوليد في معركة اليرموك كانت خطة ما عرف التاريخ الحربي أروع منها ولا أوفى » •

– وحبا في تلافي مثل هذا النقص ، ركبت هذا المركب الصعب بتأليفي هذا الكتاب، محاولا أن أسد به ما أتمكن من سده ، حيث أن البحث في مثل هذه المواضيع واسع ومعقد ولو أراد الكاتب أن يفيه كل حقه لاحتاج

الى عدة مجلدات ، يختص كل منها بفصل من الفصول التي تحدثت عنها هنا .

ـ واني اذ أقدم كتابي هـــذا ، آمل أن أكون قــد أديت قســطا من واجبي في تأريخ ذلك العهد المشرق الذي قال عنه المؤرخ الهندي « سيد أمير علي » : « اني محاول في الصفحات التي تلي أن أقص تاريخ عهد من أعظم عهود التاريخ ، ومن المؤكد أن تاريخ العرب في تبســيطه وحضــارته وأثره الثقافي والاجتماعي لا مثيل له في تاريخ أمة من الامم ، الا ما كان من الرومان ... ولكن الرومان احتاجوا الى أجيال ليصبحوا أمة تسيطر على العالم ، وأما العرب فقد سيطروا عليه في سنوات معدودات » .

والله من وراء القصد دوما .

المؤلف

دمشق في ١ / ٥ / ١٩٦٤

منهج البحث

لقد بدأت بالتفكير في موضوع الحياة العسكرية عند العرب منذ أن كنت أعمل في متحف دمشق الحربي في أواخر سنة ١٩٦١ ، حيث ابتدأت بمراجعة الكتب والنشرات الخاصة بالمكاتب والمتاحف الحربية في العالم ، وكنت بالوقت نفسه أتتبع آثار بعض المخطوطات التي ألفها العرب القدماء في فن الحرب والتي هي موزعة في أكثر من عشرة متاحف ومكتبات عالمية اليوم ·

وفي سبيل الحصول على المعلومات اللازمة لهذا الكتاب ، لم أضن بجهد أو بمال ، فقد راسلت عددا من المتاحف والمكتبات والمعاهد ، وحصلت على صور بعض المخطوطات ، كما ورجعت الى عدد كبير من الكتب المطبوعة التي تبحث في هذا الموضوع سواء كانت عربية ، قديمة أم جديدة ، أو أجنبيـة ألفها المستشرقون باللغتين الفرنسية والانكليزية ، وقـد ذكرت أهم هـذه الكتب في الملحق الخاص بمراجع البحث في نهاية الكتاب ·

وبما أن الموضوع واسع جدا ولذا حصرت اهتمامي بما له علاقة وثقى بالحياة العسكرية حسب مفهومنا لها في هذا العصر فبحثت أولا في « نشـأة الجيش العربي وتطوره » ثم في « الميزات القتالية للجندي العربي القديم » ثم في « الشؤون الادارية » و « الالبسة والشـعارات والرايات » ثم انتقلت بعد ذلك الى بحث الاسلحة من دفاعية ، وهجومية فردية ، ثـم الاسـلحة الجماعية ، وصنوف الجيش العربي · وبعد ذلك بدأت في بحث الحرب عند العرب فذكرت شيئا عن « شريعة الحرب عندهم » و « التدابير الدائمـة للدفاع عن الدولة العربية » و « التدابير التحضيرية للقتال الهجومي » ثم

« المعركة الهجومية عند العرب » وأنهيت البحث بذكر لمحة عن « أشهر قادة الحرب العرب » ٠

وبالاضافة الى هذه الابحاث وضعت بعض الملاحق التي تتعلق بالموضوع للرجوع اليها في حال الرغبة بزيادة الاطلاع ، ويسعدني أن انوه هنا ، بين جميع هذه الملاحق ، بالملحق الخاص بأهم المخطوطات العربية التي ألفها العرب القدماء في فنون الحرب وأماكن وجودها ، لان الملحق المذكور قد كلفني مدة تزيد عن الستة أشهر في البحث والاستقصاء ٠

هذا ولم أتعرض لتحليل المعارك العسكرية التي خاضها العرب بشكل مفصل ، لاني أنوي التعرض لهذه المعارك بشكل مستقل في المستقبل ، وذلك بتأليف كتيب صغير عن كل معركة من هذه المعارك بعد زيارتي لمكان حدوث المعركة وتحقيق المعلومات التاريخية على أرض المعركة نفسها ، فأرجو من الله ، ومن اخواني الذين يهمهم السير في هذا المشروع ، مساعدتي في تحقيقه بأقرب وقت ٠

المؤلف

★ ★ ★

الفصل الأول

نشأة الجيش العربيّ وتطوّره

ان تطور الجيش عند العرب ، منذ عهد الجاهلية حتى زوال الخلافة العباسية ، هو نموذج لتطور بقية نظم الدولة العربية ، فكما ازدهر النظام الاداري ، وتشعب وتعقد في هذه الفترة ، نجد النظام العسكري قد تعرض للتطور نفسه ، فالجيش العربي الذي كان مؤلفا من المتطوعة فقط في صدر الاسلام أصبح يتحتم عليه ، تمشيا مع سنة التطور ، أن يخضع لانظمة جديدة منها استبدال التطوع بالخدمة الاجبارية ، وادخال تعديلات كبيرة على طرق التعبئة والشؤون الادارية .

ففي عهد الجاهلية لم يكن عند العرب نظام خاص للجند ، لانهم كانوا يعيشون عيشة البداة الاوائل على شكل قبائل متفرقة تنفرد كل منها بمكان خاص ، فاذا اضطرت واحدة من هذه القبائل للاشتباك مع أخرى ، أخذا لثأر أو دفاعا عن مصلحة ، فانها كانت تستنفر رجالها ، فيذهب هؤلاء الى المعركة بقيادة أميرهم أو أشجعهم ، ويقاتلون بالاسلحة التقليدية التي كانت سائدة في ذلك الوقت (وهي السيف والرمح والقوس) ، حتى اذا انتهى القتال ، عاد أبناء كل قبيلة الى مساكنهم وانصرفوا الى أعمالهم .

وأما صنوف الجيش في العهد الجاهلي ، فقد اقتصرت على الصنفين التقليديين أيضا وهما المشاة والفرسان ، ولو أنه كان يوجد بين الفرسان أحيانا عدد من راكبي الجمال (الهجانة) .

ولكن يجب أن ننوه هنا بأن بعض قبائل الجاهلية التي أسست لنفسها دولا مستقلة أو شبه مستقلة ، كانت متقدمة في الثقافة الحربية ونظم الجندية الى درجة ليست بالقليلة ، وبخاصة دولة اليمن في جنوب الجزيرة العربية، ودولة الغساسنة في الشام ، ودولة المناذرة في الحيرة حيث يحدثنا المؤرخون انهـا كانت تضم كتيبتين مقاتلتين ، احداهما تدعى « الشهباء » ، والاخرى « الدوسر » [1] .

ولكن فقدان نظم الجند ، أو ضعف هذه النظم ، عند قبائل العرب ، لم يكن ليمنعها من التكاتف لرد الغزوات الخارجية التي كانت تهددها ، وغالبا ما كانت هذه القبائل تقهر أعداءها المعتدين كما حصل في معركـــة « الفيل » [2] التي انتصر فيها أهل الحجاز على الاحباش في أواسط القرن السادس بعد الميلاد ، وبمعركة « ذي قار » التي انتصر فيها المناذرة عـلى الفرس سنة ٥٨٤ م [3] .

---

(١) جاء في كتاب « الفن الحربي في صدر الاسلام » لمؤلفه عبد الرؤوف عون ، أن الشهباء كتيبة عربية والدوسر كتيبة فارسية ، وهو رأي لا نقره عليـــه لان الكتيبتين كانتا عربيتين قلبا وقالبا .

(٢) جاء ذكرها في القرآن الكريم في « سورة الفيل » ــ ١ .

(٣) كان لهذه المعركة تأثير كبير في رفع معنويات العرب ، وقد تغنى بها شعراؤهم كثيرا ، ومن هذا القبيل ما قاله أبو تمام مخاطبا يزيد بن مزيد الشيباني ، أحد أبطال ذي قار :

أولاك بنـو الافضـال لولا فعالهـم	درجن فـلم يوجد لمكرمــة عقب
لهـم يوم ذي قار مضى وهو مفرد	وحيد من الاشباه ليس له صحب
بـــه علمت صهب الاعاجم أنـــه	بـــه أعربت عن ذات أنفسها العرب
هو المشهد الفرد الذي ما نجا به	لكسرى بن كسرى لا سنام ولا صلب

وما ان بزغ فجر الاسلام حتى تغيرت الحال ، فحلت العصبية الدينية في عهد الرسول (ص) وخلفائه محل العصبية القبلية ، واتحد جميع المسلمين بجامعة الدين لمحاربة أعدائهم في سبيل نصرة العقيدة الجديدة .

وقد جاء القرآن الكريم بآيات كثيرة تحض على الجهاد ، وتنظم أسسه، كما تجلت في الوقت نفسه عبقرية الرسول والصحابة في القيادة والتنظيم العسكري ، فابتدأ المسلمون ، تحت تأثير جميع هذه العوامل ، يأخذون شكل (الجيش النظامي) الذي كان المهاجرون أول نواة له ، قبل أن ينضم اليهم الانصار بعد الهجرة . وبدأ عدد الجيش بالتزايد بين يوم وآخر بمن كان يعتنق الاسلام من قبائل العرب ، ففي غزوة بدر كان عدد المسلمين **٣١٣** رجلا فيهم فارسان [١] ، وفي غزوة أحد سنة ٣ هـ (٦٢٤ م) أصبح عددهم (٧٠٠) رجل بينهم (١٠٠) دارع [٢] ، وارتفع العدد في غزوة مؤتة الى (٣٠٠٠) مقاتل ، ثم الى (٣٠٠٠٠) منهم (١٠٠٠٠) فارس في غزوة حنين سنة ٨ هـ (٦٢٩ م) .

وتابع الجيش العربي الاسلامي تزايده بالفتح والغزو وبمن كان ينضم الى حظيرة الاسلام من قبائل العرب داخل الجزيرة العربية ، حتى اذا ما أصبح الجيش من القوة بمكان ، في أواخر عهد أبي بكر ، زحف على الشام والعراق ففتحهما ، ثم فتح مصر وأفريقية في عهد الخليفة الثاني عمر ، وامتدت الزحوف في عهد الخليفة عثمان الى المغرب ، والى ارمينية وبلاد القفقاس ، بعد انهاء فتح فارس وخراسان .

وانقسم المسلمون في الامصار التي فتحوها الى أجناد ، كل جند يقيم في محطة خاصة به ، وكان جند كل محطة ينقسم باعتبار البطون والقبائل ،

---

(١) جاء في السيرة الحلبية ج ٢ - ص ١٩٤ ان عدد المسلمين الذين اشتراكوا بموقعة بدر كان (٣٠٥) رجال فيهم حوالي ثمانين من المهاجرين والباقي من الانصار .

(٢) تاريخ الكامل لابن الاثير - ج ٢ - ص ٥٧ .

فكانت محطة البصرة مثلا تضم خمسة أقسام ، كل قسم يشكل خمسا تقطنه احدى القبائل الخمس التي كانت تسكن مدينة البصرة في تلك الايام [1] ، وكان كل خمس بقيادة امير من امراء تلك القبائل •

وبعد ان استقرت الفتوحات بعض الشيء ، ابتدأ أفراد كل جند بزراعة الاراضي التي حولهم واستثمارها لتأمين معيشتهم ومعيشة عائلاتهم ، وابتدأت روحهم العسكرية تفتر نظرا لانشغالهم بالامور المعيشية ، فخاف عمر (رضي الله عنه) من أن يرتبط الجند بالارض فتقل قابليتهم للحركة ، ولذا حرم عليهم مزاولة أية حرفة وعوض عليهم بعطاء قائم لهم ولعيالهم يدفع من بيت المال ما داموا في الجهاد ، وقد اضطر في سبيل ذلك لانشاء (ديوان الجند) سنة ١٥ هـ (٦٣٦ م) ، وأمر بأن تسجل في هذا الديوان أسماء الجنود وأوصافهم ، ومقدار أرزاقهم ، وتعداد عيالهم ، وغير ذلك من المعلومات الضرورية •

وقد فطن عمر لما لوجود جيش منظم ، يرابط تحت السلاح بشكل دائم ، من أهمية فجعل الجند في طائفتين :

١ ـ المرتزقة : وهؤلاء هم الذين اتخذوا الجندية مهنة دائمة لهم ، ولذا فقد منعت عليهم الزراعة لقاء العطاء الذي كان مفروضا لهم من بيت المال ، وقد أطلق عليهم فيما بعد اسم (أصحاب الديوان) ، لان اسماءهم كانت تسجل في هذا الديوان لضبط أعطياتهم •

٢ ـ المتطوعة : وهم الخارجون عن الديوان من الذين يخرجون في النفير الذي ندب الله تعالى اليه بقوله :

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وأنفسكم في سبيل الله » [2] ، وهؤلاء يشتركون في الجيش وقت الحرب فقط ، ثم يسرحون في وقت السلم ليزاولوا المهنة التي يختارونها سواء كانت زراعة أم تجارة أم غير ذلك •

---

(١) وهذه القبائل الخمس هي : الازد ، تميم ، بكر ، عبد القيس ، أهل العالية •

(٢) سورة التوبة ٤١ •

ومن هذا التقسيم يتبين لنا ان التجنيد لم يكن الزاميا في عهد الخلفاء الراشدين ، ولكنه بالمقابل لم يكن طوعيا تماما ، فقد كان المسلمون يذهبون الى الحرب جهادا في سبيل الله كلما دعاهم داعي الخليفة أو خطب فيهم أو استنفرهم أو أنفذ اليهم أو الى رؤسائهم الكتب أو ركزت راية الجهاد في مسجد رسول الله ، ولم يكن يخطر في بال أي منهم أن يتخلف عن الحرب، لان التخلف كان يحمل لصاحبه العار كل العار ، حتى أنهم كانوا يحفظون اسم المتخلف لمدة طويلة ، ولا يفتأون يذكرونه بصفات النقص ويمتنعون عن مخالطته ويقاطعونه مقاطعة تامة .

ولذا يمكننا القول ان التجنيد كان في ذلك العصر « شبه الزامي » وليس بالالزامي أو الطوعي تماما .

ومن الدوائر التي أحدثها عمر بن الخطاب « دوائر احصاء الجند » ، التي أحدثت في الاصل لقيد المهاجرين والانصار ، ثم توسعت اختصاصاتها فعمت سكان جزيرة العرب بكاملها ، بل ان هذا الاحصاء امتد حتى شمل الكوفة والبصرة والموصل والفسطاط والجيزة . وأما عدد الجند الذي أحصى حينذاك فان المؤرخين لم يذكروا عنه شيئا ، ولكنهم قدروا من كانت تصرف لهم الرواتب فقط بما يزيد عن (١٥٠٫٠٠٠) جندي ، منظمين على جيوش كبيرة وصغيرة حسب مقتضى الحاجة ، وعلى رأس كل منها أمير من شجعان العرب وعلية القوم . وقد استلزمت كثرة عدد الجند وتوزعهم على عدة أماكن انقسام ديوان الجيش الى عدة فروع : بعضها للاهراء والبعض للاعطيات والبعض الآخر للاسلحة مما يختلف باختلاف الاحوال والازمان .

وأما ترتيب ورود أسماء الجند في الديوان ، فقد كان يتم حسب النسب من جهة ، والسابقة من جهة ثانية ، حيث كانت ترتب القبائل العربية حسب درجة قرابتها من الرسول ، وأما أسماء أفراد كل قبيلة فيتم ترتيبها حسب السابقة في أعمال الجهاد .

ولما أتى الامويون الى الحكم توسعوا في الغزو والفتوحات توسعا لم يشهده التاريخ قبلهم أو بعدهم ، حتى أصبحت الدولة العربية تضم في عهدهم جزيرة العرب والعراق والجزيرة وبلاد الشـــام ومصر والواحات وبلاد المغرب والاندلس غربا ، وأما من جهة الشرق فشملت بلاد ما وراء النهر وخراسان والديلم والرحاب والجبال والاهواز وفارس وكرمان والسند وقسما من بلاد الهند [١] .

وقد استلزمت هذه الفتوحات طبعا ازدياد عدد الجيش بصورة كبيرة، ولكن ليس لدينا احصاء دقيق عن عدد الجند في العهد الاموي بسبب تلك الدرجة الرفيعة من التحفظ على أسرار الجيش التي كانوا يتحلون بها [٢] .

ونحن وان لم يكن لدينا مثل هذا الاحصاء ، الا أن باستطاعتنا ان نؤكد أن عدد الجند قد تضاعف مرة واحدة على الاقل في زمن الامويين ، وذلك تلبية لحاجـة الفتوحات ، حتى انـــه بلغ عدد المرابطين في البصرة فقط (٨٠٠٠٠) جندي ، وفي الكوفة (٦٠٠٠٠) ، وفي مصر (٤٠٠٠٠) ، وفي الشام ما يقارب هذا العدد ، وقد بلغ تعداد جيش يزيد بن الملهب لما حمل على جرجان وطبرستان (١٢٠٠٠٠) رجل من الجند المرتزقة عدا المتطوعـة والموالي والاتباع [٣] .

وقد سار الامويون على خطة عمر في تنظيم الجند ، الا أنه بعد الفتنة التي أدت الى مصرع عثمان سنة ٣٥ هـ (٦٥٥م) ، وبعد أن تعددت مواقع المسلمين فيما بينهم ، أصبح المدعوون الى القتال يتهيبون من الاقتتال مع اخوانهم في الدين أو العروبة ، مما جعل الخلفاء الامويين يأخذون بالتجنيد الالزامي ، وأول

---

(١) يبين المخطط رقم « ١ » الدولة العربية في أقصى اتساعها .

(٢) يقول القلقشندي في كتابه « صبح الاعشى » : « فقد جرت عادة ديوان الجيش عدم الجمع على الجند كي لا يحاط بعدته ويطلع اليه » (صبح الاعشى ج ٤ ـ ص ١٦) .

(٣) راجع كتاب « الجندية في الدولـة العباسـية » للرئيس الاول الركن نعمان ثابت ـ ص ١٢ و ١٣ .

لمن جرؤ على تطبيقه هو الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان [1] .

ولكن رغم الزامية التجنيد ، بقي الجيش عربيا محضا يرجع قادته وأفراده في أنسابهم الى قحطان (هم اليمنية) أو الى عدنان (وهم المضرية)، وظل الحال على ذلك حتى توسع الامويون في فتوحهم بالمغرب وبلاد الاندلس فاستعانوا بالبربر في الجيش .

وأما بالنسبة للاعاجم ، فقد انقضت الدولة الاموية ولم يتخلل صفوف جيشها أعجمي واحد الا ما كان من الاتباع والخدم والعبيد ، وأما قادتهم فلم يكن فيهم على كثرتهم قائد أعجمي واحد ، ولذا كان كل منهم يشعر بأنه جزء من الامة العربية كلها وان عزة أمته وقوتها تتوقفان عليه كما تتوقفان على غيره من جندها .

ولما ابتدأ العباسيون بالعمل للوصول الى كرسي الخلافة ، لم يجدوا الا نفرا بسيطا من العرب يؤيدهم في عملهم هذا ، ولذا فانهم استعانوا بالاعاجم وخاصة الخراسانين منهم الذين قادهم أبو مسلم قائد جيش السفاح ، وقد ناصر الخراسانيون بني العباس في مطالبتهم بالملك لا حبا فيهم لانهم من آل النبي كما تراءى لاذهان بعض المؤرخين ، وانما انتقاما من الامويين الذين أقاموا دولتهم على أسس عربية سليمة ، ولم يسمحوا بتسليم أي مركز مهم لواحد من غير العرب حفاظا على مستقبل دولتهم وصفائها ، ويقينا لو أن الجند العباسي كانوا يشعرون بما كان يشعر به الامويون لما ذلت الدولة العباسية لغيرها ولما تحكم في أمورها الموالي من فرس وترك في أواخر أيامها .

ولم يسيطر الموالي دفعة واحدة على الحكم لانهم لم يكونوا يشكلون أغلبية الجند في بداية الدولة العباسية ، حيث نرى مثلا أن فرق الجيش في

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان - ج ١ - ص ١٤٥ .

زمن المنصور كانت أربعا : اليمنية ـ المضرية ـ الربعية ـ الخراسانية ، أي أن نسبة الموالي (الخراسانية) كانت لا تزيد عن ربع التعداد العـــام للجنـد .

وكان الجند في عهـد الخلفاء الراشدين والامويين يسجلون باعتبار الانساب والسابقة ، ولكن عندما كثر الموالي كان من المستحيل تسجيلهم حسب الانساب لانه لا أنساب لهم ، فصار أولو الامر يسجلونهم على الجنس (خراساني ، اهوازي ، طبرستاني ..) .

وقد تسربت مساوىء أخرى الى نظام الجند منذ نشأة الدولة العباسية تقريبا ، ولكن قوة شخصية الخلفاء الاوائل ، وبقاء الاغلبية العددية للعرب في الجند ، قللا من أثر هذه المساوىء على بناء الدولة .

ويثبت وجود هذه المساوىء في جسم الدولة العباسية منذ نشوئها ، تلك الرسالة التي وجهها الكاتب الشهير « ابن المقفع » الى الخليفة ابي جعفر المنصور لتقويم شؤون الدولة العسكرية ، وقد طلب منه فيها ما يلي :

١ ـ لا بد من تنظيم أفكار الجند « وذلك بأن يكون لهم أوامر ثابتـــة ليحيطوا بكل شيء يجب أن يعرفوه ، يبين لهم ما يفعلونه ومــــا يتجنبونه ، يحفظه رؤساؤهم ويقودون به عامتهم ، واما ترك الامور بلا قانون ، لا يعرفون بـه مـا يجب ومـا يحرم عليهـم فداع الى الفوضى [١] .

٢ ـ طلب من الخليفة أن يحول بين الجند وبين ادارة الشؤون المالية في المقاطعات ، « والذي دعاه الى هذا الطلب هو أن الخليفة كان يولي بعض قواده خراج بعض الاقطار وبذلك تصبح مالية القطر كلها في يده ، وقد علل ابن المقفع رأيـه هذا بان (ولايـة الخراج مفسدة للمقاتلة) ، وهو نظر صائب لان كثيرا من هؤلاء القواد ، الذين لـم

---

(١) أنظر كتاب « الجندية في الدولة العباسية » ـ ص ١٠٨ وما بعدها .

يكونوا يمتون للملكة بأية صلة قرابة أو نسب ، اعتزوا بسلطانهم وانتصاراتهم وكثرة جنودهم أو أحزابهم التي تلتف من حولهم، فظلموا الناس وعاثوا فسادا في الرعية ، فلما أوخذوا على ظلمهم وعبثهم غرهم ما في أيديهم من مال اكتنزوه أثناء ولايتهم ، وبما تحت طاعتهم من جند أوكلت اليهم مهمة قيادته ، فثاروا على الدولة وكانوا سببا لمصائب لا تحصى »[1] .

٣ ـ والذي نصح به ابن المقفع أيضا هو مراعاة الكفاءة في القيادة ، ولفت نظر الخليفة في رسالته لاعادة النظر في الرؤساء والمرؤوسين ، لان كثيرا من المرؤوسين أكفأ من رؤسائهم ، فلو ولي القيادة الخيار ، فقط ووضع الجند في منازلهم حسب كفاءتهم ، لكان من ذلك خير عظيم .

٤ ـ ونصح ابن المقفع بتعيين وقت محدد للجند يقبضون فيه أرزاقهم وأعطياتهم فان ذلك ادعى لطمأنينتهم .

٥ ـ كما أوصى ابن المقفع أخيرا بتثقيف الجند ثقافة علمية وخلقية ، وذلك بتعليمهم الكتابة وتعويدهم على العفة والامانة . واقترح على الخليفة بان يتقصى أحوال الجند ويعرف أخبارهم ، وذلك بأن يعين بعض الثقاة الذين يخلصون لـه فيما بينهم فينقل له هؤلاء الاخبار ولا يكتمون عنه شيئا .

ولما استخلف المهدي كان عدد الفرق الخراسانية قد زاد فرقتين هما : الاسواريون « والسيابجة » ، فأراد أن يعتمد على العرب ويقربهم ، فجعل له في العاصمة (٥٠٠) فارس عربي اصطفاهم من عرب الحجاز ليقوموا بحراسته ، وقد أكرمهم واقطعهم أرضا بجوار بغداد .

ولما أفضت الخلافة في سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) الى المعتصم بالله ، وجد جيوشه تتألف من الفرق التالية :

---

(١) المصدر السابق .

- الأعاجم : من أهالي خراسان وفارس وكرمان ومكران وسجستان وكوهستان وغيرهم •
- المغاربة : من أهالي مصر وما يليها غربا •
- الترك : من السند وأشروسنة وفرغانة وسمرقند •
- الحربية : وهم جند المشاة وكلهم من العرب •
- المتطوعة : وهم من يتطوعون في حالات الحرب فقط كما مر معنا سابقا •

ولاحظ المعتصم أن الفرقة الاقوى بين هذه الفرق جميعا هي فرقة الاعاجم ، التي كان قد قواها أخوه المأمون لتنصره في خلافه مع أخيه الثاني الامين ، ولذا فقد خاف على مصير الدولة العباسية من أفراد هذه الفرقة ، فقرب بتأثير من والدته التركية ، الجند التركي واعتمد عليهم لاقصاء الاعاجم وتخفيف سطوتهم ودرء خطرهم الجسيم على الدولة •

ولكن المعتصم في عمله هذا كان كالمستجير من الرمضاء بالنار ، اذ أنه سبب استياء الاعاجم ، فقاموا بحوادث شغب كثيرة في بغداد أجبرته على اخلائها وبناء بلدة سامراء (سر من رأى) لتكون عاصمة له ومقرا لجيشه •

وأما فرق الجيش العباسي بعد المعتصم فقد أصبحت متباينة المبدأ واللغة والوطن ، وأهم هذه الفرق هي : الشاكرية ، الساجية ، السعدية ، النازوكية ، البليغية ، الهارونية ، الصلاحية ، الاسدية ، البلالية النظامية وغيرها [1] •

وقد أخذت كل فرقة من هذه الفرق تستعمل نفوذها في الدولة كي تصل الى مآربها ، حتى أصبح في أيدي هؤلاء الموالي أمر تولية الخليفة أو عزله بعد سنة ٢٥٠ هـ (٨٦٤ م) ، وكان هذا من أسباب ضعف الدولة العباسية ثم سقوطها •

---

(١) الجندية في الدولة العباسية ص ٢٢٤ ـ ٢٢٦ •

وأما من جهة عدد الجند ، فقد وصل سنة ١٨٩ هـ (٨٠٤ م) ـ أي في زمن خلافة الرشيد ـ الى نصف مليون جندي منهم حوالي ربعهم تقريبا في العاصمة بغداد • وقد روى ابن خلدون في مقدمته ان المعتصم نازل الروم في عمورية بجند عدده (٩٠٠ر٠٠٠) رجـل ، ولكننا نستكثر هذا الرقم ونظن أن الاقـرب الى الصواب هو (٢٠٠ر٠٠٠) منهم (٤٠٠٠) ابلق كما ذكر القلقشندي [1] •

وتذكر لنا كتب التاريخ ان عدد الجيش المرابط في بغداد فقط سنة ٣٠٥هـ لما أتت رسل ملك الروم الى الخليفة العباسي المقتدر لمفاوضته بأمر عقد هدنة بين الطرفين ـ كان (١٦٠ر٠٠٠) جندي بين راكب وراجل [2] •

هذا في الجناح الشرقي من الدولة العباسية ، وأما الجناح الغربي فيها فقد استقل عن حكم العباسيين استقلالا كاملا أو جزئيا ، وخاصة في مصر التي استقل بها ابن طولون منذ القرن الثالث الهجري (التاسع للميلاد) •

وبعد ابن طولون وذريته ، أتى الاخشيديون الى كرسي الحكم في مصر ، وقد كانت مصر في زمنهم مطمئنة آمنة قوية بجيشها ومالها ، وبلغ عدد جيوش هذه الدولة سنة ٣٢٨ هـ (٩٣٩ م) (٤٠٠ر٠٠٠) جندي ، عدا الحرس الخاص وتعداده (٨٠٠٠) رجل يستلم مهمة الحراسة ربعهم في كل يوم •

ثم لما تغلب الفاطميون على مصر وجهوا عنايتهم الى اعداد جيش قوي للدفاع عن حدود دولتهم الناشئة ، وقد تشكل هذا الجيش من طبقتين : الامراء وطوائف الجند ، ولكل من هاتين الطبقتين مرتبة لا تتجاوزها الـى

---

(١) راجع كتاب « صبح الاعشى » للقلقشندي ج ٣ ص ٢٧٢ • أمـا أبو تمام فقـد حـدد جيش عمورية بسبعين الفا • وذلك بقوله :

سبعون الفا كآساد الشرى نضجت   جلودهم قبل نضج التين والعنب

(٢) راجع كتاب « تاريخ الخلفاء » للسيوطي ص ٢٥٣ •

غيرها ، وكان لكل طائفة من الطوائف قائد مسؤول عن أحوالهم في السلم وترتيبهم في مواقفهم في الحرب ، وكان أهـم هذه الطوائف من العرب : الحجازيون والمغاربـة والمصامدة ، ومن الاجانب : الاتراك والغز والديلم والاكـــراد .

ولما وصلت الحملةالصليبيةالاولى الى بلاد الشام سنة **٤٩١ هـ (١٠٩٧م)** سببت ردة فعل كبرى عند العرب والمسلمين ، وقد تجلت ردة الفعل هذه بالتكاتف والاتحاد لرد الخطر الجديد ، وخاصة بعد أن لاحظوا أن خطرا ثانيا أخذ يتهددهم باستمرار من ناحية الشرق أيضا وهو الخطر المغولي ، وكشفوا اتفاق الصليبين المسبق مع المغول لتقاسم ادولة العربية ـ الاسلامية.

وكانت أول بوادر هذا التكاتف زحف نور الدين زنكي ، لتخليص سواحل بلاد الشام من أيدي الصليبيين ، بجيش سوري ـ مصري موحـد أغلبه من العرب ، وبه قسم لا يستهان بـه من الاكراد وبقيـة الطوائف الاسلامية ، ورافق هذا الزحف تطور كبير في الانظمة العسكريةلدىالعرب، وخاصة بطرق التعبئة وبادخال أسلحة جديدة في ميدان الاسلحة الاجماعية، وبنشوء صنوف جديدة أيضا في الجيش العربي الاسلامي .

ولما استلم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أمور الدولة ، بلغ التقدم العسكريالجديدذروته ، وخاصة بعد معركة حطين **٥٨٣ هـ ١١٨٧م** ، حيث استخدمت أسلحة عربية جـديدة اخترعهـا علماء سـوريون أو مصريون [١] نتيجة لخبرتهم الطويلة في الحـرب مع الصـليبيين ، الذين كانوا قد مضى عليهم تسعون سنة في بلاد الشام .

ولكن هذه الفترة من التقدم في الفن العسكري ، انتهت عند وصول الملك الصالح نجم الدين أيوب الىالحكم ، حيث اقتنى عددا كبيرا منالمماليك كان معظمهم من الاتراك ، كما ان الملك الظاهر بيبرس ارتكب الغلطـة

---

(١) اشهر هؤلاء العلماء مرضي الطرسوسي وابو الحسن الابرقي وغيرهما .

نفسها ولو أن الجيش في زمنه اشتد وقوي عنه في زمن الملك الصالح وذلك لاشتداد ضغط المغول والصليبيين •

وانتهت تلك الفترة الزاهرة من التقدم عندما زال الخطر المغولي بعد معركة عين جالوت سنة ٦٥٩ هـ ١٢٦٠ م ، وبعد انتهاء الحروب الصليبية في أواخر القرن الثالث عشر بعد الميلاد ، وانفك أغلب أبناء العرب عن الجيش السوري ، المصري الموحد ، الذي تشكل بزمن نور الدين زنكي ، وذلك لان قيادة الجيش سلمت الى مماليك أجانب أطلق عليهم اسم (المماليك السلطانية) •

وأصبح جيش المماليك منذ ذلك الوقت اخلاطا من الاتراك والجركس والروم والاكراد مع نسبة ضئيلة من العرب، ويقود كل هؤلاء الامراء الذين تربوا كمماليك في قصور السلطان منذ نعومة أظفارهم •

وكان لهم في تدريب المملوك طرق خاصة ، حيث كانوا يعلمونه أصول التهذيب والمخاطبة منذ شرائه وحتى سن بلوغه • فاذا أدرك البلوغ ابتدأوا يدربونه على ركوب الخيل واللعب بالرمح ورمي النشاب حتى يصبح مقاتلا ماهرا ، فيعين في الجيش كقائد صغير ثم يتدرج في منصبه حتى يصبح من الامراء ••

والامراء على درجات ، فمنهم من له امرة مائة فارس أو أكثر الى ألف فارس ، ومنهم امراء الطبلخانات [1] ولكل منهم من ٤٠ ـ ٧٠ فارسا ، ويليهم أمراء العشرات الذين يقودون من ١١ ـ ٤٠ فارسا •

وأما الجند العاديون فقد كان يطلق عليهم اسم (جند الحلقة) ، وكان لكل أربعين منهم مقدم لا يمارس سلطته عليهم الا اذا خرجوا الى الحرب •

ولم تكن الحال في مصر بأسوأ منها في بقية بلاد العرب ، فالجيش

---

(١) أمراء الطبلخانات هم من كان لهم الحق بقرع الطبول على أبوابهم •

العربي في الاندلس كانت تهدمه العصبية والدسائس الاجنبية ، وفي المغرب دول تسطع لمدة قصيرة ثم لا تلبث أن تنطفيء ، وفي العراق كان الاعاجم يتحكمون بخلفاء الدولة العباسية كما يشاؤون ، قبل أن تتعرض العروبة لتلك الضربة الساحقة التي انزلها بها هولاكو عندما دخل بغداد سنة **١٢٥٨** م (٦٥٦ هـ) .

وظل الحال هكذا يسير من سيء الى أسوأ ، والجيش يسير نحو الضعف والتفكك ، حتى اجتاحت بلاد العروبة جيوش السلطنة العثمانية في الربع الاول من القرن السادس عشر بعد الميلاد ، فانقلب الجيش الى جيش عثماني ، وأبعد أبناء العرب من الوصول الى مناصبه ، ودخلت البلاد العربية في عصور من الظلام والجهل كان يجب أن تنتظر أربعة قرون لتصحو منها وتنشيء جيوش الانطلاقة العربية الجديدة .

* * *

الفصل الثاني

ميزات الجندي العربي القتالية

من الثابت تاريخيا ان قوات الدولة البيزنطية كانت دوما أكثر عـددا وأكمل تجهيزا وأقوى تسليحا من القوات العربية التي كانت تشتبك معها ، فكيف يمكن تعليل انتصار القوات العربية على البيزنطية في أغلب المعارك التي جرت في القرون الثلاثة الاولى بعد الهجرة ؟

لا شك بأنه هناك عوامل معينة ضمنت للعرب التفوق والفوز وقادت خطاهم نحو النصر ، وهذه العوامل تتلخص بعدة كلمات وهي أن العرب كانوا يركزون جهودهم على « الكيف لا على الكم » ، على حسن تدريب الجنود لا على عددهم ، مما جعـل الجنـدي العـربي في عصـر الازدهار (٦٢٦ ـ ٨٢٥ م ٥ ـ ٢١٠ هـ) يتمتع بميزات قتالية لـم يشاركه فيها أي جيش آخر في تلك الاوقات •

وقبل أن نذكر هذه الميزات ، نعتقد بأنه من الضروري أن نذكر شيئا عن شروط القبول في الجندية عند العرب ، لان هذه الشروط تبين لنا الحد الادنى من الميزات الواجب توفرها في كل جندي •

كان على من يطلب الانتساب الى سلك الجندية أن يقابل صاحب ديوان الجند وهو ينظر في أهليته لها ، فاذا استوفى الشروط التالية الذكر قبل ودون اسمه في دفاتر الجيش مع نسبه وقده وملامحه ولونه والعلامات الفارقة التي تميزه عن غيره ، ثم يسلم الى مقدم أو نقيب يضمه الى كتيبة ويدربه ويرعى شؤونه هناك .

وأما هذه الشروط التي يستلزم توفرها في المتقدم الى الجندية فهي [1] :

آ ـ البلوغ :

كان يشترط فيمن يتقدم للانخراط في سلك الجندية أن يكون قد بلغ السادسة عشر من عمره على الاقل ، فقد رفض الرسول اشتراك خمسة عشر رجلا من الخارجين الى أحد لصغر سنهم ، ومن هؤلاء أسامة بن زيد والنعمان بن بشير .. وغيرهما [2] . ولكن هذا لم يكن يمنع من اصطحاب من لم يبلغ السادسة عشر اذا كان جسمه قد نما نموا مبكرا ، كما حدث عندما رفض الرسول اشتراك غلام لم ينبت الشعر في عارضيه ، وعاد فقبله لما أثبت له هذا الغلام قوته وذلك عندما صارع أحد الرجال وصرعه [3] .

ب ـ الذكورة :

وقد أضيف هذا الشرط لما جاء العباسيون الى الخلافة فقط ، وأما قبل ذلك فكان يسمح باشتراك النساء بالجهاد ، فقد اشترك كثير من النساء في الحروب التي جرت في عهد الرسول والراشدين والامويين قبل أن يأتي العباسيون الى الحكم فيمنعون مشاركة المرأة للرجل بالجندية .

---

(١) راجع « الجندية في الدولة العباسية » ص ٩٣ ، والاحكام السلطانية للماوردي ص « ١٣٩ » .

(٢) راجع كتاب (تحفة الناظري فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين) للشيخ الشرقاوي ـ مطبوع على هامش كتاب (فتوح الشام) للواقدي ـ ١ ـ ص ٦٣ .

(٣) الطبري ج ٣ ـ ص ١٣ .

وقد كان الرسول يصطحب أزواجـــه بالاقتراع الى غزواته ، وكان يسمح لنساء الانصار ، كرفـادة وأم سليم ، بالخروج مع أزواجهن الى الجهاد • وروى أنس أن عائشة بنت أبي بكر وأم سلمة قد اشتركتا بخدمة الجند في معركة « أحد » • وكانت المرأة ، عند اشتراكها في الجهاد ، لا تحمل السيف وتقاتل به فطبيعتها تختلف عن طبيعة الرجل المعدة للقتال [٤] ، ولكنها كانت تقوم بأعمال أخرى تتناســب مع طبيعتهــا ، وذلك بالمرور بين الصفوف وتقديم الماء والطعام للعناصر المحاربة ، والاعتناء بجرحى المسلمين والاجهاز على جرحى أعدائهم وغير ذلك •

كما أن النساء شاركن في عهد الخلفاء الراشدين في أغلب المعارك التي خاضها المسلمون ، وكان لهن تأثير كبير في معركتي اليرموك والقادســـية بصورة خاصة •

وفي العهـد الأموي نرى أن كتب التاريخ تذكر اشراك معاوية بن أبي سفيان زوجته فاخته في الغزو ، وأن جيش مسلمة بن عبد الملك قـــد اصطحب عددا من النساء في جيشه لما غزا القسطنطينية • ولكن اشتراك المرأة بأعمال الجهاد قد قل في نهاية هذا العهد ، لينقطع تماما عندما وصل العباسيون الى الحكم •

والذي نعتقده هو أن المرأة قد سمح لها بالاشتراك في القتال رسميا زمن الرسول والخلفاء الراشدين لحاجة جيش المسلمين اذ ذاك لاية معونة كانت ، ثم اقتصر اشــتراكها على الخدمات الادارية (الامداد والاخلاء) في زمن الامويين الاوائل ، ثم منعت من الاشتراك نهائيا منذ أواسط العهد الاموي لان الجيش كان قد تكامل وأصبح يحوي بين أفراده عنـاصر ادارية تكلف بالمهام التي كانت تقوم بها النساء سابقا •

---

(١) ومع هذا فالنساء المسلمات اللواتي حملن السيف الى جانب الرجل كثيرات كخولـــة بنت الازور وأم ابان وغيرهما (راجع فتـوح الشام للواقدي ج ١ ـ ص ٢٦ و ٢٧ بالنسبة لبطولات خولة ، وص ٤٤ و ٤٥ بالنسبة لبطولات أم ابان) •

جـ ـ الاسلام :

وقد كان اعتناق الدين الاسلامي شرطا أساسيا من شروط القبول في الجندية ، لكي يكون الهدف الاول من جهاد المتطوع هو الدفاع عن « بيضة الدين » وليس مجرد هدف سياسي زائل ، أو حبا في الكسب والمغانم ، مما يخلق روح تضامن مثالية بين مختلف أفراد الجيش ، لشعور كل منهم بأنه يقاتل دفاعا عن ذات العقيدة التي يدافع عنها زميله .

وقد كانت المحافظة على روح التضامن هذه هي التي دعت الرسول مرارا لرفض اشتراك المشركين في قوات المسلمين ، فقد طلب نفر من اليهود أن يشتركوا الى جانب المسلمين في قتالهم ضد قريش يوم الخندق ، فرفض الرسول وقال لصحبه : « لا يستنصر بأهل الشرك ما لم يسلموا [1] . وقد طبق خالد بن الوليد هذه القاعدة على أهل الذمة ، فلم يسمح لهم بالمشاركة في القتال خوفا من أن ينفروا من الحرب خلال المعركة فيضعفوا صفوفه ويقللوا من صلابة رجاله وقوتهم .

ولم يسمح ، طيلة عهود الخلافة العربية ـ الاسلامية ، لاهل الذمة بالانخراط في سلك الجندية ، بل كانوا يكلفون بدلا من ذلك بدفع ضريبة (الجزية) التي تنوب عن وجيبة الدفاع التي تترتب عليهم [2] ، وكانت هذه الجزية تصرف في شراء الاسلحة بمختلف أنواعها ، وفي شراء الاغذية للمجاهدين المسلمين والعلوفات لدوابهم ، وبصورة عامة يمكننا أن نقول انها كانت تنفق في تهيئة وفي اكمال كل معدات الجهاد .

د ـ السلامة :

أي أن يكون المتقدم للجندية سالما من الامراض والعاهات وكل ما

---

(١) « السلام والحرب في الاسلام » ـ ص ٧٧ .

(٢) كانت هذه الجزية في غاية البساطة اذ كانت تتراوح بين ١٢ ـ ٤٨ درهما في السنة وهذا المبلغ يعادل ٥ ـ ٢٠ ل.س تقريبا .

يمتنع القتال معه ، وقد اجاز الفقهاء اشتراك الأعرج والأخرس والأصم في الحرب ، ولكنهم لم يجيزوا اشتراك الاعمى • كما أجازوا أن يتابع الجريح في معركة الجهاد حتى انتهاء المعركة[1] ، ولكنهم لم يجيزوا اشتراك جريح في معركة جديدة ، وذلك تقيدا بفقرة من كتاب وجهه الخليفة أبو بكر الى خالد بن الوليد : « لا تقاتل بمجروح فان بعضه ليس منه » [2] •

وقد شمل هذا الشرط ، الى جانب سلامة الجسم ، سلامة العقل أيضا بحيث لم يكن يسمح للمعتوهين والمجانين بالاشتراك بالجهاد •

هـ ــ الاقدام :

وكان يشترط في طالب الانتساب الى الجندية أن يكون شجاعا غير جبان ، عارفا كيفية استخدام سلاحه ، وقادرا من الناحية الجسمانية والمعنوية على تحمل المشاق التي سيلاقيها في التدريب أو القتال •

و ــ الحرية :

وهذا الشرط مختلف في أمره ، فبعض الفقهاء والمؤرخين يقول ، ان أنظمة الجيش الاسلامي في فترة ازدهاره ، لم تكن تسمح للعبد بأن يكون فردا من الجند ، وأن السماح بذلك قد جاء في أواسط العهد العباسي فقط ، وبعضهم الآخر يصر على أن هذا الشرط لا وجود له وذلك استدلالا بالحديث الشريف : « لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى » • والذي نعتقده هو أن اشتراك العبيد بالجيش كان امرا مسموحا به في زمن الرسول والخلفاء الراشدين ، ثم لما أتى الامويون منعوهم من الدخول في سلك الجيش حبا منهم في الحفاظ على صفائه من أي عنصر دخيل، ولكن العباسيين عادوا فسمحوا للعبيد بالانتساب الى الجيش ، بل انهم شجعوهم على ذلك وهذا ما قادهم الى كارثة قضت على خلافتهم بكاملها •

---

(١) أنظر (الاحكام السلطانية) للماوردي ــ ص ١٧٩

(٢) أنظر « السلام والحرب في الاسلام » ــ ص ٧٦

وهكذا نرى أن شروط القبول في الجندية كانت ، منذ أوائل عهد الخلفاء الراشدين وحتى أواسط العهد العباسي ، شروطا تؤمن خلق جيش قوي ، يندفع في سبيل المباديء التي يقاتل من أجلها ويعمل قادته لها •

ومن الاطلاع على هذه الشروط ، وتحليل عادات العرب الاصيلة التي كانوا عليها منذ جاهليتهم ، نستطيع أن نستخلص (الميزات القتالية) التي تحلى بها الجندي العربي في عصر ازدهار الدولة العربية ، وأهم هذه الميزات :

١ ـ القوة :

ان البيئة الطبيعية والاجتماعية أهلت نفوس العرب للحرب منذ أقدم العصور ، فحياة البادية تجبر من يعيشها على تحمل قساوة الحياة وشظف العيش ، والحياة القبلية تنمي الميزات القتالية في أبنائها بما تسببه من منازعات على موارد المياه والمراعي والزعامات •

ولما جاء الاسلام هذب هذه الميزة وصقلها ، وحض معتنقيه على تقوية أجسامهم استعدادا للحرب ، وذلك تقيدا بالآية الكريمة : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم » [١] ، وقول الرسول « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من الضعيف » [٢] • ولذا اهتم المسلمون بصحة أجسادهم ، وبالتمارين الرياضية كالعدو والسباحة وركوب الخيل والمصارعة وغير ذلك من التمارين التي لا تزال تزاول حتى عصرنا هذا لخلق الجندي القوي •

ويذكر لنا التاريخ دلائل كثيرة على قوة اجسام المحاربين العرب في ذلك الوقت ، ومن هؤلاء المقداد بن الاسود الذي كان ساعده قويا الى حد أنه كان يضرب الخصم بسيفه فيقسمه نصفين، والزبير بن العوام الذي ضرب

---

(١) سورة الانفال ٦٠

(٢) عن « السلام والحرب في الاسلام » ص ٨٢

عثمان بن عبد الله في يوم الخندق فقطعه الى قربوسه فقالوا له : « ما أجود سيفك » فغضب لانه كان يريد أن يقال له ان العمل ليده لا لسيفه ، وعكرمة ابن أبي جهل الذي وجد رفاقه نيفا وسبعين ضربة في جسده أصابته كلها في معركة واحدة وهي معركة اليرموك •

وبما أن قسما كبيرا من معارك ذلك الوقت كان على شكل مبارزات فردية تعقبها مبارزات جماعية ، فان الغلبة في المعارك كانت غالب الاحيان للمسلمين ، وهكذا كانت القوة سببا مهما من أسباب كسب المعارك الحاسمة في ذلك الوقت •

٢ ـ كمال التدريب :

كان العرب منذ جاهليتهم رجال صيد وقنص من جهة ، وأبطال غزو ودفاع من جهة اخرى ، فطبيعة المحارب كانت متأصلة في نفوسهم منذ أيام جاهليتهم •

ولما جاء الاسلام لم يفعل الا تهذيب هذه الطبيعة وتوجيهها الوجهة الخيرة ، الوجهة التي تفيد المجتمع والفرد معا ، حيث زكت تعاليم الدين الجديد روح الاعداد للحرب بين معتنقيه ، حتى أن أحد الصحابة التابعين قال : « كنا نعلم أبناءنا الغزوات كما نعلمهم الآية من القرآن » •

وقد وجه الرسول وخلفاؤه من بعده كل اهتمامهم لترغيب جمهور المسلمين بالتدريب العسكري ، وخاصة فيما يتعلق بالرمي وركوب الخيل ، فقد حث الرسول أصحابه على الرمي واعتبره منبع القوة : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، الا ان القوة الرمي » [1] ، واعتبر الاهمال في التدريب على رمي السهام خروجا على جماعة المسلمين : « من علم الرمي ثم تركه

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ـ ص ٦٩

فليس منا » [1] ، كما واوضح أهمية الرمي وفائدته وما وعد الله به الرامي الجيد : « ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب في صنعته الخير ، والرامي به ، والممد له » [2] .

وروي عن الرسول أنه كان له صاحب من أمهر الرماة أسمه حبيب ، وقد ترك التمرن على الرمي لمزاولته العبادة ليلا ونهارا حتى هزل جسمه ، ولما شاهده الرسول على هذه الحالة سأله :

ــ ما فعل رميك وما بجسمك قد نحل ؟ فاجابه رجل الى جانبه :

ــ بأبي وأمي يا رسول الله ، لقد تركه وأقبل على العبادة . فقال الرسول :

ــ والذي بعثني بالحق نبيا ، ما الذي أقبل عليه بأفضل مما تركه . فعاد الرجل الى رميه .

وقد بلغ من مهارة العرب برمي القوس أن بعضهم قد اصبح قادرا على اصابته احدى فقرات ضب معلق ، على بعد منه ، دون الاخرى [3] ، أو اصابة عين (حدقة) أحد رجال العدو عن البعد نفسه ، ولذا دعي هؤلاء « رماة الحدق » ، وأعطوا مهمة جندلة قادة جيش العدو وكبار ضباطه ، وهذا ما يجعلهم يشبهون مفرزة « مهرة الرماة » (TIREURS D'ÉLITE) المستخدمة في الجيوش الحديثة . وقد تابع الخلفاء الراشدون سياسة رسول الله في التشجيع على التدريب ، فقد كتب سيدنا عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح يقول « علموا غلمانكم العوم ومقاتليكم الرمي [4] ، كما روى مكحول أن عمر قال « علموا أولادكم الفروسية والسباحة والرمي ومروهم يختفوا بين الاغراض » ، وهكذا نرى أن عمر فطن منذ حوالي

---

(١) و (٢) : « السلام والحرب في الاسلام » ص ٨٣

(٣) « العقد الفريد » ــ ج ١ ــ ص ٦٩

(٤) « السلام والحرب في الاسلام » ــ ص ٨٤

أربعة عشر قرنا لاهمية ركن من أهم أركان التدريب العسكري الحديث ألا وهو « الاختفاء والتمويه » •

وأما الفروسية فقد اهتموا بها كل الاهتمام ، وخاصة بعد مجيء الاسلام، وتروي كتب السيرة أن الرسول كان يركب الفرس عاريا فيروضه على السير ويتسابق مع غيره في العدو ، وكان عمر أيضا يحب ركوب الخيل ويستطيع لمهارته أن يطفر على الحصان دون أن يمسك بشيء •

وقد وضع المسلمون ، لشدة اهتمامهم بالفروسية ، عدة كتب ورسائل بشرح فوائدها وفنونها وقواعد ممارستها •

٣ ـ الشجاعة :

ان الشجاعة صفة أصيلة تحلى بها العرب منذ أقدم العصور ، ولما جاء الاسلام تضاعفت هذه الشجاعة بالاندفاع نحو الاستشهاد لكي يدخلوا الجنة التي وعدهم الله بها عند استشهادهم في سبيله : « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » [١] • فنتيجة المعارك التي كان المسلمون يشتركون فيها هي احدى اثنتين : اما الانتصار على العدو وفي هذا ثواب ، واما الاستشهاد وهذا طريق للدخول الى الجنة •

هذا ويجب ألا ننسى أن الله سبحانه وتعالى منع المسلمين من الهرب أمام أعدائهم بقوله : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار • ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير [٢] •

٤ ـ الاندفاع :

كان الجندي العربي مؤمنا بقضية امته ويعمل من أجلها ، متفانيا في

---

(١) سورة البقرة ـ ١٥٤
(٢) سورة الانفال ١٥ و ١٦

نصرة دينه ويندفع طوعا الى الموت في سبيل تأييده ونشره ، وقد كانت هذه الميزة الفردية ، التي كان يتحلى بها كل جندي بمفرده ، من أهم العوامل التي بنيت عليها القوى المعنوية للجيش العربي كمجموعة .

وكان هناك عامل مهم آخر من عوامل ارتفاع القوى المعنوية للجيش العربي ، وهو تشبع أفراده بروح «التضامن» ، فلقد كان كل واحد منهم يحب لاخيه ما يحب لنفسه بل أكثر ، فقد روى ابو نعيم وابن عبد البر عن حبيب بن أبي ثابت أن الحارث بن هشام وابن أخيه عكرمة بن أبي جهل وعياش بن أبي ربيعة وأخا الحارث بن هشام لامه قد جرحوا يوم اليرموك ، فلما مر الرجل المولج بالسقاية أعطى ماء للحارث بن هشام ليشربه ، فنظر اليه عكرمة ، فقال الحارث : ارفعه الى عكرمة ، فلما أخذه عكرمة ، نظر اليه عياش ، فقال عكرمة ادفعه الى عياش ، فما وصل الى عياش حتى مات ، ولا وصل الى أحد الآخرين حتى ماتا . وهكذا كانت حال المسلمين في أيامهم تلك .

٥ ـ خفة الحركة :

وكان من نتائج قوة الجندي العربي ، وشجاعته ، واندفاعه ، وايمانه بأن القضاء خيره وشره من الله تعالى ، انه لم يكن يكثر من حمل الدروع وبقية التجهيزات والاسلحة الدفاعية ، فاذا أضفنا الى ذلك خفة جسمه ، وسرعة حركته ، وكمال تدريبه ، ادركنا مقدار خفة الحركة التي كان عليها .

وقد كان لهذه الميزة أثرها في تمكين خالد بن الوليد من اجتياز المسافة بين القادسية ودمشق بمدة لا تزيد عن اسبوعين ، وهذه مدة قياسية بالنسبة للعصر الذي جرت فيه وهو سنة ١٣ بعد الهجرة (٦٣٤ م) .

٦ ـ الانضباط :

وأخيرا فقد كان الجندي العربي على درجة كبيرة من الانضباط والطاعة وحب النظام ، وكان يضم الى ذلك اخلاقا حميدة وسلوكا حسنا .

وكان القواد يحافظون كل المحافظة على حسن سلوك الجند ، ولا يتوانون عن فرض أشد أنواع العقاب على من يخل أدنى خلل بقواعد الانضباط ، وخاصة فيما يتعلق بالتعدي على أهل الذمة أو سكان البلاد المفتوحة .

وقد أمر الرسول ، وخلفاؤه من بعده ، بأن يصطحب المحاربون زوجاتهم حفاظا عليهم من شر الزنا ، ومنع عمر ابقاء المتزوجين أكثر من أربعة أشهر بعيدا عن أسرهم [1] .

★ ★ ★

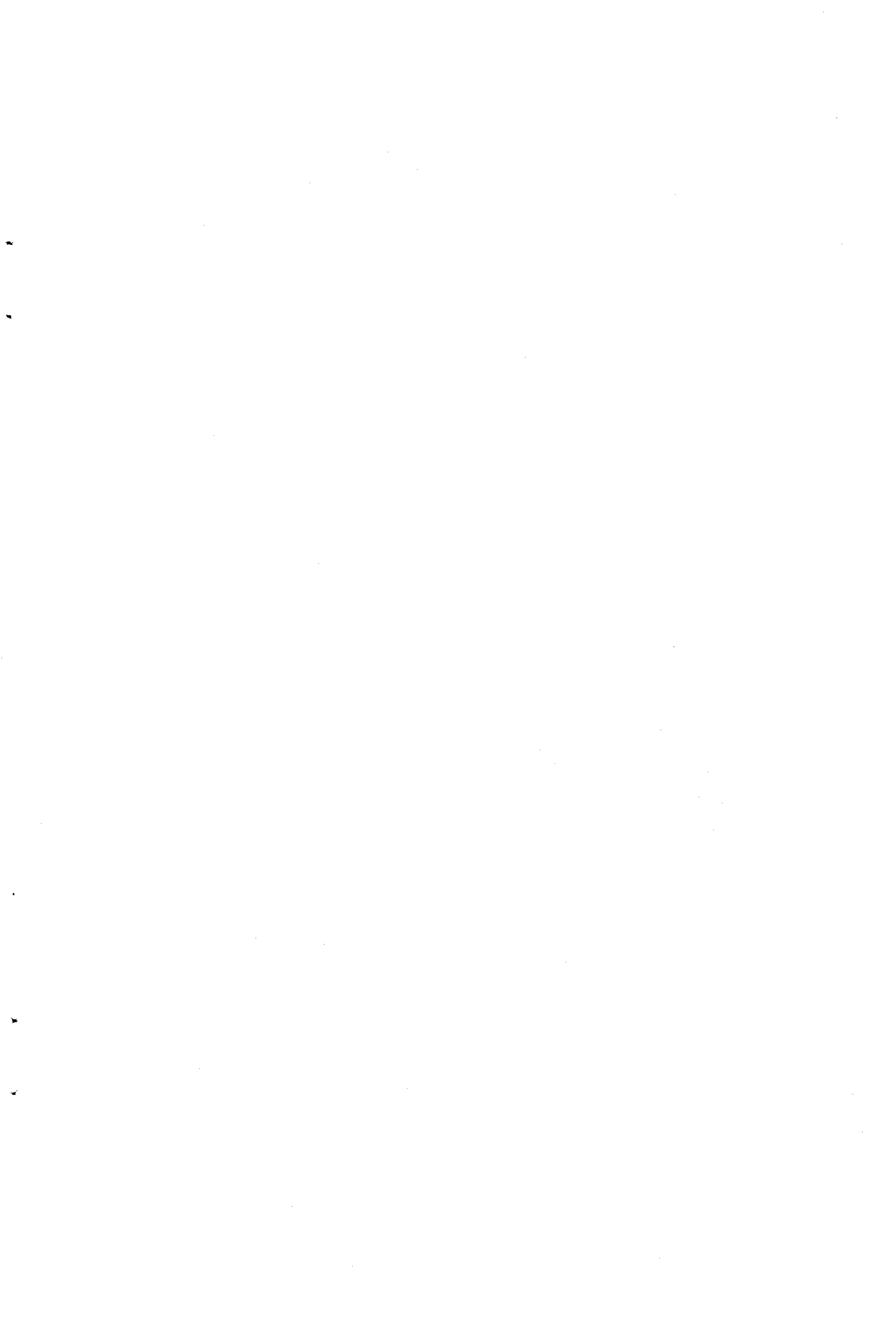
وهكذا نرى أن الجندي العربي في عصر الازدهار كان يجمع في شخصه وخلقه كل الصفات التي يجب توفرها في الجندي المثالي من قوة وتدريب وشجاعة وحماس وانضباط ، ولم تكن هذه الصفات تخلق فيه خلقا بعد دخوله الجندية ، وانما كان يدخلها متحليا بأغلب هذه الميزات التي لا تحتاج الا الى تهذيبها وصقلها وهذا ما كان يتم في حياة الجندية نفسها .

وكان من نتائج هذه الميزات أن الجندي العربي كان يتساوى في مقدرته مع عشرة من أعدائه : « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا » [2] . وكان من الطبيعي أن يزول هذا التفوق لما زالت هذه الميزات بعضها أو كلها ، ودخلت الامة العربية في طور من الضعف لم تخلص منه الا في بداية القرن العشرين .

---

(١) و « يروى أن السبب في تحديد تلك المدة أن الفاروق كان يمر بحارات المدنية ليلا ، فسمع امرأة في دارها ، تنشد شعرا تذكر فيه شوقها لزوجها الغائب في الجهاد ، وتذكر الله والعفة ، فسأل عمر ابنته حفصة : كم تستطيع المرأة أن تصبر عن زوجها ؟ فقالت : أربعة أشهر ، فأصدر أمره السابق » (عن : « الفن الحربي في صدر الاسلام » هامش الصفحة ٨٩) .

(٢) سورة الاقفال ٦٥



الفصل الثالث

الشؤون الادارية في الجيش العربي القديم

كان قادة العرب يولون الشؤون الادارية للجند الاهمية التي تستحقها، سواء كان ذلك في حالة السلم أم في حالة الحرب ، فهم لم يكونوا يجهلون أن الشؤون الادارية المنظمة هي عماد القوى المعنوية في السلم ، والطريق الى ربح المعركة في الحرب •

والذي يهمنا هنا ، هو أن نبين التنظيم الذي كانت عليه قضايا الاعطيات والاطعام والاسكان في الجيش العربي ، لانها أهم القضايا التي تعنى بها دراسة الشؤون الادارية في عصرنا هذا •

آ ـ الاعطيات :

كان المسلمون في عهد الرسول كلهم من الجند ، وكانـوا يحاربون ابتغاء مرضاة الله ، لا يريدون من وراء ذلك مالا ولا شكورا ، بل بالعكس نجد فيهم من كان يبذل من ماله في سبيل اعلاء كلمة الدين ، كما حدث عند تحضير غزوة تبوك (سنة ٩ هـ ، ٦٣٠ م) ، حيث بادر أبوبكر فتبرع بما بقي من ماله في سبيل اعداد الحملة ، كما تبرع عثمان بن عفان بألف دينار

وثلاثمائة بعير لهذه الغاية نفسها ، وقس على ذلك بقية ميسوري المسلمين في ذلك الوقت [1] ، ولذلك نرى الرسول لم يقرر عطاء معينا للمجاهدين ، بل غاية ما في الامر أنهم كانوا اذا غزوا وغنموا ، أخذوا أربعة أخماس هذه الغنائم ، وهو النصيب الذي قررته لهم الشريعة منها ، بعد حسم الخمس لبيت مال المسلمين نزولا عند حكم الآية : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » [2] .

ولم يتغير الحال في زمن أبي بكر ، اذ بقي المحاربون متطوعين لا يكلفون بيت المال شيئا ، وانما كانت لهم الغنائم بعد أخذ خمسها لبيت المال ، وكان الخليفة ينفل من حصة بيت المال أهل البلاء في الحرب . ولما توسعت الفتوحات الاسلامية في المشرق والمغرب ، لاحظ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أن الجند بدأوا بزراعة الارض ليؤمنوا معيشتهم ومعيشة عائلاتهم ، فخاف أن تبرد همتهم اذا ارتبطوا بالارض ، لذا قام بمنعهم من مزاولة أي عمل كان غير الجندية ، وخصص لهم مقابل ذلك عطاء مقررا من بيت المال ، بعد تسجيل أسمائهم كلهم في سجل استحدثه تحت اسم (الديوان) واخذ فيما بعد اسم (ديوان الجند) . وهكذا حصر عمر في ديوان الجند أسماء المحاربين المسلمين جميعا مع نسائهم وأولادهم لضبط اعطياتهم المقررة لهم ، الامر الذي جعل المسلمين يحاربون وهم مطمئنو البال من جهة عائلاتهم ، حيث أن الرواتب والاقوات كانت تسلم الى ذويهم كل شهر بصورة منتظمة.

فبالنسبة للاقوات حدد عمر لكل مسلم وعياله جريبين من الحبوب [3] ،

---

(١) لقد سمي الجيش الذي سار لغزوة تبوك باسم « جيش العسرة » لهذا السبب .

(٢) سورة الانفال ٤١

(٣) أي ما نبت في ارض مساحتها جريبين ، والجريب الواحد يساوي ٣٦٠٠ ذراع مربع تقريبا .

وأما بالنسبة للرواتب ، فقد جعلها متفاوتة تختلف بحسب درجة القرابة من النبي ، والاسبقية في الجهاد ، وذلك حسب الجدول التالي :

٥٠٠٠ درهم سنويا[1] للعباس عم النبي ، ولاهل بدر ، والحسن ، والحسين ، و ٥٠٠ درهم لنسائهم ٠

٤٠٠٠ درهم سنويا لمن جاهد منذ أحد وحتى الحديبية ، و ٤٠٠ درهم لنسائهم ٠

٣٠٠٠ درهم سنويا لمن جاهد منذ الحديبية وحتى انهاء حروب الردة ، و ٣٠٠ درهم لنسائهم ٠

٢٠٠٠ درهم سنويا لمن اشترك في معارك القادسية والشام ، و ٢٠٠ درهم لنسائهم ٠

٢٥٠٠ درهم سنويا لاهل البلاء البارع من جيش القادسية والشام ٠

١٠٠٠ درهم سنويا للمسلمين الذين ابتدأوا بالجهاد بعد القادسية والشام ، و ١٠٠ درهم لنسائهم ٠

٥٠٠ درهم سنويا للروادف الذين لم يشهدوا معارك الاسلام الاولى ٠

١٠٠ درهم سنويا لنساء بقية المسلمين واصبيانهم ٠

أما أمراء الجيوش ، وقادتها فقد فرض لهم راتبا يتراوح بين ٧٠٠٠ و ٩٠٠٠ درهم سنويا ، وذلك لينفقوا منه على طعامهم وعلى ما تصلح به أمورهم ٠ وقد بقيت الرواتب على هذا الشكل حتى جاء علي بن أبي طالب الى الخلافة حيث سوى بين الجند في العطاء بدون أي تفضيل لواحد على آخر ، لان أهل السوابق كانوا قد انقرضوا ٠

---

(١) للتوسع في ذلك : راجع « فتوح البلدان » للبلادزي ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨ ٠ و « الجندية في الدولة العباسية » لنعمان ثابت ص ٨٧ ـ ٩١ ٠

ولما تولى الخلافة معاوية بن ابي سفيان زاد شيئا في اعطيات الجند ، بحيث جعل لكل منهم الف درهم ، كما رتب لاهل الشجاعة والبلاء في الحرب مبالغ اضافية ، وأحدث شعبة خاصة في ديوان الجند أسماها (ديوان العطاء والنفقات) لتوزيع رواتب الجند والاشراف على نفقاتهم .

وظل العطاء في الشام ، في زمن يزيد الاول ومروان بن الحكم ، على ما كان عليه في زمن معاوية ، ولكن عبد الملك بن مروان ، وسع الاعطيات بعض الشيء ، كما أن الوليد بن يزيد زاد العطاء بمقدار عشرة دراهم لما وصل الى كرسي الخلافة . ولكننا نرى رغم هذه الزيادات أن الرواتب قد قلت فجأة في أواخر عهد بني أمية ، حتى وصلت الى (٥٠٠) درهم فقط في عهد آخر خلفائهم .

وعندما آلت الخلافة الى بني العباس سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) ، قرر أول خلفائهم ، أبو العباس السفاح ، أن يكون راتب الجندي الواحد (٨٠) درهما في الشهر ، وجعل للفارس ضعف هذا الراتب لكي ينفق نصفه على فرسه . ولكن هذا الرقم انهار بعد سنوات قلائل من بدء العهد العباسي ، حيث أن الأعاجم أقبلوا على الانتساب لصفوف الجند اقبالا متزايدا ، وقبلوا ان تكون رواتبهم أقل بكثير من رواتب العرب لا حبا في التوفير على الدولة وانما ليجعلوا أصحاب الجند يفضلونهم على العرب ، وهذا ما جعل الراتب في زمن المأمون ينخفض الى (٢٠) درهما لجندي المشاة و (٤٠) درهما للجندي الخيال [1] . ولكن ما ان تمكن الاعاجم من الجيش حتى أخذوا يطالبون بزيادة أعطياتهم ، ولما كانت هذه الاعطيات تتراكم أو تتأخرعليهم ، كانوا يخلعون الخليفة ويعرضون منصبه على من يتمكن من ارضائهم .

---

(١) كان الدينار أيام عمر بن الخطاب يساوي (١٠) دراهم ، وأصبح في أيام المأمون يساوي (١٥) درهما . وقد عادل المرحوم أحمد زكي باشا في كتابه « **الحضارة** الاسلامية » الجنيه المصري الواحد بخمسة وعشرين درهما .

ولما أتى السلاجقة الى الحكم ، لاحظ وزيرهم نظام الملك الطوسي ، كثرة الاراضي الميتة في أطراف الدولة ، فصمم على احيائها وذلك باقطاعها لقادة الجيش بدلا من الاعطيات التي كانت مقررة لهم ، وقد اقتدى الايوبيون والمماليك بنظام الدولة السلجوقية في الاعطيات ، فطبقوا نظام الاقطاع أيضا ، ولكن بدون أن يسمحوا بتوارثه ، حيث كان المقطع منهم يحل في الاقطاع محل السلطان فينتفع بغلاته وايراداته قبل أن يعود جميعه الى السلطان بمجرد انتهاء مدة الاقطاع المتفق عليها أو بسبب وفاة المقطع ٠ واختلفت غلة أمراء المماليك من اقطاعاتهم ، فقد بلغت غلة بعض أمراء المئات نحو ٢٠٠٠٠٠ دينار ، ويليهم من غلتهم أقل من ذلك بمقدار النصف أو الربع ، وأما أمراء العشرات فنهاية أعطياتهم ٧٠٠٠ دينار الى ما دون ذلك ٠

ب ـ الاطعام :

ان السؤال الاول الذي يتبادر الى أذهاننا بالنسبة لاطعام الجند هو : كيف كان يتم الطهي للجند في السلم والحرب ؟ هل كان هناك طهي اجماعي أم أن كل جندي كان يطهو طعامه الخاص منفردا عن الآخرين ؟ ان المصادر التي تعطينا بعض المعلومات عن حياة الجندية عند العرب ، لم تبين لنا نظام الاطعام عندهم بنص صريح ، وكل ما في الامر أن هنالك بعض العبارات التي تشير اشارة عابرة الى كيفية تموين الجند بالاغذية ٠

فقد ذكر البلاذري مثلا ، في كتابه « فتوح البلدان » [1] ، أن عمرو بن العاص ، بعد أن فتح مصر ، ألزم كل ذي أرض بتأدية « ثلاثة أرادب حنطة وقسطي زيت وقسطي عسل وقسطي خل رزقا للمسلمين تجمع في دار الرزق وتقسم فيهم» ٠ ومن هذه العبارة يمكننا أن نستنتج أن الاطعمة كانت توزع على المسلمين ليقوموا هم ـ أو نساؤهم في حال وجودهن ـ بتحضيرها٠ ولم يكن هناك عمليات امداد بالتموين من العاصمة ، المدينة المنورة ، باتجاه

---

(١) فتوح البلدان ٢١٦

جبهات القتال لان الحجاز أرض فقيرة ، بل بوسعنا ان نقول انه غالبا ما كان يحدث العكس ، وذلك بأن تقوم جبهات القتال بارسال بعض التموينات الى المدينة المنورة ، كما حدث سنة ٢١ هـ (٦٤١ م) حين كتب عمر بن الخطاب « الى عمرو بن العاص يعلمه ما فيه أهل المدينة من الجهد ، ويأمره أن يحمل ما يقبض من الطعام في الخراج الى المدينة فكان ذلك يحمل ويحمل معه الزيت.. ثم جعل في دار بالمدينة وقسم بين الناس بمكيال »[١].

ولكن لا يوجد في كتاب البلاذري أو في المصادر الاخرى ما يوضح قضية طهي الارزاق المستلمة من قبل الجند ، أي فيما اذا كانت هذه الارزاق تطهى بصورة افرادية ، ام تتسلمها قيادة الوحدة العسكرية لتقوم عناصر خاصة تتبع هذه الوحدة بطهوها وتحضيرها .

ونحن نميل للاخذ بالفرضية الاولى مستدلين بأن الخليفة الثاني قد خصص للمسلم وعائلته جريبين من الحبوب في الشهر ، وهذا ما يدل على أن الطهي كان يتم في منازل عائلات الجند بصورة افرادية . كما أن مما يؤيد هذه النظرية ان المسلمين كانوا يصحبون نساءهم في غزواتهم خصيصا لطهو طعامهم وامدادهم به . ولكن لما اتى العهد العباسي منع الجند من اصطحاب نسائهم للحرب فكيف كان طعامهم يؤمن في هذه الحالة ؟ لا يوجد رأي بات في الموضوع ، ولكننا نعتقد بأن كل جندي كان يسلم ارزاقه لمدة معينة ، وهي في أغلبها من الارزاق الناشفة التي تؤكل دون طهي ، وأما ما يحتاج الى طهي فقد كان يطهوه ليلا بعد انتهاء المعركة ، وهذا لا يمنع طبعا من اتفاق عدة أشخاص فيما بينهم على تحضير طعامهم بشكل جماعي .

جـ ـ الاسكان :

كان الجنود العرب في صدر الاسلام يقطعون المسافات الطويلة على ابلهم أو خيولهم بدون أن توجد لهم أية أمكنة للراحة على طول الطريق ،

---

(١) فتوح البلدان ٢١٧ ـ ٢١٨

ولما اتى عمر بن الخطاب الى الحكم أمر ببناء معسكرات استراحة علـى أطراف الطرقات الصحراوية ليأخذ الجنود راحتهم فيها •

ولما توسعت حركة الفتوحات وتوغل المسلمون داخل بلاد الاعاجم وأهل الذمة ، اشترطوا على هؤلاء ايواء جنودهم لمدة ثلاثة أيام على الاكثر في مدنهم • فاذا طالت المدة عن ذلك فانهم كانوا ينزلون في البيـوت التي خلفها جنود العدو فارغة ، وفي حال عدم وجود مثل هذه البيـوت كانوا ينصبون مخيمات لهم خارج المدينة ليسكنوها ريثما يتم انشـاء معسكرات دائمة لهم •

وهكذا كان المسلمون كلما وجدوا من الضروري الاقامة على مقربة من احدى المدن لحمايتها ، أخذوا موافقة الخليفة وبدأوا بانشاء معسكر دائم على مقربة من هذه المدينة ، وكانوا ينشئون هذه المعسكرات خارج المدن بعيدا عن بيوت الناس ، ولذلك غضب أهل الكوفة جدا لما انزل الحجاج جنده من أهل الشام في بيوتهم ، وشكوا أمرهم للخليفة عبد الملك بن مروان •

وكانت هذه المراكز العسكرية الدائمة تضم عادة ما يلي :

١ ــ أحدثت بها ثكن (ج ثكنة بضم الثاء وسكون الكاف) لاسـكان الجند ، والثكن كما يعرفها صاحب « الافصاح في فقه اللغة » هي « مراكز الاجناد على راياتهم ومجتمعهم على لواء صاحبهم وعلمهم » • وكان عـدد الحامية التي تقطن كل ثكنة يختلف بحسب القيمة التعبوية والستراتيجية للمدينة التي ترتبط الثكنة بها •

٢ ــ كانت تحوي عادة (حمى) لربط الخيل [1] •

٣ ــ كانت تحوي أيضـا مسـتودعات لحفظ تجهيزات الجيش وأسلحته ولوازمـه لتوزع موجوداتها على مفـارز الجيش المرابطة على مقربة منها •

---

(١) الحمى هو مكان تربية الخيل ، وقد ذكر السمهودي في كتـابه (خلاصة وفاء الوفاء) حمى المدينة المسمى « الربذة » وحمى قرب مكة يسمى « ضرية » •

٤ ـ كما أن وجود عدد كبير من الجند في كل مدينة كان يستلزم فتح سجل (ديوان) خاص في كل منها لضبط عددهم وأسمائهم وأعطياتهم وغير ذلك من المعلومات الضرورية •

ولم تكن هذه المعسكرات أكثر من مضارب خيام في بادىء الامر ، ثم أخذت تنتقل اليها عائلات الجنود شيئا فشيئا حتى أصبحت مدنا كبيرة • والذي نلاحظه في انشاء المعسكرات الاسلامية ان المسلمين كانوا لا يقيمون في مكان يفصل الماء فيه بينهم وبين عاصمة الخلافة ، وذلك تنفيذا لوصية عمر ابن الخطاب الى عمرو بن العاص لما اراد اتخاذمدينةالاسكندريةعاصمة له في مصر [1] • وأشهر الثكن التي بنيت في زمن الخلفاء الراشدين هي :

١ ـ البصرة :

بنيت من اللبن والقصب من قبل القائد عتبة بن غزوان بعد معركة القادسية سنة ١٤ هـ وكانت معقلا للجيوش العربية المعدة للدفاع عن جنوب العراق ، وبلغ تعداد حاميتها (٨٠٠٠٠) في زمن الخليفة ابي جعفر المنصور وقد أصبح بناؤها من الآجر والحجارة فيما بعد •

٢ ـ الكوفة :

بناها القائد الشهير سعد بن ابي وقاص سنة ١٧ هـ (٦٣٨ م) من القصب ، ثم أعيد بناؤها من اللبن بعد ذلك ، وأسكنها سعد لما بناها (٤٠٠٠٠) جندي ، ولكن هذا الرقم ارتفع الى (٦٠٠٠٠) فيما بعد ، وكان من هؤلاء (١٠٠٠٠) جندي جاهزين للطوارىء في الخيام •

٣ ـ الفسطاط :

أسسها عمرو بن العاص سنة ٢٢ هـ في موضع يقع شمال حصن « بابيلون » الذي كان معقلا للروم قبل ذلك الوقت ، وقد اسكنها عمرو

---

(١) يقول عمر في كتابه هذا : « اني لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف ، فلا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى أردت أن أركب اليكم راحلتي حتى أقدم اليكم قدمت » • (أنظر كتاب « الجندية في الدولة العباسية » ص ٢٥ ـ ٢٦) •

نصف حامية القطر المصري بكامله ، ووزع النصف الآخر على الاسكندرية والسواحل . وظلت الفسطاط مقرا للامارة في مصر حتى سـنة ١٣٣ هـ (٧٥٠ م) حين بنى العباسيون مدينة « العسكر » ، ثم بنى أحمد بن طولون سنة ٢٥٧ هـ على مقربة من الفسطاط ، وفي سفح جبل المقطم ، عاصمة له أسماها « القطائع » ، وأتى القائد الفاطمي جوهر الصقلي فبنى فوق بقاياها مدينة القاهرة الحالية سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) .

٤ ـ القيروان :

بناها عقبة بن نافع في أواخر عهد الخليفة عثمان بن عفان سنة ٣٥ هـ (٦٥٥ م) ، وجعلها معقلا لعسكره ، ومقرا لولاة أفريقية فيما بعد .

ولما وصل الامويون الى الحكم ساروا على أثر الخلفاء الراشدين في بناء الثكن ، واعتنوا كثيرا في توسيعها وتحويلها الى مدن وأكثروا من الاهراء فيها لخزن الطعـام والارزاق والعلف . وأهم الثكن التي بنيت في العهـد الاموي هي :

١ ـ واسط :

بناها الحجاج بن يوسف الثقفي فيما بين ٨٣ و ٨٦ هـ (٧٠٢ـ٧٠٥م) لتكون دارا للامارة في العراق ، وتقع على مقربة من قرية (الحي) القائمة في جنوب العراق الآن .

٢ ـ المحفوظة :

بناها الحكم بن العوام في بلاد الهند وجعلها قاعدة لانطلاق المسلمين نحو الشرق .

٣ ـ الرملة :

بناها سليمان بن عبد الملك لتكون قصبة لفلسطين ، وتقع أطلالها على بعد ٦ أميال من بلدة يافا الحالية في فلسطين .

كما أن العباسيين لم يقصروا في بناء الثكن التي انقلبت فيما بعد الى مدن وأشهرها :

١ ـ بغداد :

أمر الخليفة ابو جعفر المنصور ببنائها لانها تؤمن له كعاصمة الاغراض التالية [١] :

ـ سهولة مدادها بالاغذية والتجهيزات ، فهي كما وصفها المنصور « هذا موضع معسكر صالح ، هذه دجلة ، ليس بيننا وبين الصين شيء ، يأتينا فيه كل ما في البحر ، وتأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينيا وما حول ذلك ، وهذا الفرات ، يجيء فيه كل شيء من الشام والرقة وما حول ذلك » [٢] .

ـ ان دجلة والفرات حواجز طبيعية صعبة الاجتياز لمن يفكر بغزو العراق .

ـ تقع في مكان متوسط بين البصرة والكوفة وواسط والموصل .

وقد انتهى بناء بغداد سنة (١٤٥ هـ) (٧٦٢ م) وأصبحت عاصمة للدولة العباسية .

٢ ـ الرافقة :

بناها الخليفة المهدي سنة (١٥٥ هـ) (٧٧١ م) وكانت تستوعب عشرات الالوف من الجند مع طعامهم وعلف خيلهم وأسلحتهم .

٣ ـ سامراء :

بناها المعتصم سنة (٢٢١ هـ) (٨٣٥ م) لتكون عاصمة جديدة بعد

---

(١) ذكر بعض هذه الاغراض ابن الاثير في « الكامل » ج ٥ ـ ص ٢٠٧ ، والرئيس الاول الركن نعمان ثابت في كتابه « الجندية في الدولة العباسية » ص ٣٢ ـ ٣٣ ، وغيرهما كثيرون .

(٢) « الجندية في الدولة العباسية » ـ ص ٣٢

ازدياد مؤامرات الأعاجم ضده في العاصمة القديمة (بغداد) ، وقد كانت من الجمال بحيث يقال ان اسمها الاصلي هو (سر من رأى) .

★ ★ ★

ومن هذه العجالة يتبين لنا أن الشؤون الادارية للجيش العربي في عصر ازدهاره كانت على درجة عالية من التنظيم ، حتى أن عدة دوائر استحدثت وألحقت بديوان الجند لكي تتولى الاهتمام بفروع الشؤون الادارية ، ومن هذه الدوائر المستحدثة :

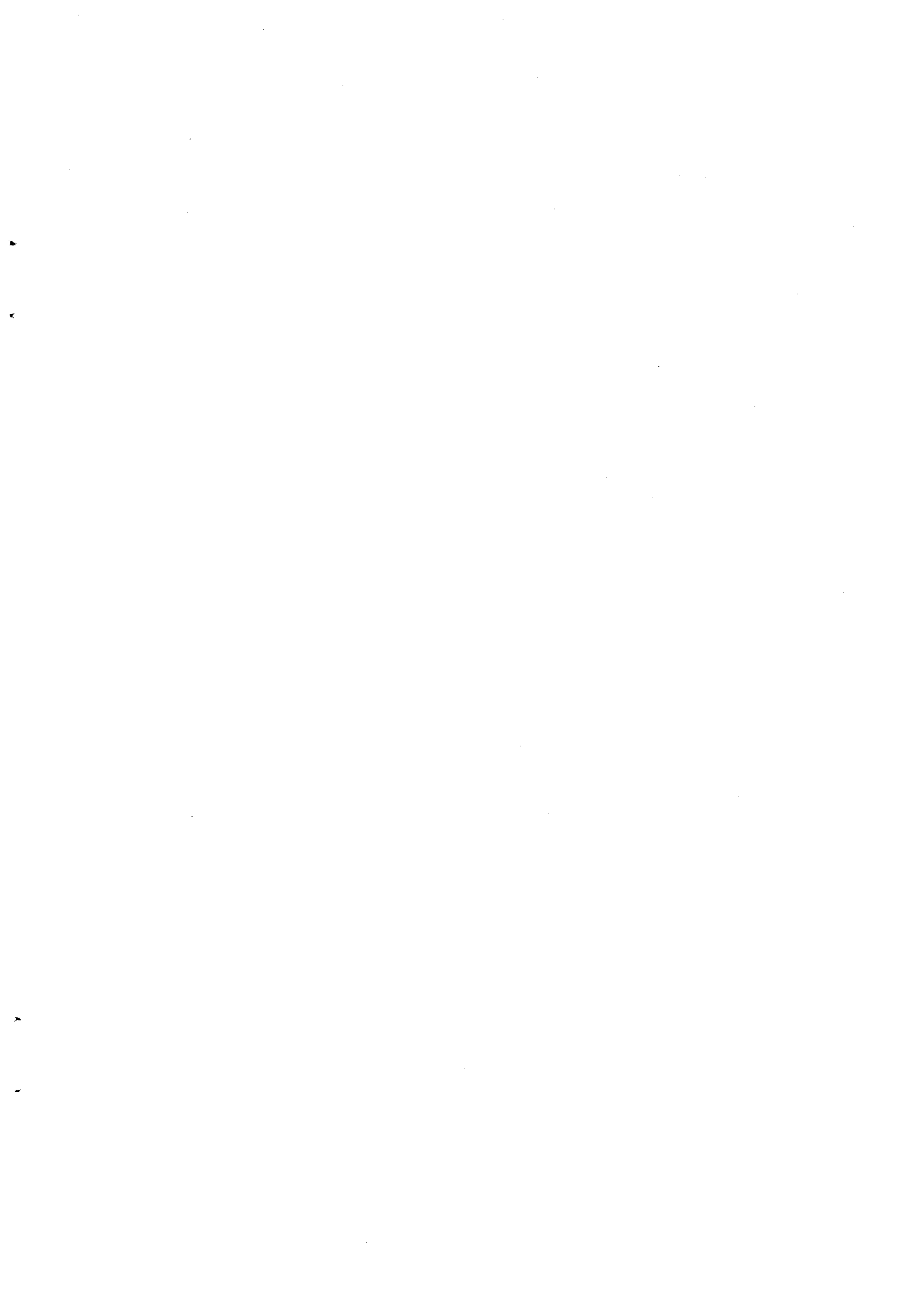
- ديواء العطاء والنفقات : لضبط الاعطيات ونفقات الجيش .
- ديوان الاهراء [1] : للاهتمام بقضايا الاطعام ومشتقاته .
- ديوان المسالح : ومهمته العمل على تسليح الجيش وتأمين تجهيزاته .
- ديوان المراسلات : ومهمته تأمين ارسال أوامر الخليفة الى قادة جيوشه وتلقي تقاريرهم عن حالة هذه الجيوش ومتطلباتها .

وهذا التنظيم يجعل هذه الدواوين الادارية تشبه (هيئة الامداد والتموين) في الجيوش الحديثة ، مما يدلنا على مقدار التقدم الذي وصلت اليه الشؤون الادارية للجيش العربي في عصور ازدهاره .



---

(١) الاهراء جمع « هرى » وهو بيت كبير تخزن فيه الحنطة



الفصل الرابع

الألبسة والألوية والرايات

آ ـ الالبسة :

لعله كان من الافضل اضافة بحث « الالبسة » الى الفصل السابق الذي يتعلق بالشؤون الادارية للجيش العربي ، ولكن ما دعانا الى وضعه في هذا الفصل هو علاقته بالشارات المميزة للجيش من جهة ، ولنقدر على اضافة بحث « استعراض الجند » اليه من جهة ثانية .

ولعل أول سؤال يتبادر الى الذهن فيما يتعلق بموضوع الالبسة هو : هل كان للجند لباس موحد خاص بهم يميزهم عن بقية افراد الشعب ؟ من المؤكد أن الجند كان لهم لباس مميز ، ولكننا نستبعد ان يكونوا قد عرفوا اللباس الموحد بالمعنى الذي نفهمه من هذا التعبير في عصرنا هذا ، وخاصة قبل سنة (٨٠ هـ) (٦٩٩ م) . ويمكن أن نقول في هذا الصدد ، ان قضية « توحيد لباس الجند » قد تقدمت بخطى سريعة منذ بداية الحكم الاموي ، حيث أمكن منذ ذلك الوقت تمييز الجند عن غيرهم ، وهو الامر الذي لم يكن ممكنا في عهد الرسول والخلفاء الراشدين .

ونظرا لان اللون الذي تبناه الامويون كان « الابيض » فمن المرجح أن

يكون اللباس الموحد للجند في العهد الاموي قد أخذ هذا اللون أيضا ، وأما بالنسبة لطبيعة هذا اللباس فقد كان على الارجح عبارة عن « عمامة » و « سروال » يعلوه « قباء » يتدلى الى ما تحت الركبة بقليل ، مع حذاء يشبه الاحذية التي يرتديها أهل أفغانستان اليوم •

ومن المؤكد أن قادة هذا الجيش من أمراء ونقباء وعرفاء كانوا يرتدون أزياء تميزهم عن افراد الجند ، ويغلب على الظن أن أقبيتهم كانت أطول من أقبية بقية الجند وتزدان بصف من الازرار المتقاربة ، وفي بعض الاحيان كانوا يشدون اوساطهم بحزام من الحرير •

ولما وصل العباسيون الى كرسي الخلافة وتبنوا اللون الاسود كشعار لهم ، كان من الطبيعي أن ينقلب اللون الموحد لالبسة الجند الى السواد ، وقد ظل اللون الاسود اللون الرسمي للخلافة العباسية طيلة أيامها ، ما عدا تلك لفترة التي مرت بين سنة (١٩٨ وسنة ٢٠٤ هـ) (٨١٣ - ٨١٩ م) حيث أجبر المأمون جنوده ، نزولا عند مشورة وزرائه وقواده العجم ، على ارتداء الاقبية والعمائم الخضراء بدلا من السوداء التي كانت سائدة قبل مجيئه الى الحكم •

واثناء خلافة المعتصم تفشت العادات والتقاليد التركية بين أوساط الجيش ، فصار أغلب الجند يرتدون على رؤسهم القلانس الطويلة التركية بدلا من العمائم العربية ، ولكن لون السواد عاد الى منزلته المفضلة كشعار رسمي للدولة •

وأما الالبسة في زمن الدولتين الايوبية والمملوكية فقد توحدت أشكالها وألوانها أكثر مما كانت عليه قبلا ، حيث أصبح الجند في عهد هاتين الدولتين يلبسون على رؤوسهم قلانس صفراء بدون عمامة كان يطلق عليها اسم « كلوتات » [1] ، كما كانوا يرتدون أقبية ضيقة الاكمام من القطن البعلبكي ، وألوانها غالبا ما تكون بيضاء ولكن أحيانا تكون حمراء أو

---

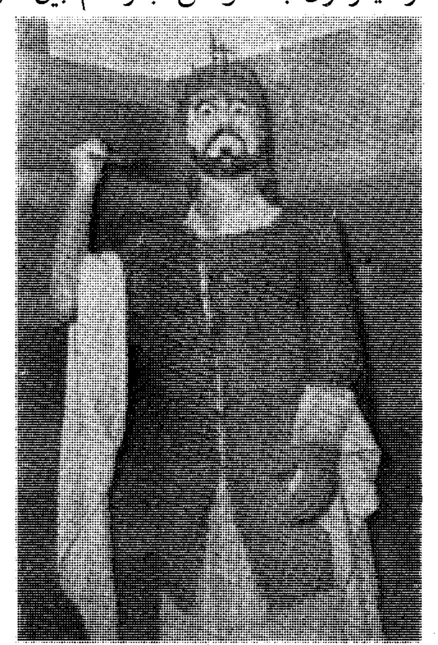
(١) انظر قاموس دوزي

زرقاء ، وكانوا يشدون على أوساطهم بنودا من القطن ، بالنسبة لجنود الحلقة ، او من الحرير ، بالنسبة للمماليك السلطانية .

هذا فيما يختص بلباس الجند أثناء السلم ، وأما لباسهم أثناء الحرب فقد كان مثل ما ذكر سابقا مع اضافة تجهيزات الحرب التي تشمل الدرع والخوذة والترس والسلاح الفردي [1] ، وسنشرح خصائص وميزات هذه التجهيزات في الفصل المقبل .

ب ـ استعراض الجند :

وكان قادة المسلمين يهتمون بهندام الجند اهتماما كبيرا ، ولذا فقد كانوا يقومون باستعراض جنودهم بين فترة واخرى في زمن السلم واثناء التدابير التحضيرية للقتال في زمن الحرب ، فكيف كان يتم هذا الاستعراض ؟



الشكل رقم ١
لباس الجندي العربي الاول في الحرب
(عن تمثال في متحف دمشق الحربي)

لقد كان رؤساء القبائل يستعرضون رجالهم في العهد الجاهلي ، وكذلك كان يفعل الرسول ، حيث يروى انه في يوم بدر جعل الجند صفوفا وعاد فعدل هذه الصفوف عندما لاحظ بها بعض الخلل ، كما ان صاحب (السيرة الحلبية) يذكر أن الرسول قد عسكر في موقع (الشيخين) وهو في طريقه الى موقعة أحد سنة ٣ هـ حيث

---

(١) يمثل الشكل رقم (١) لباس الجندي العربي في الحرب وذلك في عهد الخلفاء الراشدين والنصف الاول من خلافة بني أمية ، وأما بعد ذلك فقد تحسن لباسه عما يظهر في الصورة .

استعرض قومه في ذلك الموقعورد منهم جمعا لم يبلغوا خمس عشر سنة [1].

وقد اتبع الخلفاء الراشدون عادة (عرض الجند) [2] على نحو ما تقدم في زمن الرسول ، كما ان الخلفاء الامويين اهتموا اهتماما بالغا بأمر العرض وخاصة في عهـد عبد الملك بن مروان الذي يروى أن أحـد ولاته ، وهو الحجاج بن يوسف الثقفي ، كان يسأل أثناء استعراضه الجند ، رجلا رجلا من هو وكيف حاله ولاية قبيلة ينتمي وكيف سلاحه ودابته ، وانه حين وجه محمد بن القاسم الثقفي الى السند سير معه آلاف المقاتلين وجهزهم بكل ما يحتاجون اليه حتى الخيوط . وأما الخلفاء العباسيون فقد أعاروا قضية « العرض » كل الاهتمام ، وأنشأوا لها ديوانا خاصا يرتبط ارتباطا مباشرا بديوان الجند أطلقوا عليه اسم « ديوان العرض » . وقد حرص الخلفاء العباسيون على استعراض الجند بانفسهم ، حيث كان الخليفة يجلس على منصته أو يمتطي جواده وعليه لباس الحرب ، فينادي المنادي بأسماء القواد حيث يمر كل منهم مع جنده أمام الخليفة ليتفقد أفراسهم وعدتهم وآلاتهم ومهماتهم الفردية ، التي يجب ألا ينسوا شيئا منها والا عوقبوا بحرمانهم من بعض أرزاقهم وهي عقوبة تشبه عقوبة حسم الراتب او التغريم التي تفرض بحق الجنود المهملين اليوم .

أما هذه المهمات (الادوات) التي كان يطالب المقاتل بحيازتها عنـد مروره في ساحة العرض ، فأهمها : الدرع ـ المغفر ـ الزرد ـ الترس ـ الرمح ـ الدبوس ـ السكين ـ قوسان موتوران ـ وتران احتياطيان خيفة من انقطاع الوترين الاصليين ـ جعبة للسهام ـ قليل من النفط ـ ابر ـ خيوط ـ زناد . هذا بالنسبة للمقاتل الراجل ، واما الخيال فقد كان يطالب بأدوات اضافية مثل : الكفوف ـ الرانات ـ التجافيف ـ الحبال ـ المخالي ـ

(١) انظر « تحفة الناظرين » المطبوع على هامش « فتوح الشام » ـ ج ١ ـ ص ٦٣ .

(٢) يميز حاليا بين كلمتي « عرض » و « استعراض » ، ولكن هذا التمييز لم يكن قائما في ذلك الوقت .

السكك ـ المقاود ـ مسلة ـ طرطور ـ لباد •• وغير ذلك من لوازم الخيل•

وكان الخليفة أو ممثله بعد استعراض الجند يقوم بتفتيش السلاح والدواب والميرة حيث يتصفح وسائل النقل من خيل ونوق وبرازين ، فيخرج الضعيف منها ويمنع من تحميلها أكثر مما تطيق ، كما كان يتأكد من توفر الميرة والعلوفة للجند ودوابهم •

ولا بد للحديث عن « الاستعراضات » من أن يقودنا الى حديث آخر وهو « الموسيقى » ، فهل كان للجند العربي فرق موسيقية كما هو الحال في الجيوش الحديثة ؟ نعم ، ولكن ليس بالشكل الذي نفهمه الآن • لقد كان العرب في جاهليتهم لا يعرفون من الآلات الموسيقية غير الطبل ، فلما جاء الاسلام اخذ الخلفاء الراشدون يتجافون عن اتخاذ الابواق والطبول تنزها عن التشبه بالملوك ، ولكن لما انقلبت الخلافة ملكا ، واختلط العرب بالفرس والروم والاتراك ، كان من جملة ما اقتبسوه عنهم بقية الادوات



الشكل رقم ٢

جند من المسلمين باعلامهم وأبواقهم في القرن الثامن للهجرة

نقلا عن مخطوط قديم

الموسيقية ، واما موسيقى الجند فقد بقيت قاصرة على الطبل والبوق ، وربما كان الجيش الواحد يحوي مئات الطبـــول والابواق ، حتى ليروى أن الخليفة العزيز الفاطمي قد اصطحب في جيشه (٥٠٠) عازف بوق لما تقدم الى فتح بلاد الشام [١] •

وكانت الموسيقى ترافق الاستعراضات العسكرية في الســلم ، ولكن أهميتها للمسلمين كانت في زمن الحرب أكثر من زمن السلم ، حيث كانت فرق الجند الموسيقية تكلف بالعزف أثناء المعمعة لاثارة حماس الجند وصرف اذهانهم عن الاخطار التي يتعرضون اليها اثناء الحرب •

ج ـ الرايـــات :

يقول صاحب كتاب « السلاح في الاســلام » في معرض حديثــه عن الرايات : « لقد كانت الرايات وما زالت رموزا قبلية أو قومية أو حربية ترمز الى شعار خاص أو الى أحوال خاصة بأصــحابها أو الى أمجاد أو خــرافات قديمة أو تحرر من نير أجنبي أو اتحاد أقوام كثيرين يلتفون حول رايــة واحدة يتخذونها شعارا لقوتهم التي استمدوها من اتحادهم ، وتتلون هذه الالوية بألوان خاصة او تحمل رسوما او كتابات ذات اشارات ومعان تتفق وما يرمز اليه أصحابها [٢] • والراية واللواء كلمتان مترادفتان تقريبا،ولكن اللواء أكبر من الراية بحيث يعقد اللواء لامير الجيش وتعقد الراية لامراء القبائل أو الكراديس [٣] •

ولقد كان من تقاليد العرب خلال القتال أن ترفع كل قبيلة لواءها الذي تتميز به على رأس رمح عادة ، فاذا اجتمعت عدة قبائل اختصت احداهـــا

---

(١) انظر الشكل رقم (٢) الذي يصور جماعة من الجنـــد العربي بطبولهم وأبواقهم • (عن مخطوط عربي يعود تاريخه للقرن الثامن هجري في مكتبة لينينغراد ، وقد نقلناه نحن عن كتاب « التمدن الاسلامي » لجرجي زيدان) •

(٢) السلاح في الاسلام ص ٥٠ ـ ٥١ •

(٣) « الفن الحربي في صدر الاسلام » ص ٨٣ •

بشرف حمل الرايـــــة ، فكان أفراد قبيلة قريش مثلا اذا خرجوا لحرب أخرجوا راية سوداء كانت لديهم تدعى « العقاب » ، فاذا اجتمع رأيهم على أحد سلموها له والا فانهم يسلمونها الى صاحبها الذي كان يختار مرة من بني أمية ومرة من بني عبد الدار • وقد كانت هذه الراية لديهـــم بمثابة « راية الرؤساء » ، وأما سبب تسميتها بالعقاب فلا يخرج عن أحد الافتراضين التاليين :

١ ــ اقتباسا عن العلم الروماني الذي كان يدعى « العقاب Aquila » نظرا لتطريز صورة هذا الطائر عليه •

٢ ــ للدلالة على منعة الراية تمشيا مع التعبير الذي يقول « أمنـــع من عقاب الجو » ، ومما يؤيد هذا الافتراض ان الكلمة التي ترادف كلمة « الراية » ، وهي « العلم » ، تدل على المنعـة أيضا لان معناها الاصلي هو « الجبل » •

هذا بالنسبة للراية ، وأما الالوية فقد كانت متعددة الاشكال في عهد الجاهلية ، ولكن ألوانها لم تتجاوز الالوان الاربعة التاليـــة : الاحمر ــ الاسود ــ الاصفر ــ الابيض • فعلم مملكة سبأ مثلا كان أصفر مع سيف مرسوم عليه ، وعلم الحجاز قبل الاسلام كان أحمر ، وعلم قريش قبل الاسلام كان أسود وهكذا •••

وأمـا في زمن الرســـول فـــلم تتجاوز ألوان الاعـــــلام الاسود أو الابيض ، وكانت راياته سوداء وألويته بيضاء على الاغلب • ففي يوم بدر كان هناك لواء أبيض عقده الرسول للأوس وآخر باللون نفسـه عقده للخزرج ، واحتفظ هو براية الحرب السوداء التي احتفظت باسمها الذي كان لها في عهد الجاهلية وهو « العقاب » • وتؤكد أغلب المصـــادر التاريخية أنه وجدت رايتان احداهما سوداء والاخرى بيضـاء عـلى رأس الجيش الذي قاده الرسول لفتح مكة وفي معركة ذات السلاسل •

وأول لواء عقده الرسول كان أبيض اللون سلمه لعمه حمزة قائلا « خذه يا اسد الله » ، وأما أول راية في الاسلام فقد عقدها الرسول في غزوة « حنين » بعد أن اقتصها من برد أسود كانت ترتديه زوجه عائشة بنت أبي بكر •

وقد حافظ الخلفاء الراشدون على اللونين اللذين تبناهما النبي ، وأخذوا يكتبون بالحبر الاسود على الرايات والالوية البيضاء كلمات الشهادتين • وكان الخلفاء الراشدون اذا وجهوا جيشا لحرب عقدوا له الالوية وسلموا لكل أمير لواء قبيلته ، وكانوا يدعون للامراء بالنصر ويوصونهم بالصبر في الجهاد • وكان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب اذا عقد لواء يقول وهو يعقده لصاحبه : « بسم الله وبالله وعلى عون الله ، امضوا بتأييد الله وما النصر الا من عند الله ، ولزوم الحق والصبر فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، ولا تجبئوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان وعند شن الغارات » • ويظهر أن كلمة عقاب أصبحت ترادف « راية الحرب » لدى المسلمين ، حيث نجد راية في عهد الخلفاء الراشدين اسمها « العقاب » ، كما ونجد في وقعة (صفين) راية لدى جيش علي اسمها « العقاب » حملها هاشم بن عتبة ، وحوى جيش معاوية راية أخرى تحمل الاسم نفسه حملها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، مما يجعلنا نعتقد بأن كلمة « العقاب » قد أصبح معناها « راية الحرب » على مرور الزمن • ويمكننا أن نقول ان العرب قد عرفوا منذ جاهليتهم وحتى بدء العهد الاموي « اللواء » ، وهو ما كان يعقد على الرمح لقائد الفصيلة الغازية ، و (الراية) وتخرج في حالة الحرب فقط • وكان لون الراية أسود في زمن الجاهلية ، ثم أصبح أبيض أو أسود في زمن الرسول ، وأصبح يكتب على الراية البيضاء كلمات الشهادتين في أواخر أيام الرسول وعهد الخلفاء الراشدين • ولما جاءت

دولة الامويين اتخذ خلفاؤها لانفسهم البياض كشعار لهم ولذا كانت راياتهم بيضاء اللون ، وهذا ما يجعلنا نستغرب ما ذكره صاحب كتاب « التمدن الاسلامي » من أن اعلام بني أمية كانت حمراء ، مع أن الامويين تمسكوا باللون الابيض كشعار لهم سواء في خلافتهم بالشام أو في أوائل حكمهم بالاندلس [1] . وقبل مجيء بني أمية الى الحكم لم يكن للرايات شكل معين ولكنها أخذت في عهدهم هذا الشكل بحيث أصبحت مستطيلة يطرز عليها اسم الخليفة من جهة والشهادتان من الجهة الثانية . وأما الالوية فقد كثرت في زمنهم وتعددت أشكالها وألوانها ، وأهم هذه الالوان كان اللون الاحمر وهو شعار القيسية ، واللون الابيض وهو شعار اليمانية ، وقد اتخذ الموحدون فيما بعد اللون الابيض كشعار لهم ، واتخذ المرابطون اللون الاسود بالمقابل [2] . وتروي كتب التاريخ أن ابراهيم الامام ، صاحب الدعوة العباسية ، قد بعث لابي مسلم الخراساني ، لما عينه قائدا لجيوش هذه الدعوة ، براية اسمها « السحاب » وبلواء يدعى (الظل) ، وقد عقد ابو مسلم كلا منهما على رمح طوله أربعة عشر ذراعا . وبما أن العباسيين قد اتخذوا السواد شعارا لهم فيغلب على الظن أن لون ألويتهم وراياتهم كان اللون الاسود ، الا في قسم من عهد المأمون حيث اتخذ اللون الاخضر شعارا رسميا للدولة . والظاهر ان أنصار الدعوة العلوية من الشيعة ، وخاصة الاعاجم منهم ، قد اتخذوا هذا اللون الجديد « الخضرة » شعارا لهم ، لان المأمون لم يأمر جنده بلبس الثياب الخضر بدلا من السود الا لما بايع لعلي بن موسى العلوي بولاية العهد ، حتى اذا ما رجع عن هذه البيعة عاد الى السواد .

ولما عقد المتوكل البيعة لولديه سنة ٢٣٥ هـ (٨٤٩ م) عقد لكل منهما

---

(١) اتخذ ملوك الاندلس اللون الاحمر شعارا لهم عندما وصل أصحاب « العصبية القيسية » للحكم فقط .

(٢) أنظر كتاب « السلاح في الاسلام » هامش الصفحة ٥١ .

لواءين ، أحدهما أسود وهو « لواء العهد » ، والآخر أبيض وهو (لــواء العمل) • وأما بعد المتوكل فقد تعددت أشكال الاعلام والوانها بتعدد العناصر الدخيلة على الحكم العباسي وبتزايد نفوذها ، فنرى مثلا أن الخوارج قد اختاروا اللون الاحمر وغيرهم لونا آخر وهكذا •

ولما اتى الفاطميون الى الحكم اتخــذوا اللون الاخضر شــعارا لهم ، ولكنهم رغــم تبنيهم هــذا اللون فانهم لــم يعطوه لراية الحرب الخاصة بالسلطان ، اذ انه كان لديهم لواء دعي باسم (لواء الحمد) ، وهو عبارة عن راية بيضاء من الحرير المرقوم بالذهب كانت تحمل على رمحين ، كما كان لهم بالاضافة لهذه الراية عدد كبير من الاعلام الملونة التي أفرطوا في الاكثار منها حتى ليقال ان الخليفة الفاطمي « العزيز » خرج لفتح الشام مصطحبا معه ما لا يقل عن (٥٠٠) راية طول كل منها ذراعان وعرضها ذراع ونصف واغلبها مكتوب عليه (لا غالب الا الله) • وقد كثرت الاعلام والبنود في الدولة الفاطمية بشكل جعلت به أحد الخلفاء ينشيء دارا خاصة لحفظها أطلق عليها اسم « خزانة البنود » [١] •

وكانت نفقات هذه الدار (٨٠٠٠٠) دينار في كل سنة ، وقد حفظ فيها كل ما صنع من الاعلام لمدة قرن كامل ، حتى شب حريق أتى على كل ما كان فيها من الاعلام وفي جملة ذلك (لواء الحمد) • ولما استقر الحكم لصلاح الدين الايوبي في مصر ، منع الشعار الاخضر الذي تبناه الفاطميون واستخدم لاول مرة في الاسلام اللون الاصفر [١] كشعار لدولته ، الى جانب اللون الاسود وهو شعار العباسيين الذين بقيت الخلافة اسميا في سلالتهم •

---

(١) البند كلمة من أصل فارسي ترادف كلمة العلم تقريبا ، وقد دخلت هذه الكلمــة الفارسية نطاق الاستعمال في اللغة العربية منذ أن غنم العرب من الفرس في وقعــة القادسية رايتهم الكبرى التي كانوا يطلقون عليها اسم « بند » ، والتي كانت مصنوعة من جلد النمر ومرصعة بالجواهر الثمينة •

(٢) انظر : « الاعلام وشارات الملك في وادي النيل » للدكتور عبد الرحمن زكي •

وبعد زوال الدولة الايوبية احتفظ المماليك في مصر باللون الاصفر شعارا لهم ، حيث كان لسلاطينهم راية عظيمة من الحرير الاصفر اسمها (العصابة) ، وكان يطرز على هذه الراية اسم السلطان وأحيانا القابه [1] • أما ألوية المماليك فقد كانت تختلف باختلاف الامير الذي عقدت له ، حيث كانت تحمل على أحد وجهيها اسم الامير ، وعلى الوجه الآخر (الرنك) ، وهو الشعار الذي اتخذه هذا الامير لنفسه عند تأمير السلطان اياه [2] • وقد اتخذت الرنوك عدة اشكال هندسية فمنها المربع والمستطيل والبيضوي ، كما اتخذت اشكال الطيور والحيوان كالنسر والاسد والوعل وغير ذلك ، فشعار الملك الظاهر بيبرس مثلا كان الاسد وشعار غيره النسر وهكذا •• وقد تطور الرنك بمضي الزمن بحيث لم يعد يعطي للامير دلالة على وظيفة الامارة حين يعين عليها وانما اصبح شعارا للفرق الحربية المختلفة •

د ـ الشعارات :

وينبغي أن ننوه هنا بأن العرب لم يقتصروا على اتخاذ الوان معينة كشعارات لهم ، بل تعدوا ذلك الى استخدام الفاظ معينة أطلقوا عليها أيضا اسم الشعارات •

فمثلا كان شعار الاحزاب في غزوة أحد « يا للعزى يا لهبل » ، وشعار تنوخ في الحيرة « يا آل عباد الله » • وروى عروة بن الزبير عن أبيه أن النبي جعل لكل من المهاجرين والانصار شعارا ، فكان شعار المهاجرين « يا بني عبد الرحمن » ، وشعار الاوس » يا بني عبيد الله » ، وشعار الخزرج « يا بني عبد الله » ، وسمى خيله « خيل الله » [3] •

---

(١) انظر « السلاح في الاسلام » للدكتور عبد الرحمن زكي ـ ص ٥١ •

(٢) للتوسع في بحث « الرنوك » : راجع كتاب « الرنوك في الشرق » من تأليف يعقوب أرتين باشا ، والمقال الذي كتبه جمال محمد محرز عنها في مجلة « المقتطف » ـ ج ٢ ـ مجلد ٩٨ ـ ص ٤٦١ ـ ٤٦٨ •

(٣) « الجندية في الدولة العباسية » ص ٢٦٢ •

كما ان الرسول وضع للمسلمين شعارا معينا في كل غزوة ، حيث نجد شعارهم يوم بدر « يا نصر الله اقترب اقترب » ، وشعارهم يوم أحد « يا نصر الله اقترب » ، ويوم بني قينقاع « يا ربنـــا لا يغلبنك » ، ويوم الطائف « يا رضوان » ، ويوم حنين « يا بني عبد الله » ، ويوم الاحزاب « حم لا يبصرون » ، ويوم بني قريظـة « يا ســلام اسلمهم » ، ويوم بني المصطلق « الا الى الله الامر » ، ويوم الحديبية « الا لعنة الله على الظالمين »، ويوم خيبر « يا عل آتهم من عل » ، ويوم الفتح « نحن عباد الله حقا حقا »، ويوم تبوك « يا أحد يا صمد » . وقـد مشى المسلمون على سنة النبي فـي اتخاذ الشعارات ، فاتخذ أهل العراق مثـلا شعارا لهم يوم صفين « يا الله يا أحد يا صمد . يا رب محمد يا رحمن يا رحيم » ، بينما كان شعار أهل الشام في هذه الوقعة نفسها « نحن عباد الله حقا حقا . يالثارات عثمان » ، وكان شعار خـالد يوم عقرباء « يا محمداه » [1] ، وشـعار أبي عبيدة يوم اليرموك « أمت أمت » ، وشـعار المسلمين يوم فلسطين « يارب انصر أمـة محمد » [2] ... وغير ذلك .

وكانت هذه الشعارات في صدر الاســلام تسـتخدم كعلامة مميزة يهزجون بها لبث الحماس في القلوب ، ولكن لما ازداد عدد الجيش وتقـدم الفن الحربي لدى العرب ، بدأوا باستخدام هذه الشعارات اللفظية بمثابة كلمة السر أو « كلمة التعارف » في هذه الاوقات .

---

(١) الطبري ـ ج ٣ ـ ص ٢٥٠ .
(٢) الواقدي « فتوح الشام » ـ ج ١ ـ ص ١١ .

الفصل الخامس

الأسلحة الدفاعية في الجيش العربي

تشمل الاسلحة الدفاعية عند العرب : الدرع والخوذة والمغفر والطارقة والترس وغيرها .

آ ـ الدرع :

الدرع هي رداء يلبس في الحرب لتغطية الصدر والظهر ونصف الذراعين تقريبا ، وذلك لوقاية مرتديها من ضربات السيوف وطعنات الرماح وتأثير السهام .

والدرع اما أن تكون من صفائح من الصلب فتسمى عند ذلك «لأمة»، واما أن تكون من زرد الحديد فتدعى (الزرد) ، وأخيرا يمكن أن تكون من القماش الكتاني السميك أو الجلد وتدعى في هذه الحالة « دلاص » ، وهناك تسميات أخرى للدرع تختلف بحسب حجمها وشكلها ومكان صنعها والمواد التي صنعت منها . والدرع الزرد على عدة أنواع وذلك بحسب طريقة تداخل حلقها ، فهي اما ان تكون من زرد الحديد المنسوج حلقتين حلقتين نسجا محكما [1] ، أو المنسوج حلقة حلقة تصل بينهما

---

(١) انظر الشكل رقم (٣) الذي يصور درعا من زرد الحديد يعود تاريخه للقرن الرابع عشر ميلادي .

مسامير تدعى (الحرابي) ، مما يجعلها تشبه عيون الجراد أو ظهر السمك . والدرع الاسلامية تضم عدة أقسام :

١ ـ الجوشن :

كلمة من أصل فارسي ، جمعها جواشن ، وهي الواح صغار من الحديد ، أو من الحديد المزوج بمسحوق القرن ، أو من الجلد ، وتلبس حول الجزء الاوسط من الجسم فوق الثياب [١] . والجوشن



الشكل رقم ٣
درع اسلامية من زرد الحديد (عن المتحف الحربي السويسري)

---

(١) انظر القاموس المحيط للفيروزابادي في أول مادة جشن ، وكتاب « السلاح في الاسلام » للدكتور عبد الرحمن زكي .

بالنسبة للدرع الكامل هو الجزء الذي يقي الصدر مع الظهر أو الصدر فقط •

٢ ـ الخوذة :

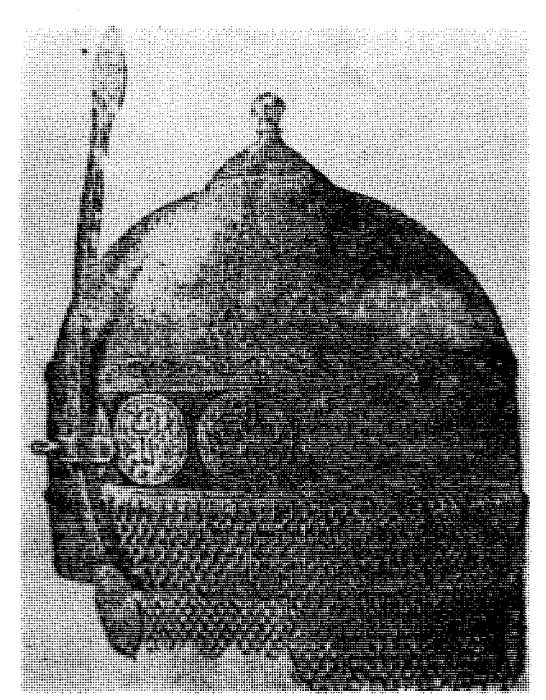
هي بيضة الحديد التي تغطي الرأس ، ويسمى مقدمها « القونس » ومؤخرها (الدائرة) • وقد اختلفت أشكال الخوذ عند العرب ، فقد اتخذت في المغرب شكلا يختلف عن الشكل الذي أخذته في المشرق ، فالخوذة التي تظهر في الشكل رقم (٤) مثلا هي خوذة أحد أمراء العرب



الشكل رقم ٤

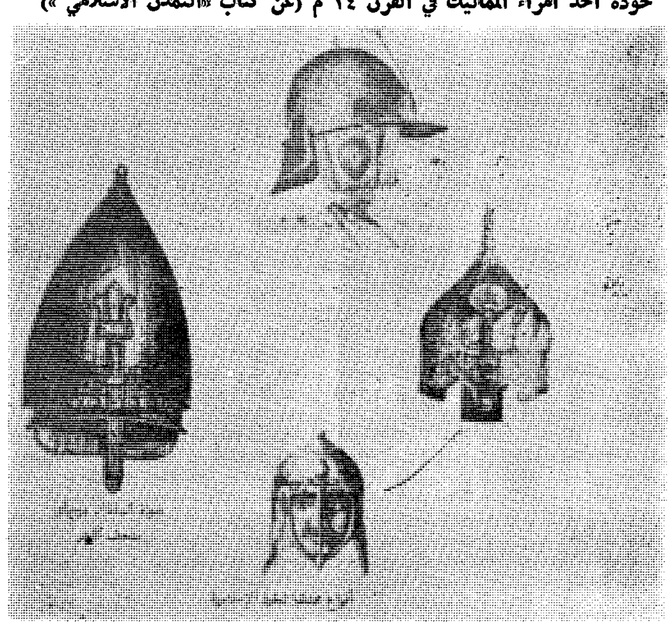
خوذة أندلسية يعود تاريخها للقرن ١٤ م • (عن المتحف الحربي السويسري)

في الاندلس ويعود تاريخها للقرن الرابع عشر الميلادي ، واما الخوذة التي تظهر في الشكل رقم (٥) فهي خوذة أحد سلاطين المماليك في مصر خلال القرن نفسه • ويمكننا بمقارنة الصورتين ان ندرك مدى الفرق بين النوعين• كما ان الشكل رقم (٦) يبين الانواع الاخرى من الخوذ التي استخدمت



الشـــكل رقم ٥

خوذة أحد أمراء المماليك في القرن ١٤ م (عن كتاب «التمدن الاسلامي »)



الشـــكل رقم ٦

أنواع الخوذ الاخرى التي استخدمها العرب والمسلمون (عن كتاب «السلاح في الاسلام »)

في الجيش العربي • وبالاضافة الى هذه الانواع من الخوذ ، فقد أخذالعرب يستخدمون منذ بداية القرن الثاني عشر بعض الخوذ التي غنموها من الصليبيين ، ولكنهم لم يقلدوها ويسلحوا بها جيشهم لعدم اعجابهم بها •

٣ ـ المغفر :

هو الخوذة المصنوعة من الجلد في الاصل ، ثم أطلقت هذه التسمية على الحلق الذي يغطي الرقبة وجوانب الوجه ، والذي يكون عادة متصلا بالجوشن أو بالخوذة نفسها •

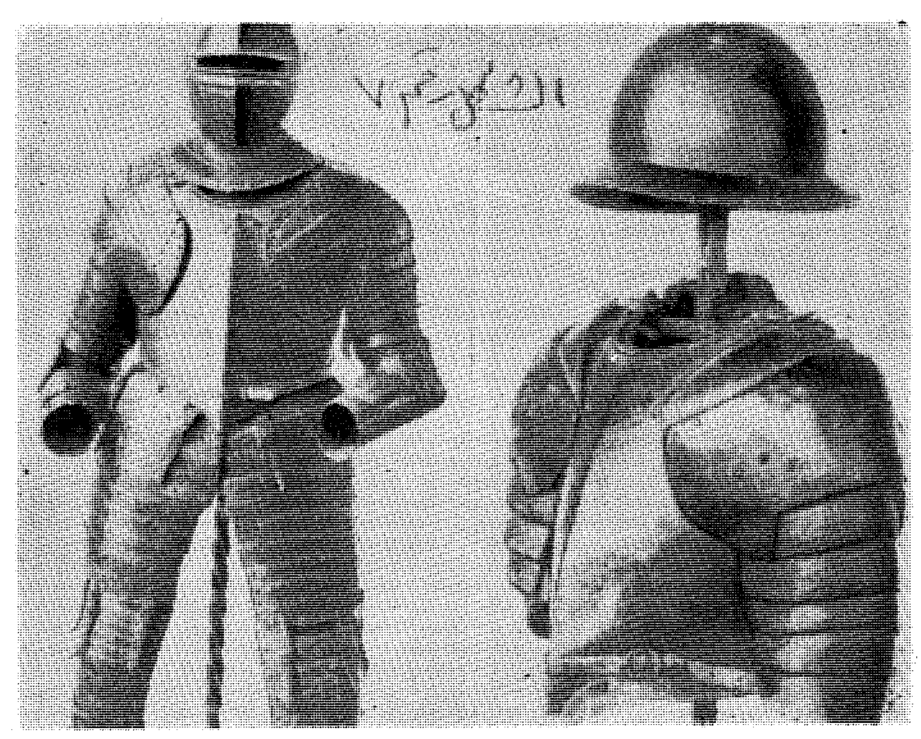
أهمية الدرع عند العرب :

كان العرب في صدر الاسلام لا يستعملون الدروع كثيرا وذلك لانها كانت تصنع في بلاد الروم أو الفرس وتستورد من قبل العرب ، وقد فطن الخلفاء الامويين لاهمية هذا النقص فحثوا الدراعين على انشاء مصانع ضخمة للدروع من جهة ، وعمموا استخدام الدرع على أكبر عدد ممكن من أفراد الجيش العربي ، وخاصة صنف الفرسان ، من جهة ثانية • ولما أتى الحكم العباسي كانت صناعة الدروع قد بلغت درجة لا بأس بها من الدقة والاتقان ، ولكن هذه الصناعة لم تصل الى أوجها عند المسلمين الا في فترة الحروب الصليبية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر بعد الميلاد ، فقد توصل المسلمون في هذا الفن ، في عهد السلطان صلاح الدين الايوبي ، لان يخترع أحد علمائهم ، وهو مرضى الطرسوسي ، مزيجا معدنيا لصناعة الدروع بحيث لا تؤثر فيها طعنات الرماح وضربات السيوف ورشقات السهام [١] • كما أن العرب غنموا من الصليبيين كثيرا من دروعهم فاستعملوها واقتبسوا عنها [٢] • وقد اشتهرت بعض الدروع عند العرب بشهرة من كان يرتديها ، فالرسول (ص) كانت له درع يقال لها (ذات

---

(١) يبين الملحق رقم (٧) طريقة صناعة هذه الدروع نقلا عن الطرسوسي •

(٢) يبين الشكل رقم (٧) درعين صليبيين يرجعان في تاريخهما لاواخر القرن الثالث عشر •



الشـــكل رقم ٧
درعان صليبيان يرجع تاريخها لاواخر القرن ١٣ م (عن المتحف الحربي الدويسري)

الفضول) ودرع أخرى اسمها « الصفدية » ، وقيل انه كانت عنده درع داوود التي كان يرتديها يوم قتـل جالوت ، وقد غنمها الرسول من بني قينقاع اليهود [١] •

وهنـاك الدرع التي كانت لعلي بن ابي طالب ، وكان جوشنها يقي الصدر دون الظهر ، وكان علي يقـول في ذلـك « اذا استمكن عدوي من ظهري فـلا يبق » • وهنـــاك درع كانت تخص خالد بن جعفر تسمى (ذات الازمة) ، وقد دعيت كذلك لانه كانت لها عرى تعلق بها اذ اراد لابسها أن يشمرها •

(١) انظر « حلية الفرسان وشعار الشجعان » لابن هذيل الاندلسي ــ ص ٢٢٥ •

وقد بلغ من شدة اهتمام العرب بالدرع أن وضعوا لها الاسماء والصفات المختلفة ، وها نحن نذكر هنا بعضا من صفاتها :

- الزعفـــة : الدرع اللينة الواسعة المحكمة
- الفضفاضة : الدرع الواسعة [1]
- النثرة أو النثلة : الدرع السلسة الملبس أو الواسعة العظيمة
- السك : الدرع الضيقة
- الخدباء : الدرع اللينة
- القضاء أو الحصداء : الدرع المحكمة الصلبة
- الذائل : الدرع الطويلة الذيل
- الشليل : الدرع القصيرة ، وقيل أيضا انها الغلالة التي ترتدي تحت الدرع .
- الماذية : الدرع اللينة البيضاء
- المسرودة : المصنوعة من الصفائح المثقوبة
- الجدلاء : الدرع المصنوعة المرمولة
- السلوقية : المصنوعة في قرية سلوق في اليمن
- الحطمية : الـدرع المنسوبة الى حطمة وهو رجل من عبد قيس .
- الفرعونية : الدرع التي تنسب الى فرعون
- الداوودية : الدرع التي تنسبه الى داوود عليه السلام .

وتغنى شعراء العرب بفضل الدرع بآلاف الابيات ، ومن أشهر مـا قيل منها قول ابي العلاء :

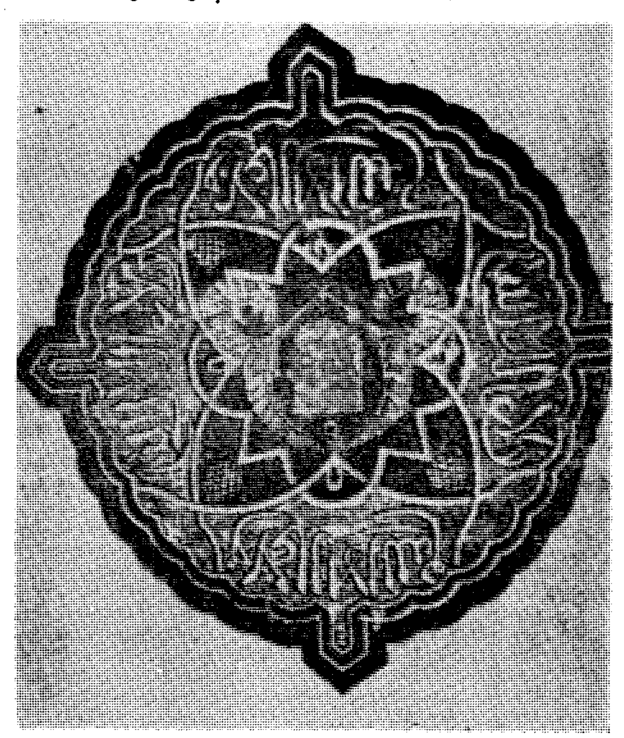
فلولم يضعها عنه للسلم فارس ... لخلد مـا دامت عليه غضونهـا
ولو علمت نفس الفتى يوم حتفه ... ولاقته فيها لـم يغلها منونهـا
أمون اذا اودعت نفسك جسمها ... ولاقيت حربا لـم يخنك امينها

---

(١) انظر « حلية الفرسان وشعار الشجعان » لابن هذيل الاندلسي – ص ٢٢٦ – ٢٢٧ .

ب ـ الترس :

الترس ، او ترس الغدر كما كان يسمى عند العرب القدماء ، هو صفحة من الفولاذ تحمل في اليد للوقاية من ضربات السيف وغيره من الاسلحة ، ويمكن ان يصنع من الخشب المغطى بالجلد فيسمى بهذه الحالة « الحجفة » أو (الدرقة) [1] ، ويقال ان الحجف ما صنعت من الخشب ، والدرق ما صنعت من الجلد ، وخاصة جلد البقر والزرافة واللمط [2] .



الشكل رقم ٨
ترس غرناطي (عن كتاب « التمدن الاسلامي »)

---

(١) هناك عدة اسماء أخرى للترس مثل : المجن ـ الجوب ـ الفرض ، الجنن .

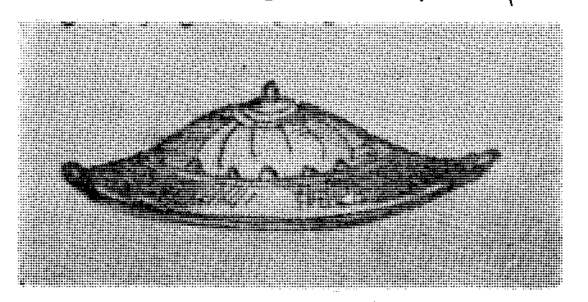
(٢) حلية الفرسان وشعار الشجعان ـ ص ٢٣١ .

وقد استعمل العرب نوعا آخــر من الاتراس [١] صنعوه من العيــدان ولفوا فوقه القطن المغزول • كما وانهم تفننوا في صنعها ، ونقشوا عليها الآيات القرآنية والحكم والامثال وأبيات الشعر [٢] • كما تميزت أتراس كل منطقة بشكل خاص ، فالترس الدمشقي تميز عن التــرس العـــراقي الذي تميز بدوره عن الترس الغرناطي [٣] وهكذا •••

وكان المحاربون العرب يستعملون هذا السلاح الدفاعي لوقاية أنفسهم من ضربات العدو سواء كانت هذه الضربات من السيوف او الرماح او السهام أو غير ذلك • ولذلك كانت هذه الاتراس عندهم على عدة أنواع أهمها :

١ ــ الترس المستطيل :

يتقى به النشاب ، ويحمله الفرسان لان حجمه يكفي لحماية النصف الاعلى من جسم المحارب بشكل خاص •



الشــــكل رقم ٩
الترس الدمشقي المحدب (عن كتاب النفحات المسكية)

(١) أتراس جمع ترس ، وتجمع : أيضا على تراس وتروس وترسة

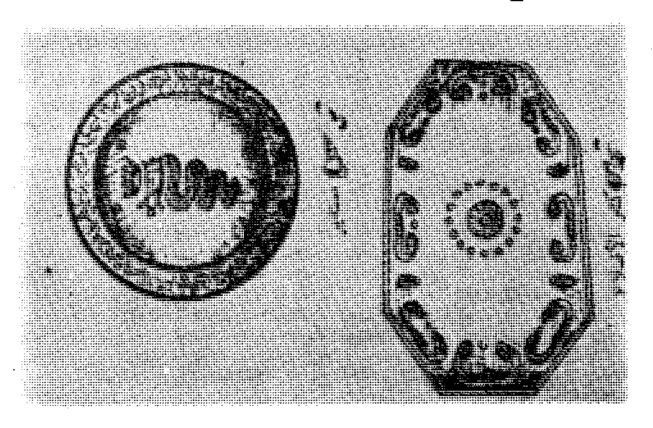
(٢) لعل أبدع ما وجد من الشعر مكتوبا فوق ترس هو الابيات التالية للاسعد بن بليط :

مجن حكى صـــانعوه الســـماء	لتقصـــر عنـــه طوال الرمـــاح
وصاغوا مثـال الثريا عليـــه	كواكب تقضـــي لنــا بالنجـــاح
وقـــد طوقوه بطوق اللجين كمـــا	جلل الافـــــق نور الصـــباح

(٣) يبين الشكل رقم (٨) ترسا غرناطيا والشكل رقم (٩) ترسا دمشقيا والشكل رقم (١٠) ترسين من نوع آخر •

٢ ـ الترس المسطح :

يتقى به الرمح فقط •



الشكل رقم ١٠
ترسان من نوع آخر أحدهما مستدير والآخر مستطيل
(عن كتاب « السلاح في الاسلام »)

٣ ـ الترس المقبب :

وتكون اطرافه منحنية نحو الخارج مما يجعله يصلح لصد ضربات السيف والحجارة ولكنه لا يفيد لصد طعنات الرمح في شيء بل بالعكس فهو يثبت الرمح فيه •

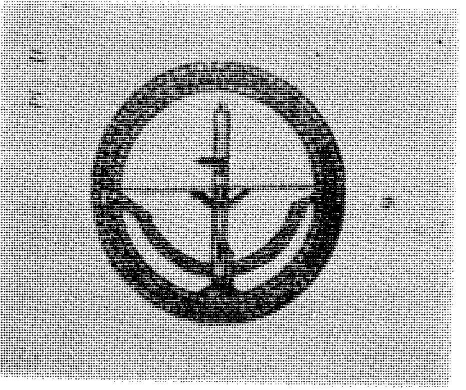
٤ ـ الترس المحفر الوسط :

ويستعمل للوقاية من تأثير الاسلحة الاخرى •

وقد اجتاز الترس العربي عدة مراحل من التطور منذ عهد الرسول حتى أواخر العهد العباسي ، وكانت ذروة تطوره في فترة الحروب الصليبية حيث دعت الحاجة للتفنن في استعماله ، فاخترع العالم (ابوالحسن الابرقي) ترسا يمكنه أن يستعمل كسلاح هجومي أيضا وذلك باطلاق سهم منه بالضغط على زر خفي في عقبه ، كما واخترع الطرسوسي مزيجا من المعدن

اذا صنع منه الترس لا تؤثر فيه ضربات السيوف وغيرها من الاسلحة [1] ، وهذا غاية ما توصل اليه فن صناعة الاسلحة في ذلك الوقت •

كما وغنم العرب من الصليبيين بعضا من أتراسهم التي كانت تسمى (الجنويات) ، وهي أتراس مستطيلة أو بيضوية يمكن نصبها لتقف على الارض فيستخدمها الرجالة في القتال وتكون بذلك للصف كالحصن المانع الذي يقيه من النبال ، كما ويمكن حمل الجرحى عليها عند اللزوم أيضا [2] •



الشكل رقم ١١
صورة للترس النشاب كما جاءت في مخطوط الطرسوسي نفسه

فن استعمال الترس عند العرب :

لقد أورد المؤلف العسكري عبد الرحمن بن هذيل الاندلسي في كتابه « حلية الفرسان وشعار الشجعان » تلخيصا لفن استعمال الترس عند العرب حيث يقول [3] :

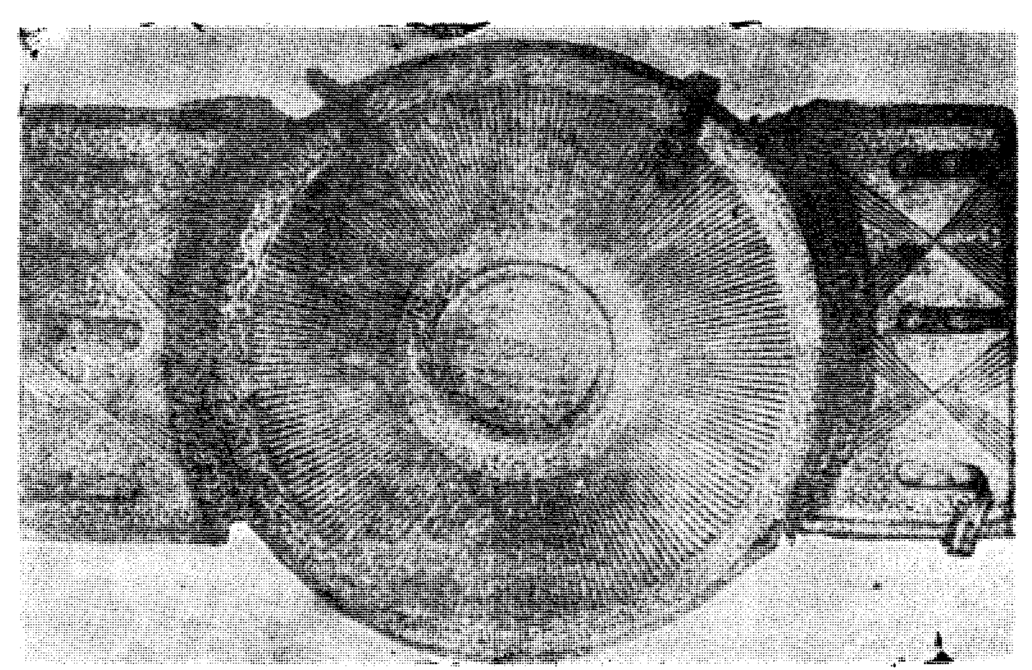
---

(١) انظر وصف هذا الترس وهذا المعدن في الملحق رقم ٨ نقلا عن الطرسوسي ، كما أن الشكل (١١) يبين صورة هذا الترس كما جاءت في مخطوط الطرسوسي نفسه •

(٢) يرينا الشكل رقم ١٢ ترسا اسلاميا من المعدن المنقوش وهي مقتبسة عن التروس الجنوية

(٣) انظر كتاب « حلية الفرسان وشعار الشجعان » لابن هذيل الاندلسي • ـ تحقيق محمد عبد الغني حسن ـ صفحة ٢٣٢ ـ ٢٣٣ •

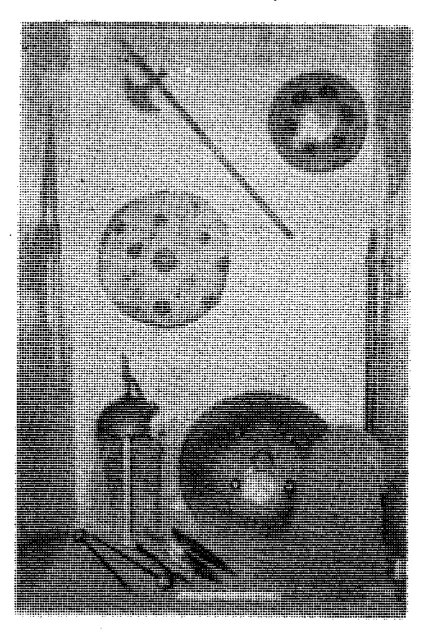
« يجب على صاحب الترس في القتال أن يترس بوسط ترسه من السيف والمزراق والحجارة ، ويديرها يمنة ويسرة خارجا عن محاذاته ، ولا يلصقه ببدنه متى خاف وقع شيء به ، ويدرأ به عن نفسه وعن فرسه في ادارته له ، وأن يلقى الحجر بصدر الترس أحسن، وليوريه ليزل ما يقع عليه • ويترس من الرمح بجملته ومعظمه ، فاذا احس بوقع السنان به ورى وأخرجه عن بدنه ، وليحذر الاعتماد عليه عند ذلك بجسمه لئلا يصرعه ، وليحذر أيضا عند توريته به أن يزل عنه السنان ، فيعلق بثوبه • فهذا المقدار هو الذي ينبغي أن يحافظ عليه • والعمل بالدرقة كالعمل بالترس سواء ، ولكن الدرقة تحبس الرمح لرطوبتها واستواء جرمها ، فيجب استراقه والتورية بها عنه ، لئلا تثقل في اليد فيتعذر العمل بها •



الشكل رقم ١٢

ترس اسلامية من المعدن المنقوش مقتبسة عن التروس الجنوية (عن كتاب « معركة المنصورة وأثرها في الحروب الصليبية)

والركوب بالترس له حالتان في طوله وقصره : فان كان طويلا نزع يده من عروته ، ثم أخذ عنانه بيده اليسرى وركب وليحذر منه على ذقنه ان كان يبلغه ، وأما ان قصر فليأخذه تحت ابطه ويركب » .



الشكل رقم ١٣
(أهم الاسلحة الدفاعية الفردية عند العرب)
(عن متحف دمشق الحربي)

★ ★ ★

وقبل أن ننهي بحثنا فيما يخص « الاسلحة الدفاعية في الجيش العربي » ، نحب أن ننوه بأننا اقتصرنا هنا على ذكر الاسلحة الدفاعية الفردية [1] ، وأما الاسلحة الدفاعية الجماعية فسيمر بحثها معنا في الفصول المقبلة .

(١) يحوي الشكل رقم (١٣) أهم هذه الاسلحة الدفاعية الفردية .

الفصل السّادس

الأسلحة الهجوميّة الفرديّة وفنون استخدامها

نعني بالاسلحة الهجومية الفردية عند العرب تلك الاسلحة الجارحة أو الراضة التي كان يحملها الجندي الواحد ويستخدمها بنفسه بدون أية مساعدة من زملائه ، والا اعتبرت من صنف الاسلحة الجماعية التي سنتكلم عنها في الفصل القادم ٠

والاسلحة الهجومية الفردية عند العرب القدماء هي على نوعين :

١ ـ الاسلحة اليدوية :

وهي الاسلحة الفردية ، من جارحة أو راضة ، التي لا تفارق اليـد حين استعمالها ، أو أنها تقذف بواسطة اليد الى مسافة قريبة فقط ، وتضـم السيف ، الرمح ، الدبوس ، الطبر ، الفاس ، الخنجر ، الوهق ٠٠ الخ ٠٠

٢ ـ الاسلحة الرشقية :

وهي الاسلحة الفردية التي تقذف باتجاه العدو من مسافة بعيـــدة نسبيا ، وتضم هذه الاسلحة القسى بأنواعها ، القنابر ، البندق والجلاهقات

.. الخ ... ولقد استعمل العرب في الجاهلية أنواعا مختلفة من الاسلحة السابقة الذكر ، ثم لما أتى الاسلام ، وزاد احتكاك العرب بغيرهم من الشعوب، بدأوا باستعمال الاسلحة الجماعية أيضا في حروبهم. وقد ظل صياقلة العرب يتفننون في صنع الاسلحة الفردية ، ويجرون التعديلات والاصلاحات عليها ، حتى اذا ما أتت فترة الحروب الصليبية والمغولية كانت صناعة الاسلحة قد وصلت الى ذروة ازدهارها عند العرب ، وذلك بفعل الحاجة ـ والحاجة ام الاختراع كما يقال ـ وبفعل الاحتكاك بالمغول والصليبيين أيضا ، مع العلم بأن هؤلاء اقتبسوا عنا أكثر مما اقتبسنا عنهم في ميدان صناعة الاسلحة . وسنحاول فيما يلي التعرف على الاسلحة الفردية الهجومية االتي استخدمها العرب واحدا واحدا حسب تسلسل أهميتها في ذلك الوقت .

★ ★ ★

البحث الاول : في السيف

السيف هو من الاسلحة اليدوية الجارحة التي يتوقف تأثيرها على جودتها ، وعلى قوة ومهارة من يستخدمها . وبما ان هذا السلاح احتل المكانة الاولى عند العرب ، سواء قبل الاسلام أو بعده ، لذا سنتوسع في بحثه أكثر مما سنفعل في بقية الاسلحة الاخرى .

ولقد كانت السيوف التي استعملها العرب تعود في جملتها لثلاثة أنواع : العتيقة ، المولدة ، غير العتيقة وغير المولدة [١] :

آ ـ السيوف العتيقة :

هي السيوف القديمة أو الكريمة ، وتضم ثلاثة أجناس :

---

(١) عن (رسالة الكندي في السيوف) المنشورة في مجلة كلية الآداب لجامعة القاهرة ـ ـ الجزء الثاني ـ ديسمبر ١٩٥٢

١ ـ اليمانية :

وهي السيوف المصنوعة في بلاد اليمن ٠

٢ ـ القلعية :

وهي السيوف المصنوعة في موقع من البادية يطلق عليه اسم القلعة ٠

٣ ـ الهندية :

وهي السيوف المصنوعة في بلاد الهند ٠

ب ـ السيوف المولدة :

وهي السيوف المحدثة التي لا تماثل العتيقة جودة ، وتضم خمسة أجناس :

١ ـ الخراسانية :

وهي ما عمل حديدها وطبع في خراسان ٠

٢ ـ البصرية :

وهي ما عمل حديدها وطبع في بصرى ، من أعمال الشام ٠

٣ ـ السيوف الدمشقية :

وهي ما عمل حديدها وطبع في دمشق ٠

٤ ـ المصرية :

وهي ما عمل حديدها وطبع في مصر ٠

٥ ـ البغدادية :

وهي ما عمل حديدها وطبع في بغداد ٠

جـ ـ السيوف غير العتيقة وغير المولدة :

وهي السيوف التي تتراوح خواصها بين العتيقة وبين المولدة ، وتضم ثلاثة أنواع : السليمانية ، والسرنديبية ، والبيض ٠

فالسليمانية نسبة الى مدينة « سليمان » او « ثليمان » من بلاد ما وراء النهر ، وهي على ثلاثة أنواع :

١ ـ البهانج :

هي سيوف عراض يكون السيف فيها عرضه أربع أصابع أو أكثر .

٢ ـ الرثوث :

وهي في العرض أربع أصابع فما أقل .

٣ ـ الصغار

وهي سيوف دقائق الفرند [1] .

أما **السرنديبية** فنسبة الى جزيرة سرنديب ، التي تدعى اليوم « سيلان » ، وتضم أربعة أنواع :

١ ـ السرنديبية :

وهي ما طبع في جزيرة سرنديب نفسها .

٢ ـ الخراسانية :

وهي ما حمل حديدها من سرنديب وطبع في خراسان .

٣ ـ المنصورية :

وهي ما حمل حديدها من سرنديب وطبع في المنصورة ، من أعمال الهند .

٤ ـ الخسروانية :

وهي ما حمل حديدها من سرنديب وطبع في بلاد فارس .

وأخيرا نجد السيوف **البيض** تضم جنسين أيضا وهما :

١ ـ الكوفية :

وهي السيوف التي طبعت في الكوفة ، وتسمى « زيدية » نسبة الى شخص يدعى « زيد » هو أول من طبعها .

---

(١) الفرند أو الافرند هو ما يدعى حاليا « جوهر السيف » أي العقد المتداخلة التي تظهر على نصل السيف بلون يختلف عن لون أرضه .

٢ ـ الفارسية :

وهي السيوف التي طبعت في بلاد فارس [١] .

ومن بين جميع هذه الانواع من السيوف ، لم يكتسب أحدها تلك الشهرة التي اكتسبها «السيف الدمشقي» سواء في بلاد الشرق أو في الغرب. ولكن هذه الصناعة ، التي كانت أولى الصناعات الدمشقية ، انقرضت عندما أخذ تيمورلنك معه صناع السيوف الحذقة في دمشق سنة ١٤٠١ م . أما المعدن الذي كان يستعمل في صناعة النصال الدمشقية ، فقد كان ينتج في مقاطعة « حيدر أباد » في الهند منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، بواسطة طريقة صهر خاصة تعرف باسم « ووتز Woots » [٢] ، وقد نقل العرب هذه الطريقة عندما غزوا الهند وزاروا أفران الصهر الخاصة بذلك ، فاصطحبوا جزءا من المعدن معهم الى دمشق ، مركز الخلافة في ذلك الوقت ، حيث قامت صناعة كبيرة لتحويل هذا المعدن الى أسلحة حادة تركت له شهرة في العالم لا تزال آثارها موجودة حتى يومنا هذا [٣] .

وأهم المراكز الاخرى لصناعة السيوف كانت في اليمن واصفهان والقاهرة ، كما كان هناك مركزان هامان لهذه الصناعة في بلدتي سرغوسة وطليطلة في الاندلس .

ولا تزال بلدة طليطلة TOLEDO مشهورة حتى اليوم بصناعة الاسلحة العربية ، التي تزخرف وتذهب وتستخدم كأدوات للزينة . ويوجد في متحف « الاسكوريال » في اسبانيا ، سيف صنع في طليطلة في القرن الرابع عشر للميلاد ، طوله ٣١ بوصة ، وقبضته موشاة بالذهب ، وقد ركبت في

---

(١) انظر الملحق رقم ١ الذي يعطيك بعض التفصيلات عن أنواع السيوف المذكورة (نقلا عن رسالة الكندي)

(٢) راجع محاضرة الدكتور عبد الرحمن زكي في بغداد : The Sword in Islamic Art

(٣) راجع المقال الذي كتبه N. Belatiev تحت عنوان (Damascene Steel) في مجلة : Journal of the Iron and Steel Institute - 1918

وسطها أسنان الفيل بصناعة دقيقة ومهارة فائقة ، وقد احتفظ بهذا السيف حتى الآن لانه كان يخص الخليفة ابا عبد الله الصغير آخر خلفاء الاندلس .

وبمناسبة الحديث عن صناعة السيوف العربية ، لا يفوتنا أن ننوه بأن المؤلف العسكري « مرضى الطرسوسي » ، الذي عاصر السلطان صلاح الدين الايوبي ، قد ذكر في مخطوطه : " تبصرة أرباب الالباب ... " عدة معادلات تبين نسبة المزج التي يجب اتباعها للحصول على سيف عربي جيد ، وأهم هذه المعادلات هي التالية [١] :

(خذ ثلثة أرطال حديد نرماهن ومن الشابرقان [٢] نصف رطل يجعل الجميع في بوطقة ويلقى عليه وزن خمسة دراهم مغنيسيا وكف قشور رمان حامض وينفخ عليه حتى يذوب في المسبك ويتدور بيضه ثم تخرجه وتعمل منه سيفا) .

ولكي يصبح هذا السيف حادا ذكر « الطرسوسي » المعادلة التالية لتركيب سائل يسقى به [٣] :

(خذ جزء كبريت وصب عليه ثلاثة أجزاء خل خمر حاذق وضعه في الشمس سبعة أيام ثم صفي الخل وارمي الثفل وأضف اليه مثله ماء الفجل ثم احمي السيف واسقه نشادرا محلولا ثم احمه واسقه من ذلك الماء المقدم ذكره فانه يكون قاطعا) [٤] .

هذا بالنسبة لانواع السيف العربي وطريقة صناعته ، وأما بالنسبة لشكل هذا السيف فقد ظل طراز السيف المستقيم ذي الحد الواحد او الحدين شائع الاستخدام في العالم الاسلامي حتى القرن الثالث عشر تقريبا ، حين بدأ يعم استخدام السيف المقوس ذي الحد الواحد ، ولو أن الخليفة

---

(١) انظر Bulletin d'Etudes Orientales - Tome XII - Page 106

(٢) النرماهن هو الحديد الرخو المؤنث والشابرقان هو الحديد الصلب المذكر .

(٣) Bulletin d'Etudes Orientales - Tome XII - Page 107

(٤) لقد أثبتنا النصوص القديمة كما وردت في الاصل حتى لو حوت بعض الاخطاء .

أو السلطان وذوي الجاه استمروا على استخدام السيف المستقيم في الحفلات والمناسبات الرسمية . وكانت تكتب على بعض السيوف الآيات القرآنية ، وعلى أخرى عبارات حماسية تشيد بقوة السيف ومكانته ، أو ينقش عليها شيء من الزخارف الطريفة [1] .

أجزاء السيف العربي :

اهتم العرب بالسيف اهتماما خاصا حتى أنهم وضعوا له ما يقارب الالف اسم [2] . وأما أسماء أجزائه فأهمها :

- المتن : جملة النصل ، وقد يكون في المتن بعض الوشي فيسمى هذا الوشي عند ذلك « الحصير » .
- النصل : حديدة السيف عدا المقبض ، ويكون من الحديد الجيد المسقي .
- الظبة : الحد او الشفرة ، ويقال لها أحيانا « الغرار » .
- العمود : وسط السيف .
- الكل : قفا السيف الذي ليس بحاد .
- الذبابة : طرف النصل [3] ، ويقال لها « الذؤابة » أيضا .
- الرأس : جملة السيف عدا نصله .
- قائم السيف : مقبض كف الضارب به ، ويكون من خشب أو حديد أو عاج .. ويسميه « النويري » النصاب .
- السنبلة : ما دخل من النصل في الرأس ، ويقال لهـذا الجزء « السنخ » أيضا ..

---

(١) يسعدنا أن ننوه بأنه توجد قاعة خاصة للسيف في « متحف دمشق الحربي » ، وبأن هذه القاعة تحوي عددا كبيرا من السيوف الاسلامية من عربية وتركية وفارسية .. الخ

(٢) انظر الملحق رقم ٢ الذي يبين أبرز الاسماء التي وضعها العرب للسيف .

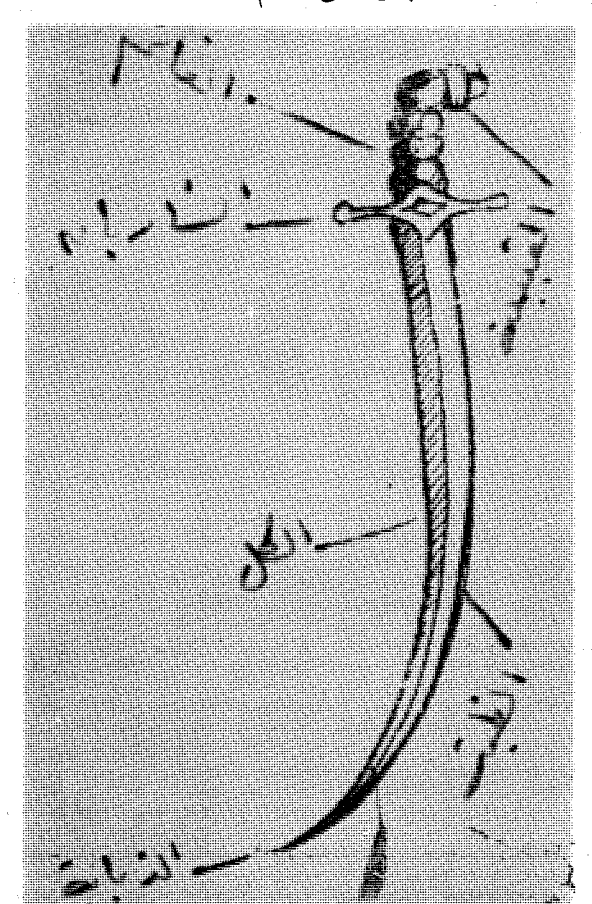
(٣) انظر الشكل رقم ١٤ .

ـ السيلان : هو سنخ النصل الذي يدخل في القائم ، وقيل أن السيلان جزءان يكتنفان السنخ •

ـ الكلبان : المسماران المعترضان في أعلى القائم •

ـ الشاربان : هما طرفان ينظران الى يمين والى شمال في أسفل القائم •

ـ القبيعة : حديدة تلبس أعلى القائم بكامله •



الشكل رقم ١٤
السيف العربي (عن كتاب
« النفحات المسكية في صناعة الفروسية »)

وفي أسماء أجزاء الغمد

ـ الخلة أو الخلل : هي الجلود في باطن الغمد •

ـ الحمائل : ما يعلق السيف به واحدتها حمالة أو نجادة •

ـ الكلب : حلقة تربط بها سيور الحمائل •

ـ السية : اطراف سيور الحمائل •

ـ السارية : قطعة من الفضة او الحديد أو غير ذلك ، توضع لوقاية مدخل النصل في الغمد •

ـ القراب او « الجراب » : وهو غلاف يحمل فيه السيف بغمده •

مكانة السيف عند العرب :

لقد كان العرب في جاهليتهم يستوردون السيوف من الامم المجاورة ثم انتقلت هذه الصناعة اليهم ، وكان أول من صنع سيفا من العرب هو الهالك بن عمر بن أسعد بن خزيمة •

ولقد كان السيف أشرف الاسلحة البيضاء عند العرب ، سواء قبل الاسلام أو بعده ، وقيل أن العرب « كانت تطعن به كالرمح ، وتضرب به كالعمود ، وتقطع به كالسكين ، وتجعله سوطا ومقرعة ، وتتخذ جمالا في الملأ ، وسراجا في الظلمة ، وانسا في الوحدة وجليسا في الخلاء ، وضجيعا للنائم ، ورفيقا للسائر ، وتسميه عطافا ، ووشاحا ، وعصا ، ورداء ، وثوبا • وهو قاض للقتال ، وفيصل الحكم بين الرجال ، وبذلك كله وردت الاشعار ، وصارت الامثال » [1] • ومن أمثالهم فيه :

ـ سبق السيف العزل •

ـ السيف ظل الموت ولعاب المنية •

ـ السيف هو الصاحب الولي والصديق الوفي والرسول الوحي [2] •

---

(١) حلية الفرسان وشعار الشجعان ـ تأليف ابن هذيل الاندلسي ـ تحقيق محمد عبد الغني حسن ـ ص ١٨٧

(٢) الامثال الثلاثة مأخوذة عن المرجع السابق ـ ص ١٨٦

وقد سأل اعرابي ابنين كانا له عن أي السيوف أحب اليهما ، فقال احدهما :

« الصقيل الحسام ، الباتر المخذام ، الماضي السطام المرهف الصمام ، الذي اذا هززته لم يكب واذا ضربت به لم ينب » . فقال للآخر : فما تقول أنت ؟ فأجاب « نعم السيف نعت ، وغيره أحب الي منه » فقال : وما هو ؟ قال : « الحسام القاطع والرونق اللامع والظمآن الجائع ، الذي اذا هززته هتك واذا ضربت به فتك [1] .

واما الشعر العربي الذي قيل في السيف والتغني بمكانته فهو اكثر من أن يتسع له كتاب مثل كتابنا هذا [2] .

ولما جاء الاسلام بقي السيف يحتل منزلة الشرف في أسلحة العرب حتى ان الرسول (ص) قال :

« من تقلد سيفا في سبيل الله ألبسه الله وشاح الكرامة » وقال « الجنة تحت ظلال السيوف [3] . وقد اقتنى الرسول ، كأي عربي آخر عدة أسياف كان أهمها ذلك السيف المسمى « ذو الفقار » الذي غنمه يوم بدر من منبه بن الحجاج ، وسيف ثان اسمه « العضب » كان قد أعطاه له سعد بن عبادة ، كما كانت له أربعة أسياف أخرى هي : « البتـــار والمخذم والرســوب والحتف » [4] ، وقد ورث أحد هذه الاربعة عن أبيه وغنم الثاني من بني قينقاع ، وأما الباقيان فاهديا له .

وكان المسلمون اذا أصابوا سيفا قاطعا تناقلوا خبره حتى يشيع صيته في جميع الاقطار الاسلامية ، ومن أشهر هذه السيوف التي شاعت اسماؤها وأسماء أصحابها :

---

(١) المرجع السابق _ ص ١٨٧ _ ١٨٨

(٢) يعدد الملحق رقم ٣ أحسن ما قيل في السيف شعرا .

(٣) صحيح البخاري _ ج ٥ _ ص ٥٣

(٤) حلية الفرسان ص ١٨٥ _ ١٨٦

- ذو الفقار : سيف علي بن ابي طالب ، وقد سمي كذلك لانه يحوي ثماني عشرة فقرة ، وقد توارث هذا السيف من بعد علي آله حتى وصل الى المهدي العباسي ومن بعده الى الهادي ، ثم حارب به القائد العربي يزيد بن مزيد الشيباني في زمن الرشيد •
- الصمصامة : سيف عمرو بن معدى كرب الزبيدي ، وقد اشتراه الخليفة المهدي بنيف وثمانين ألفا من الدراهم •
- الصدى : سيف أبي موسى الاشعري •
- القرطبق : سيف خالد بن الوليد •
- الملاء : سيف سعد بن أبي وقاص •
- الوشاح : سيف عمر بن الخطاب •
- الولول : سيف عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد •

ولا يزال السيف العربي حتى وقتنا الحاضر افخم هدية يمكن أن يقدمها ذو جاه عربي الى آخر [1] •

فن استخدام السيف عند العرب :

كان استخدام الاسلحة الفردية بشكل عام يخضع لقواعد خاصة عند العرب ، وقد ذكر لنا المؤلف العربي عبد الرحمن بن هذيل بعض هذه القواعد فقال [2] :

« قلت وأحكام العمل بالسلاح لا يتساوى الناس فيه ، بل التفاوت بينهم في ذلك شديد ، والتباين بعيد • فيجب على العاقل أن يشاهد من أهلها الاعمال ويحاضر بها الرجال ، ويأخذ بحظ من التمرن فيه مع من يراه أهلا لذلك ويصطفيه ، حتى يعرف كيفية الطعن والضرب والثقابة بالسلاح في

---

(١) ويقال ان صلاح الدين الايوبي ، لما طلب الى سلطان المغرب أن ينجده في حروبه ضد الصليبيين سنة ١١٩٠ هـ ، ارسل اليه ضمن هداياه عشرين سيفا دمشقيا (انظر كتاب « الروضتين في أخبار الدولتين » لابي شامة ج ٢ ـ ص ١٧٣) •

(٢) حلية الفرسان وشعار الشجعان ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠

الحرب ، ووجوه العمل في الكر والفر والامتناع ، والدخول على المبارزين ، والخروج عنهم في المطاعنة والمصاع ، وملاحظة مواقع السهام ، واوقات الاقدام والاحجام ، واستراق الارض في المبارزة ، واستتار الشمس عند اللقاء ، والمناجزة والمراوغة ، والعطف في القتال ، ودقائق ذلك ولواحقه لدى النزال ، وترصد غرة العدو في حال الحركة والهدوء ، والختل في تعطيل الرمح بالضرب عليه أو ملكه على ربه أو رده اليه ، أو خلع عذار الفرس ، أو قطع عنانه ، ليشتغل الفارس بأمر فرسه وشأنه ، فيتمكن منه في الحين ، وتظهر الفراسة فيه وتستبين • ومن لم يتمرن في ذلك فلا تغره نفسه بأن تسلك به هذه المسالك • ففي معرفة ذلك كله وامعان النظر فيه يتفاضل الفرسان ، مع الاستثبات وجرأة الجنان ، وشدةالحذر عند منازعة الاقران» •

وبالنسبة للسيف كان التدريب على استخدامه يجري بصورة فنية تكفل للمتدرب كل تقدم في هذا المجال • وكان وزن السيف المبتديء ست أواق الى تسع ثم تزيد عن ذلك بقدر طاقة المتدرب وتقدمه في التدريب •

وأما طريقة التدريب على استخدام السيف وفن استخدامه ، فقد ذكرهما ابن هذيل في كتابه المشار اليه سابقا حيث يقول [١] :

« وليس في السلاح ما يجب أن يحذر منه عندالعمل به كالسيف ، وقد وجد كثير ممن عمل به بغير حذر ولا دربة أصاب اذن فرسه أو عضده ، وربما أصاب اذن نفسه أو رجله فقطعها ، أو أثر فيها •

فاذا أراد الفارس العمل به طرف رجله في ركابه حتى لا يظهر منها شيء عن مقدم الركاب ، بحسب ما يمكن اعتماده عليه ، ويضرب بالسيف نفحا وشزرا [٢] ، الا ما كان قبالة وجهه فليكن حينئذ أشد حذرا على نفسه

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٨ ـ ١٩٩

(٢) الشزر : هو الضرب عن يمين وشمال ، والنفح هو الضرب الى خارج اليمين •

وفرسه • وليعتل يده عند ضربه ما أمكنه الى خارج ، فبذلك يكون آمنا ، وليطرح مقابله عن يمينه أبدا في كل حال ، ولا سيما الرامح •

ومن أراد التعلم به والتمرن في الضرب فليعمد الى قصبة رطبة او قضيب رطب ، ويثبت أصله في الارض ، ويتوثق منه ، ثم يتباعد عنـــه ، ويجعله على يمينه ، ويجري فرسه ملء فروجه ، فاذا دنا منه سل سيفه بسرعة وحذر وخفة ، ونفح به ما يحـــاذي رأســـه من ذلك القضيب أو القصبة ، أو يضرب ذلك شذرا بلباقة وخفة • يفعل ذلك مرارا يقص في كل طلق منه ما أمكنه الى أن يبقى قدر ذراع ، ويدمن العمل حتى يصير له عادة ويخف عليه العمل به ان شاء الله » •

البحث الثاني : في الرمح

الرمح ، وجمعه رماح وأرماح ، هو عود من القصب أو الخيزران بطول ٣ ــ ١٠ أذرع وفي رأســه حربــة يطعن بها ، وهو سلاح يختص بحمله الفرسان تقريبا ، لانه أيسر استعمالا للفارس منه للراجل •

آ ــ انواعــه :

هناك عدة أنواع من الرماح لدى العرب ، وتختلف هذه الانواع عن بعضها باختلاف الطول أو الوزن أو حسب الاستعمال ، وأهم هذه الانواع :

١ ــ الخطل :

هو الرمح الذي يضطرب في يد حامله لافراط طوله ، ولذا كان لا يحمله الا الرجل القوي •

٢ ــ القناة :

جمعها قنا ، وهي الرمح الذي يلي الخطل في الطول ، وقيل انهــا عود الرمح أيضا •

٣ ــ المخموس :

هو الرمح الذي يقارب طوله خمسة أذرع •

٤ ـ المربوع :

هو الرمح القصير الذي يبلغ طوله أربعة أذرع •

٥ ـ الصبربر :

(ج صبربرات) وهو رمح طولـه خمسـة أذرع ، وسنانه عريض وطويل بحيث يتجاوز عرضه الفتر الواحد وطوله ذراع وأكثر •

٦ ـ الضاري :

(ج ضواري) وهو رمح طويل السنان قصير العود ، بحيث يكون طول سنانه بمقدار ثلث طول عوده تقريبا •

٧ ـ القنطارية :

(ج قنطاريات) وهي كلمة مأخوذة عن كلمة (Kontarion) [١]اليونانية، وهي سلاح للفرسان على الاغلب لانهـا ليست بالطويلة ، وأسنتها قصار وعـراض •

٨ ـ العنزة :

هي عصا تشبه الهراوة ، وفيها زج يشبه السنان وان لم يكنه ، طولها طول نصف الرمح العادي تقريبا ، ولـذا كانت سـلاح المرأة العربية على الاغلب •

٩ ـ النيزك :

(ج نيازك) وهو رمح أطول من العنزة بقليل ، وله سنان دقيق ، ومثله المطرد •

١٠ ـ المزراق :

(ج مزاريق) وهو الرمح القصير الذي لا يجاوز طوله ثلاثة أذرع ، وقد يكون سنانه مربعا لطيفا لخرق الدروع وما أشبه • ويمكن استخدام هذا النوع كسلاح رشقي أيضا لانه كان يمكن قذفـه باتجاه الخصم عن بعد (٥ ـ ١٥) خطوة • وكان يستخدم من صنف المشاة فقط •

---

(١) Dozy : Supplément Aux Dictionnaires Arabes - I - P. 413

١١ ـ الحربة :

(ج حراب) وهي رمح أطـول من المزراق بقليل ، ولكن هـذا لا يمنع من رشقه باتجاه العدو عند اللزوم • وسنان هذا النوع من الرماح عريض مما يجعل تأثيره كبيرا •

١٢ ـ الخرص :

(ج خرصان) : وهي قصار الرماح •

١٣ ـ الالـة :

(ج الال) : وهي صنو الحربة •

١٤ ـ المخزق :

ليس من الرماح وانما على مبدأها ، اذ هو عود في طرفه مسمار ، وكانت خفته وبساطة تركيبه سببا في جعله سلاح الصبيان العرب بدون منازع •

ب ـ أجزاء الرمح :

أما أجزاء الرمح فأهمها :

ـ الوشيج :

عود الرمح ، وكـذلك المرانـة (ج مران) ، ويسمى القسم الذي يدخل منه في السنان « الثعلب » •

ـ السنان :

هو نصل الرمح [1] •

ـ الشفرة :

هي حد الرمح ، وطرفها « سائبته » ، ووسطها النائي « عيره » •

ـ الظبة :

نهاية السنان المدبب من أعلاه •

ـ الجبة :

مدخل الثعلب في النصل •

---

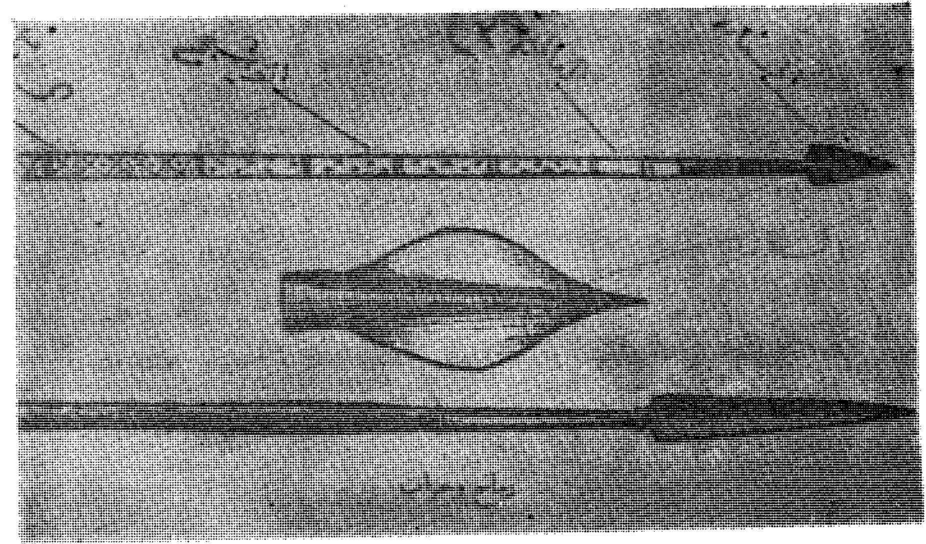
(١) انظر الشكل رقم ١٥

ـ المحور :

المسمار الذي يثبت السنان .

ـ العالية :

أعلى الرمح مما يلي السنان وذلك الى قدر الثلث منه .



الشـــكل رقم ١٥

الرمح العربي وأجزاؤه (عن كتاب السلاح في الاسلام)

ـ الصدر :

النصف الاعلى من الرمح ، وكذلك « الزافرة » .

ـ السافل :

النصف الاسفل من الرمح مما يلي الزج .

ـ العامل :

من عالية الرمح الى سافله ، ويسمى أيضا « المتن » .

ـ العقب أو الكعب :

أسفل العود الناشز ، وينتهي اما بزج أو بحلقة .

ـ الزج :

قطعة من الحديد في أسفل الرمح تساعد على تثبيته في الارض ، أو للطعن بها عند كسر السنان .

- **المهرك :**

هي قطعة مدورة كانت توضع في أعلى الاسنة ، بحيث تخشخش عندما يهز الفارس رمحه بقصد المباهاة أو لارهاب عدوه قبل طعنه بالسنان.

ج - مكانة الرمح عند العرب :

الرمح سلاح قديم عرفه العرب منذ أيام جاهليتهم الاولى ، حيث نجد في كتاب عنترة ما يفيد أنه كان يحمل رمحا من خشب الخلنج . كما ورد في كلام المستشرق « كاترمير Quatremère » عن عنترة أنه « كان يقاتل والقنطارية بغير سنان في يده » [1] .

وقد كان العرب يستوردون الرماح من الهند في أول الامر ، ثم بدأوا يصنعونها بأنفسهم وينسبونها الى شخص اسمه « سمهر » ، أو الى زوجته « ردينة » ، ومن هنا نشأت تسمية الرمح لديهم بالسمهري والرديني .

وكانوا يصنعون قناة الرمح من قصب صلب كالبردي ، أو من خشب كالزان والشوح ، بطول ٥ - ٧ أذرع وسطيا ، وأما السنان فقد كانوا يصنعونه من الحديد الصلب بأشكال مختلفة تتراوح بين المشعب والعريض والرفيع والمستوي والمموج وغير ذلك [2] .

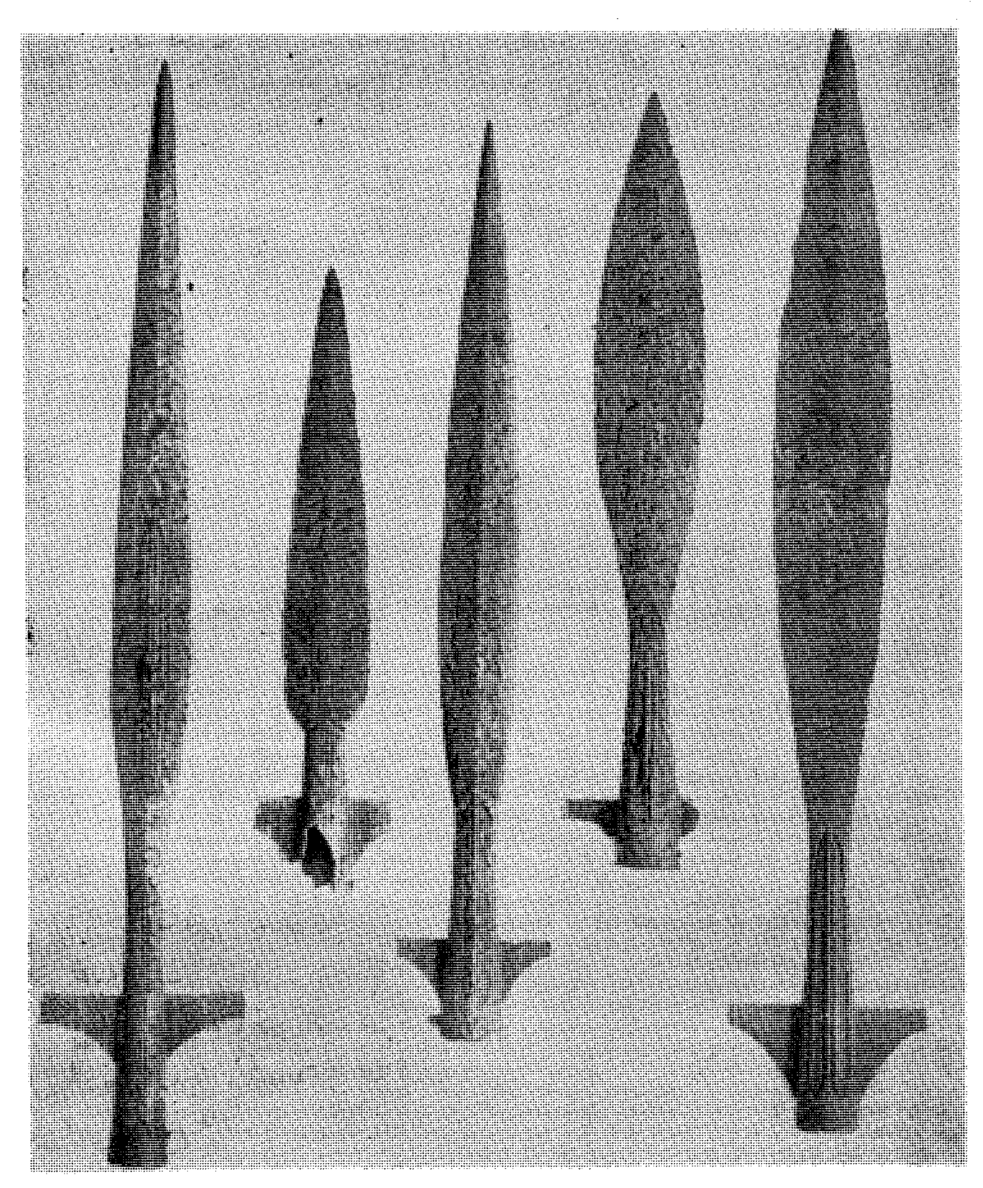
ولما أتى الاسلام ، حض الرسول (ص) على استعمال الرمح والتدرب عليه وكان يقول : « عليكم بالقنا والقسي ، فيها نصر نبيكم وفتح لكم في البلاد » [3] . وكان الرسول يحمل الرمح دوما في غزواته ، وكانت له أربعة أرماح ، أحدها وراثة اسمه « المتثني » ، وثلاثة أصابها من سلاح بني قينقاع [4] .

---

(١) عن كتاب « السلاح في الاسلام » للدكتور عبد الرحمن زكي - ص ٤٧ .

(٢) انظر الشكل رقم ١٦ الذي يحوي بعض أسنة الرماح العربية المصنوعة من الفولاذ الدمشقي في القرنين الثامن والتاسع بعد الميلاد .

(٣) و (٤) عن « حلية الفرسان وشعار الشجعان » ص ٢٠١ .



الشـــكل رقم ١٦
بعض نصال الرمـــاح الدمشقية مصنوعة من الفولاذ الدمشقي في القرنين الثامن والتاسع بعد الميـلاد (عن المتحف الحربي السويسري)

وقـد ظهر اهتمام العرب بالرمح في كثرة التسميات والنعوت التـي أطلقوها عليه ، وفي الاقوال وأبيات الشعر التي تتعلق به [١] • وكان الشبان العرب يقضون وقتا طويلا في التدرب على المطاعنة والمداعسة [٢] ، كما كانوا يتدربون على استعمال الرماح وذلـك بتعليق حلقـــة من الحديد تسمى (الوترة) ، والتمرن على الطعن داخلها وهم على ظهور خيولهم •

ولقـد وضع المؤلفون العسكريون العرب القواعد والاصول لحمل الرمح والقتال بثقيله طعنا وبخفيفه رشقا ، وقد بلغ من فنونهم في ذلك أن أحدهم ، وهو الشيخ أبو الحسن الابرقي ، تمكن في القرن الثاني عشر للميلاد من اختراع رمح ذي سنان نشاب ، أي أن حربـة الرمح تنطلق لوحدها باتجاه الخصم بمجرد أن يكبس حامله على زر معين في قناة الرمح نفسه • وقد وصف لنا « الطرسوسي » [٣] ـ وهو تلميذ الابرقي ـ طريقة صنع هذا الرمح العجيب بقوله : « ســنانه في صــورة البلطية في التحديد والتدوير صغيرا أصغر مـا يكون ، وأن تجعل في تجويف الرمح هنالك شيء يقال له الرسالة ، وهي مدفع السهم ، وتجعل فيه قطعة من وتر القطان وثبتت في القفل نسبة المرســل الذي يعمل لرمي النشاب الذي ليس لـــه فواق ، فاذا أردت الرمي زيرت الشعر وجذبته بالملوى وجعلته في القفل وحملت ، فان قصر جوادك فافتح عنه وأطلق فيخرج ذلك السهم بقوة ، وان كانت مسلة فهو أقوى في هذا الفن » [٤] •

كما ولا يفوتنا أن نشير الى أن العرب عرفوا الرمح كسلاح محرق أيضا ، وذلك أنهم كانوا يجعلون في سنانه كلابين من الحـديد وحلقة ،

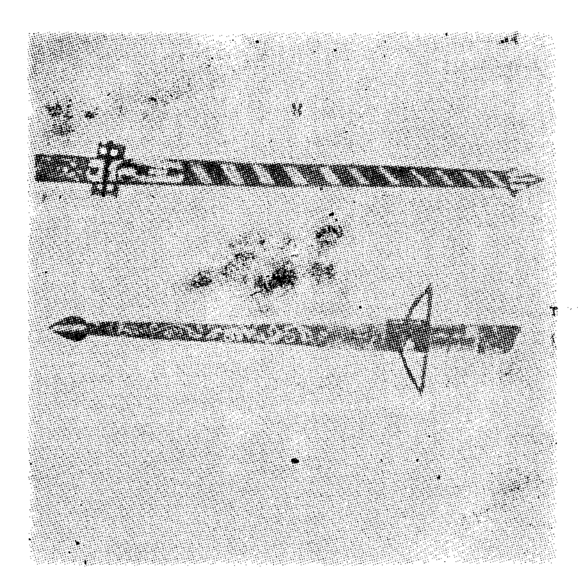
---

(١) يحوي الملحق رقم ٤ بعض التسميات والنعوت التي أطلقها العرب على الرمح ، كما أن الملحق رقم ٥ يضم بعض أقوالهم فيه •

(٢) « المطاعنة » هي المضاربة بالرمح وكذلك « المداعسة » ، أما المضاربة بالسيف فتسمى « المجالدة » أو « المماصعة » •

(٣) يحوي الشكل رقم ١٧ صورتين لهذا الرمح العجيب كما رسمها الطرسوسي نفسه •

(٤) عن : Bulletin d'Etudes Orientales - Tome XII - Page 112



الشـــكل رقم ١٧
صورتان للرمح النشاب (نقلا عن مخطوط الطرسوسي)

وتلف على السنان قطعة من اللباد مبلولة بمزيج من المواد المشتعلة ، ثـم تشعل النار في اللباد ويرمى المزراق فيحرق المكان الذي يقع فيه •

د ـ فن استخدام الرمح :

لم يترك العرب سلاحا الا ووضعوا له « فن استـخدام » سـواء في باحات السلم أو في ساحات الوغى • وقد كان الرمح موضع عنايـة علماء المسلمين العسكريين ، ولذا وضعوا قواعد لاستخدامه تكفل أحسن مردود بأقل جهد ممكن •

وقد ذكر لنا القاضي الحموي صاحب كتـــاب « النفحات المسكية » الشروط الواجب توفرها في الرمح الخفيف (المزراق) وقواعد استعماله حيث يقول : « ينبغي أن لا يفارق صاحب المزراق ترسا كبيرا يغطي بـه نفسه ويحرز به دابته ان كان فارسا •• وأجود تقادير مزراق الفرسان ثلاثة أذرع وغلظه مما يلي الزج غلظ الابهام حتى يصير الى غلظ طـرف

السبابة • وللراجل في الطول زيادة شبر ، وينبغي أن يتخذ من عود مستو لا يهتز اذا رمي به ، ويشد في وسطه حلقة من سير يدخل سبابته فيهـــا ويأخذ بباقي أصابعه قصب المزراق ، ويفرجها عليه ثم يبسط يده بالرمي • وان كان راجلا عدا عند الرمي خطوات فانه أشد لوقوعه ، وينبغي للزارق أن يسعى خلف مزراقه ليأخذه اذا ثبت فيما رماه أو أخطأه » [1] •

وأمـا عبد الرحمن بن هذيل الاندلسي الذي عاش في القرن الثامن الهجري فقد أعطانا في كتابه « حلية الفرسان وشعار الشجعان » وصفا لقواعد ركوب الخيل بوجود الرمح وكيفية التدريب على ذلك فقال [2] :

« وهو أن يأخذ الرجل رمحه بيمينه ، وعنانه بشماله مـــع قربوس سرجه ، ويضع زج رمحه بالارض ، وليبعد منها قليلا ، ويضع صدر قدمه اليسرى في ركابه الايسر ، ثم يعتمد على الرمح ، ويشيل نفسه على فرسه ، وينهض وهو يدير الرمح على كفل الفرس الى الجانب الايمن حتى يستقل بسرعة ، ثم يضع الرمح في يساره مع العنان ، ويسوى ثيابه وآلته بيمينه ، ثم يصرف الرمح الى يمينه • وان كان في صحراء ولم يقرب منه انسان يخاف أن يناله الرمح أو شجرة ينشب فيها ، فليأخذ ان أحب وسط الرمح بيده اليسرى مع العنان والعرف ان رأى ذلك أو القربوس ان كان أخـذ العرف بيساره أو لم يكن عرف ، ويأخذ المؤخرة بيمينه ، أو القربوس ان كان أخذ العرف بيساره ، ويركب • ولا ينبغي أن يتعرض الرجل لاخذ رمحه من الارض وهو راكب ، فربما وطئه الفرس فكسره أو ضربـــه فأبعد عنـه ، بل ينزل ويأخذ رمحه ويركب كما وصفت • وأمـا النزول بالرمح فهو أن يأخذه بيساره ، ويضع زجه بالارض عند يد فرسه اليسرى، ويأخذ القربوس بيده اليمين ثم ينزل ، وحين يصير الى الارض يأخذ رمحه

(١) « النفحات المسكية » ص ٦٢ ـ ٦٣ •

(٢) « حلية الفرسان وشعار الشجعان » ـ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧ •

بيمينه بسرعـة ، لئلا يدور عليـــه الفرس فيحطمه ، أو يصيب الارض بسنانه ، أو يعقر أحدا • فليلتفت لهذا كله •

ومن أراد تعلم العمل بالرمح والدربة في ذلك فليضع دريئة ، وهي عود أو شبهه قـائم بالارض قدر ارتفاع الفـارس ، ويتوثق من أسفله ، ويشد في أعلاه حلقة أو حبلا ملويا شبه الحلقة ، ثم يتباعد منه ، ويجري فرسه ملء فروجه ، فاذا قرب من تلك الدريئة تأبط رمحه ، وأخرج منه عن أبطه بقدر ما يخف عليه حمله وتحتمله قوته ، ثم يأخذ بسنانه تلك المعلقة ، ثم يلوي رمحه بسرعة ليخلص السنان من الحلقة • وربما احتاج الى أن يقلب رمحه الى خلفه ، أو الى أن ينفذ الحلقة ويأخذ رمحه لقفا من خلفها • وربما كانت الحلقة تدور حيث أدارها ، ويداوم العمل على ذلك كيفما أمكنه ، حتى يخف عليه العمل فلا يخطيء الاصابة ان شاء الله •

وأما صفة امساكه عند اللقاء ، والطعن به ، والتخلص منه بعد ذلك ، فذلك يحتاج الى بســط وتطويل ومشاهدة بالعيان أيضا ، لكثرة أحواله ، واختلاف وجوهه وطرقه •

وينبغي للفارس أن يخفف رمحه ما قدر ، فانه على الخفيف أقوى ، وله أضبط وبه أحكم ، وعلى قدر قوته واحتماله • وكانت رماح الفرسان من عشرة أذرع وأقل من ذلك جائز • وليكن بين الرقيق والغليظ قدر ما لا تعجز عنه الكف ولا تلتقي عليه الانامل ، فالتوسط هو المحمود وبحسب قدر اليد والتمكن من ذلك » •

وقـــد جـــاء في كتاب « آثار الاول في ترتيب الدول » [1] وصف كامل لكيفية استخدام الرمح في الحرب ، ويقول هذا الوصف :

« واللعب به في الميادين وبين يدي الملوك غير التحرك به في الحروب ،

---

(١) آثار الاول في ترتيب الدول « للحسن بن عبد الله » ـ ص ١٦٢ ـ ١٦٣ •

منها المواجهة وهي أن تحمل على مبارزك وقد أخذت الرمح تحت ابطك وجعلته بين أذني فرسك وتقصده مستويا حتى تقرب منه ، فان رأيته قد طرح رمحه يمنة فاطرح رمحك يسرة وان طرحه يسرة فاطرح رمحك يمنة واجهد ان تبدأ بالحمل عليه وانت مسدد وتحول الرمح يمنة أو يسرة كي تدهشه ، فلا يدري من أين تجيئه فاذا دنوت منه دخلت عليه من الخلل الذي لا يكون رمحه فيه ، واذا أردت أن تبتدىء بالخروج فخذ أسفل الرمح بيدك اليمنى ورأسه في الهواء وهو على عاتقك الايمن وتحمل على قوتك وانت كذلك وان شئت قربت منه حتى لا يدري من أي وجه يلقاك ثم تنظر من أين يطرح رمحه فتطرح أنت من الجانب الخالي ، واياك ان تطرح رمحك وتسدده من جانبه الا ان علمت أن رمحك أطول ويسمى المواصلة وهي خطأ في العمل فاحذرها » .

ثم قال :

« وان خرجت الى فارسين وتفرقا فاحمل على الادنى ، واذا كانا قريبين فأر أحدهما انك تريد رفيقه واحمل عليه ، ولا تتم حملتك ثم اعدل على الآخر وأصدقه الحملة ، وان حذقا ورأيتهما يفترقان عليك فتطرف ولا تتوسط واحمل على الادنى اليك ، فان تساويا فأدهش الاضعف واحمل على الاقوى ، فان تساووا وكانوا جماعة فامتد امامهم حتى يتبعوك ، ثم كر على الادنى منك فاطعنه ، وان دخلت مضيقا فتلقاك فارس برمح فاياك والمصادمة بل انزل الى الارض واطعنه ، وان كان خلفك فارس وقدامك فارس في مضيق فانزل وتحيل وأقصد أقربهما اليك وتترس من الآخر بدابتك » .

البحث الثالث : في القسي

القسي [1] « هي أعواد من الخشب اللين المتين ، تقوس كالهلال

(١) القسي جمع قوس ، وتجمع أيضا على أقواس .

وتثبت عليها أوتار من الجلد ترمى بها السهام » • ومن هذا التعريف يتبين لنا أن هذا النوع من السلاح يضم ثلاث قطع : القوس والوتر والسهم •

آ ـ القوس :

القوس عند العرب هي الحنية من العود مغلقا أو مفتوحا ، وكانت تصنع عامة من عود النبع أو الشوحط أو الخشب المرن القوي •

وقد ذكر ابن هذيل في كتابه [1] أن القسي تنتخب من عشرة عيدان :

ـ خمسة برية ، وهي : الطخش « اي النبع » ، والزنبوج ، والدردار ، والكتم ، والشبر •

ـ وخمسة بستانية ، وهي : النارنج ، والنسمان ، والتفاح ، والرمان ، والسفرجل •

وقد عرف العرب عدة أنواع من الاقواس كانوا يفضلون منها بصورة خاصة :

ـ العصفورية : نسبة لرجل كان يصنعها اسمه عصفور •

ـ الزغرية : نسبة الى موضع في بلاد الشام يقال له زغر •

ـ الشريح : وهو أحسن أنواع الاقواس •

وأهم أجزاء القوس هي [2] :

١ ـ البدن : يطلق هذا الاسم على خشب القوس كله ، ويقال للناحية العلوية منه « يد القوس » وللناحية السفلية « رجل القوس » •

٢ ـ المقبض : موضع اليد من القوس عند الرمي ، ويقال له أيضا « المعجص » •

٣ ـ السية : ما عطف من طرفي القوس لتركيب الوتر ، فلكل قوس والحالة هذه سيتان : سية عليا ، وسية سفلى •

---

(١) « حلية الفرسان وشعار الشجعان » ـ ص ٢١٣ ـ ٢١٤ •

(٢) عن كتاب « الفن الحربي في صدر الاسلام » ص ١٣٠ ـ ١٣١ ، مع بعض التصرف بالاستناد للمراجع اللغوية •

٤ ـ القاب : هو ما بين المقبض والسية ، ولكل قوس قابان : قاب علوي وقاب سفلي •

٥ ـ الفرقة : موضع السهم من القوس •

٦ ـ الفرضة : هي الحزة التي يلف عليها الوتر في السية العليا أو السفلى ، وعلى هذا فهناك فرضة عليا وفرضة سفلى أيضا •

٧ ـ الظفر : هو ما يبقى ظاهرا من طرف السية بعد عقد الوتر عليها سواء من الاعلى أو من الاسفل (ظفر علوي ، وظفر سفلي) •

٨ ـ الحمالة : هي العلاقة التي يحمل بها القوس عند عدم الحاجة للرمي به •

ب ـ الوتـر :

وهو الخيط الذي يصل بين نهايتي القوس (السيتين) ، وكان يصنع من خيوط مفتولة او من سير رفيع من جلد الحيوانات وخاصة حيوان الأيل ، ثم صار يتخذ من عصب عنق البعير أيضا •

والوتر يفسد اذا تعرض لحرارة الشمس أو لماء المطر ، ولذا كانوا يحفظونه في كيس خاص يوضع في الكنانة الخاصة بالسهام ولا يخرج الا عند الرمي •

ج ـ السهم :

السهم من متممات القوس ، وهو القسم الذي ينطلق باتجاه الهدف ، بينما يبقى القسمان الآخران السابق ذكرهما في يد الرامي • والسهم « هو عود رفيع من شجر صلب في طول الذراع تقريبا يأخذه الجندي فينحته ويسويه ، ثم يفرض فيه فروضا دائرية ليركب فيها الريش ، ويشده عليها بالجلد المتين أو يلصقه بالغراء ويربطه ، ثم يركب في قمته نصلا من حديد مدبب ، لـه سنتان في عكس اتجاهه ، يجعلانه صعب الاخراج اذا نشب في الجسم » [1] •

---

(١) « الفن الحربي في صدر الاسلام » ـ ص ١٣٧ •

وكان السهم يصنع في المشرق العربي من عود الشوحط ، وأما في المغرب فقد كان يصنع من شجر الصنوبر الاحمر الخفيف .

وأهم أجزاء السهم هي :

١ ـ القدح :

هو جسم السهم قبل تقويمه ، أما اذا قوم فيقال له مخشوب ، واذا حفرت فيه حزوز موضع الريش يقال له (فريض) ، ثم اذا ثبت فيه الريش قيل له (مريش) . ومتوسط سمك السهم أصبع واحدة .

٢ ـ العقب أو الكعب :

مؤخرة السهم ، وتوضع فيه بضع ريشات بغية الدقة في الاصابة ، وايصال السهام الى مسافة أطول . وقد يقال للعقب أيضا « الشريحة » أو « الطنبة » .

٣ ـ النصل :

هو قطعة الحديد الجارحة التي تركب في رأس السهم ، وقد كان العرب يصنعون منها عدة أنواع ، حيث يعدد « ابن سيده » في كتابه « المخصص » [1] عدة أنواع من نصال السهام ، كما أن غيره من اللغويين قد ذكروا كثيرا غيرها .

٤ ـ العود :

جسم السهم ما بين النصل والعقب .

٥ ـ الفوق :

هو موضع الوتر من السهم ، وهو على شكل فرضة ذات حرفين ، ويسمى هذان الحرفان زنمتي الفوق (ج زنمة) ، أو رجليه (ج رجل).

٦ ـ سنخ النصل :

سنخ النصل : هو التجويف الذي يحويه أسفل النصل لادخال القدح فيه .

---

(١) المخصص لابن سيده ج ٦ ـ ص ٥٨ ، ٥٩ .

٧ ـ الرعظ :

هو مدخل السنخ الذي يوضع فيه القدح •

٨ ـ الرصافة :

هي لفائف من سير جلـدي ، تلف حـــول الرعظ لتمكين النصل على القـــدح •

٩ ـ الريش :

وكان الرماة العرب يثبتون في عقب السهم عـــدة ريشات ، يتراوح عددها بين ٢ ـ ٤ ، وذلك لحفظ توازن السهم في الفضاء وايصاله الـــى مسافة أبعد •

وكانوا يفضلون ريش النسر ، فان لم يوجد فريش العقاب ، والا فريش الحجل • وقد حذر « ابن سيده » الرامي بالقوس « من أن يجعل ريشتين معـا لظهر أو لبطن ، أو يجعـل ريشتين لظهرهما والثالثة لبطنها فيضطرب السهم في سيره » كما حذر من أن تؤخذ « ريشة من عقاب وأخرى من نسر وثالثة من غراب أو رخمة » لاختلاف الصلابة • وحذر أيضا من أن تكون احـدى الريشتين أثقل من الاخرى ، أو تكون احداهما راقدة والاخرى قائمة فيختل التوازن • وقد أوصى « ابن سيده » بتفضيل ريش الاذناب على ريش الجناحين ، وتفضيل خوافي الجناحين على قوادمها ، لان ريش الخوافي لا يتعرض مباشرة لاشـــعة الشمس أو المطر ، ولا يمس الارض عندما يجثم الطائر عليها ، وهذا ما يقيه من التقصف عند الرمي[1] •

وقبل أن ننهي حديثنا عن أقسام القوس ، يستحسن أن نشير الى أن للقوس أسماء كثيرة تختلف باختلاف صفاته ونعوته ، وأهمها :

١ ـ المريخ :

هوسهم طويل له أربع آذان ، أي أربع شعب ، مما يجعله بعيـــد المدى ، ويجعل اخراجه من الجسم الذي أصابه أصعب •

---

(١) انظر « المخصص » لابن سيده ـ ج ٦ ـ ص ٥٧ •

٢ ـ الخطوة :

سهم طوله بطول خطوة الانسان ، أي حوالي ذراع واحد •

٣ ـ الصيخ :

السهم المصلب بالنار •

٤ ـ المسير :

السهم الذي يحوي بعض الخطوط •

٥ ـ الرهب :

السهم العظيم •

٦ ـ المسلة :

السهم اللطيف النحيف •

أنواع القسي :

عرف العرب عدة أنواع من القسي يختلف كل منها عن الآخر باختلاف حجمه وطريقة ايتاره [1] ، وسنكتفي هنا بذكر القسي الفردية حسب تسلسل ظهورها في التاريخ ، تاركين التحدث عن القسي الجماعية الى الفصل القادم :

آ ـ القوس اليدوي :

ويسمى أيضا « القوس العربي » ، حيث أن العرب استخدموه منذ أيام جاهليتهم الاولى ، ويكفي محارب واحد لتشغيل هذا القوس وذلك بأن يمسك القوس بيده اليسرى من « مقبض الرمي » ، ويشد الوتر أقصى استطاعته بيده اليمنى ثم يتركه لينطلق الى هدفه [2] •

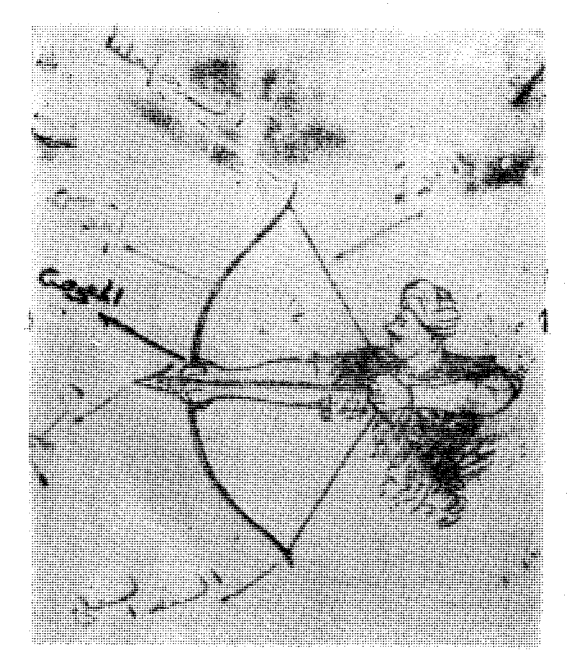
وهذا النوع من القسي هو أبسطها صناعة ، لانه لا يحوي الا القطع الثلاث المعروفة فقط وهي : القوس ، الوتر ، السهم ، وينطلق السهم منزلقا على القوس بدون أية حواش أخرى •

---

(١) الايتار : الشد •

(٢) انظر الشكل رقم ١٨ الذي يرينا كيفية الرمي بالقوس العربي •

وهنالك عدة أنواع من القوس اليدوي أهمها :



الشـــكل رقم ١٨
القوس العربي وكيفية شده (عن كتـــــاب « النفحات المسكية في صناعة الفروسية »)

ـ القوس الحجازي :

وهو الذي كان يستخدم في جزيرة العرب منذ عهود ما قبل الاسلام ، ويصنع عادة من عود من النبع أو الشوحط بدون سيتين ولا مقابض ، وهو أشهر قوس لدى العرب •

ـ القوس الشريحي :

يشبه القوس الحجازي تماما مع فارق واحد ، وهو أنه كان يصنع من عودين لا من عود واحد •

ـ القوس الواسطي :

وهو القوس الذي يحوي مجرى غائرا في الخشب يسري فيه السهم•

ـ القوس الدمشقي :

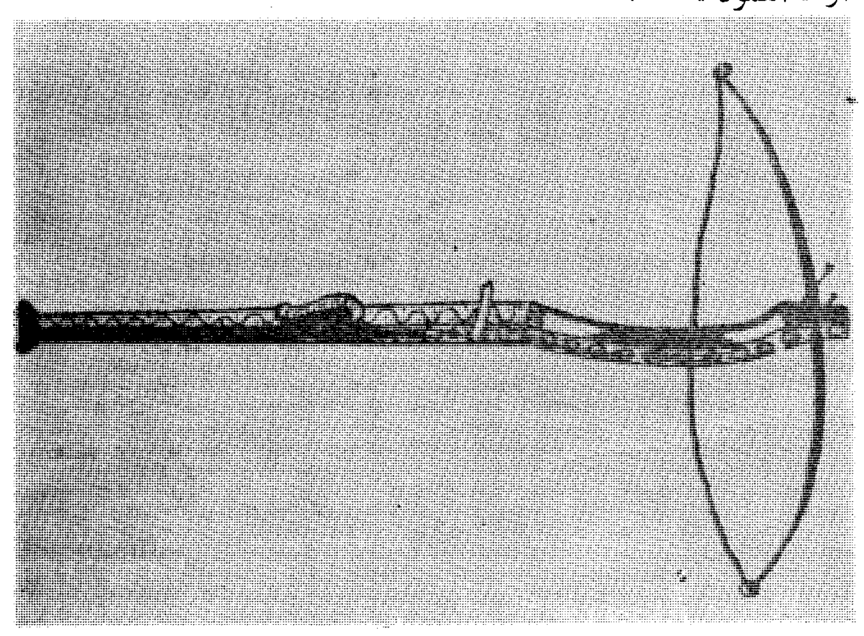
وكانت أجزاء هـذا القوس متمفصلة ، حيث تركب على بعضها وتلصق بالغراء •

وهناك عدة أنواع أخرى من القوس اليدوي ولكننا نفضل الاقتصار على ذكر هذه الانواع الاربعة السابقة الذكر فقط •

ب ـ القوس الانبوبي :

وهذا النوع من القسي أقتبسه العرب عن الاعاجم في أواسط حكم الدولة العباسية ، ثم أجروا عليه من التعديلات والتحسينات الشيء الكثير •

وهو يشتمل على قوس ووتر عاديين يشبـهان نظيريهما في القوس اليدوي ، مع اضافة قطعة جديدة الى القوس سموها « المجراة » أو « النفق » أو « العمود » [1] •



الشـكل رقم ١٩

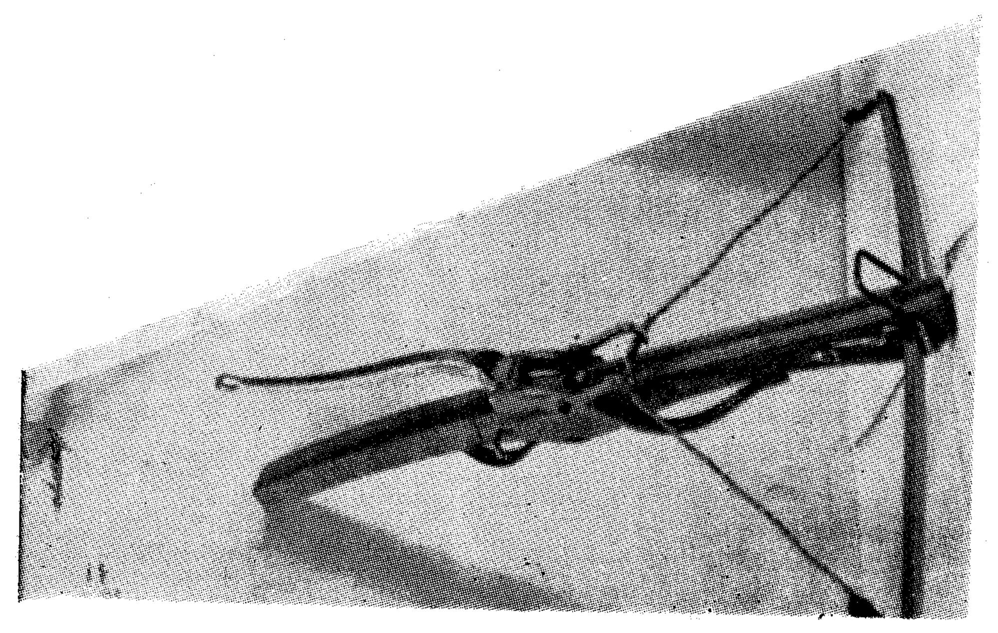
القوس الانبوبي الاول (نقلا عن كتاب السلاح في الاسلام)

---

(١) ان اغلبية المصادر تطلق اسم « المجراة » على الانبوب المذكور ، بينما يطلق عليه الطرسوسي في مخطوطه « تبصرة الالباب ••• » اسـم « نفق » ، ويسميه ابن هذيل « العمود » •

والاسماء الثلاثـة المذكورة تدل على مسمى واحد وهو أنبوب مـن الحديد أو الخشب فيـه شـق يوضع السهم فيه • ثم يطلق فيندفع لمسافة بعيدة ، وبدقة متناهية مما يجعله يشبه بندقية اليوم تقريبا • والحقيقة أن اختراع « المجراة » كان الخطوة الاولى لاختراع القصبة « السبطانة » في الاسلحة النارية ، كما أن الانواع التي صنعت في أواخر القرون الوسطى من هذه القسي تشبه الى حد بعيـد « الغدارات الناريـة Carabines التي هي تطوير للقوس الانبوبي بعد اكتشاف البارود [1] •

والقوس الانبوبي مزود بآلة تسمى (المفتاح) ، ويسمى مكان تأثير



الشـكل رقم ٢٠

قوس أنبوبي يعود بتاريخه لاواخر القـرون الوسطى •

(عن نموذج في متحف القاهرة الحربي)

---

(١) يرينا الشكل رقم ١٩ الصورة التي كـان عليهـا القوس الانبوبي الاول • ويمثل الشكل رقم ٢٠ القوس الانبوبي كما أصبح في نهاية القرون الوسطى ، وتلاحظ شدة الشبه بينه وبين الغدارات النارية في طرازها الاول •

المفتاح على المجراة (القفل) ، وتوضع في هذا المكان أحيانا كرة صغيرة متحركة من الفولاذ تسمى (الجوزة) ، وفي الجوزة فرضتان في جزئين متقابلين من محيطها ، ففي الفرضة الاولى يتوقف الوتر عندما يكون مشدودا ، وفي الفرضة الثانية ينتهي طرف نابض الشد ، فاذا ما ضغطنا على المفتاح الموجود في أسفل المجراة قبل المقبض فان النابض يتحرر والجوزة تدور والوتر ينفلت فيقذف السهم بعيدا •

ج - القوس القدمي :

القوس القدمي أو « قوس الرجل » هو ، كما يظهر من اسمه ، قوس يطلق باحدى رجلي الانسان أو بالاثنتين معا • والقوس القدمي قوس أنبوبي حكما وليس العكس بصحيح •

وتنتهي مجراة هذا القوس (أنبوبه) في نهايتها العلوية بحلقة تسمى

الشكل رقم ٢١
القوس القدمي نقلا عن نموذج في متحف القاهرة الحربي

(ركاب الرجل) ، فاذا أراد الرامي أن يوتر قوسه أدخل قدمه بالركاب ويشد الوتر بها ، بمساعدة يديه ، فيأخذ السلاح حينذاك الوضع المطلوب، ثم يكون اطلاق الوتر بواسطة « جوزة » [1] .

د ـ قوس الحسبان :

هو قوس عجيب لانه يرمي عاصفة من السهام باطلاقة واحدة من قبل رجل واحد فقط . ولهذا النوع من القسي « مجراة » ، ولكن ليس لها قفل أو جوزة كما هو الحال في النوعين السابقين . وتكون السهام التي ترمى بهذا النوع من القسي صغيرة الحجم ، لا يجاوز حجم الواحد منها حجم الاصبع الواحد ، مما يجعل مجرى القوس يتسع لعدد كبير من السهام تنطلق منه دفعة واحدة كسرب الجراد أو طلقات الاسلحة الرشاشة الحديثة . ونظرا لقوة تأثير هذا السلاح وخفة وزنه فقد كان السلاح المفضل لدى فرسان الجيش العربي بلا منازع . وقد وصف لنا « الطرسوسي » طريقة صنع هذا النوع من القسي والنوعين الآخرين أيضا [2] .

مكانة القوس عند العرب :

كان للعرب منذ جاهليتهم مهارة عظمى برمي القوس ، وذلك لحدة أبصارهم من جهة ، ولتعودهم على الغزو والقنص من جهة ثانية .

وبلغ من مهارتهم في الرمي بالقوس أن الواحد منهم كان يقدر على رمي احدى عيني الغزال دون الاخرى على بعد يفوق المائة ذراع ، أو اصابة حمامة معينة من بين رفيقاتها بالجو . فلما جاء الاسلام كانت مهارتهم هذه من جملة ما ساعدهم على غلبة الروم ، الذين لم يكونوا يحسنون الرماية بها ، وذلك بعكس الفرس الذين كانوا أمهر من العرب ومن الروم معا . وقد

---

(١) انظر صورة القوس القدمي في الشكل رقم ٢١ .

(٢) انظر الملحق رقم ٩ .

أدرك الرسول (ص) أهمية هذه الميزة ، ولذا كان يحض رجاله دوما على اتقان الرمي بالقوس ، ومن أقواله في **هذا المجال :**

- ارموا واركبوا وان ترموا احب الى من ان تركبوا (١) .
- اعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، الا ان القوة الرمي ، الا أن القوة الرمي ، الا ان القوة الرمي (٢) .
- من رمى بسهم في سبيل الله أخطأ أو أصاب فكأنه أعتق رقبة من ولد اسماعيل (٣) .
- من تعلم الرمي ثم تركه فقد عصاني (٤) .
- ما مد الناس أيديهم الى شيء من السلاح الا وللقوس عليه فضيلة (٥) .
- من اتخذ في بيته قوسا نفى الله عنه الفقر ما دامت في بيته (٦) .
- منتهى المؤمن القوس والنبل (٧) .
- علموا أبناءكم الرمي فانه نكاية بالعدو (٨) .
- ارموا يا بني اسماعيل فقد كان ابوكم راميا (٩) .
- ان الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب في صنعه الخير ، والرامي له والممدد به (١٠) .

وكان للرسول أربعة أقواس : قوس من نبع تسمى « الصفراء » ، وقوس من شوحط تسمى « الروحاء » ، وقوس ثالثة من شوحط تسمى « البيضاء » ، وقوس أخرى تسمى « الكتوم » (١١) .

ويظهر اعتماد الرسول على القوس في الحرب في أنه كان يخطب وهو متكيء عليها . ويروى أنه جمع في احدى غزواته خمسين رجل من الرماة

---

(١) و (٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ـ ج ١ ـ ص ٦٩ .

(٣) و (٤) السلام والحرب في الاسلام ـ ص ٨٣ .

(٥) و (٦) و (٧) : « حلية الفرسان وشعار الشجعان » ـ ص ٢٠٩ .

(٨) و (٩) و (١٠) : « حلية الفرسان وشعار الشجعان » ـ ص ٢١٠ .

(١١) المرجع السابق ـ ص ٢١١ .

أمر عليهم عبد الله بن جبير بن النعمان وأقامهم على جبل صغير وقال لهم : « احموا ظهورنا ، لا يأتونا من خلفنا وارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقدم على النبل ، انا لا نزال غالبين ما ثبتم في مكانكم »[1] .

وقد تابع خلفاء الرسـول من راشدين وأمويين وعباسيين خطتـه الحميدة في الاهتمـام بالرمي والحض على اتقـانه ، حتى أصبح صنف



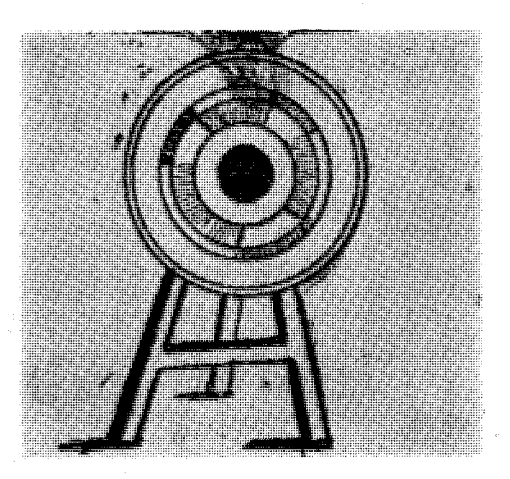
الشـكل رقم ٢٢

جنود المهدي في معركة بالقسي مع أتباع مزدك الفارسي (عن مخطوط عربي قديم)

(١) « السلام والحرب في الاسلام » ـ ص ٩١ .

« النشابين » في الجيش العربي أقوى من أي صنف من الصنوف الاخرى • وقد كان الفضل في كسب أغلب المعارك زمن العباسيين يعود لحسن استخدام القسي [1] •

وقد تغنى شعراء العرب بأبيات أكثر من ان ينالها حصر بفضل القوس على بقية الاسلحة العربية [2] • ونظرا لتلك الاهمية التي كانت للقسي في حروب ذلك العصر ، لذا كان من الطبيعي أن يهتم فتيان العرب بالتدرب على الرماية بها وذلك بممارسة تمارين خاصة كان يطلق على الواحد منها اسم (ندب) وجمعها (أنداب) • وقد كان التمرين يجري أول الامر على دريئة تتكون من برميل مغلف بجلد البقر ، وأما في العصور الاخيرة فقد استعملوا لوحة ذات عدة دوائر ضمن بعضها تشبه الدوائر التي ترسم على الدريئات المخصصة لتمارين الرماية البندقية في عصرنا هذا ، وقد أطلقوا على هذه اللوحة اسم « القرطاس » أو « الهدف » [3] •



الشكل رقم ٢٣
صورة القرطاس
عن كتاب « النفحات المسكية »

وقد استخدم العرب في تدريبهم على الرمي ، بالاضافة لما ذكر ، أنواعا أخرى من الدريئات ، فقد كان التدريب يجري أحيانا بالرمي على ألواح خشبية ترسم عليها علامتان محدودتان

---

(١) يرينا الشكل رقم ٢٢ معركة بالقسي بين أتباع مزدك الفارسي وجنود الخليفة المهدي •

(٢) انظر الملحق رقم ٦ •

(٣) انظر الشكل رقم ٢٣ •

وتسند الى أحد الجدران ، فاذا ما أصاب الرامي اللوح وثبت السهم في مكان الاصابة يكون بذلك قد أصاب الهدف ، أما اذا أصاب السهم اللوح بشكل مائل فان اللوح يأخذ بالاهتزاز وعلى الرامي اعادة الكرة ، والى جانب ذلك كان التدريب يتم أحيانا بالرمي على حلقات معلقة في أعالي أعمدة منصوبة خصيصا لهذه الغاية ، وذلك بأن يمتطي الفارس صهوة جواده ويطلق سهمه ليمر من داخل الحلقة •

فنون الرمي بالقوس :

لا يكاد يخلو كتاب عسكري قديم ألف باللغة العربية من قواعد الرمي بالقوس وفنونه ، وسنكتفي هنا بذكر ما كتب عن هذا الفن في كتابين :

ـ كتاب « حلية الفرسان وشعار الشجعان » الذي ألفه عبد الرحمن ابن هزيل الاندلسي •

ـ وكتاب « النفحات المسكية في صناعة الفروسية » من تأليف القاضي الحموي •

أما ما كتبه ابن هزيل في هذا المجال فاهم ما فيه قوله :

« والقسي جنسان : قوس اليد وهي العربية ، وتنقسم الى أنواع ، وقوس الرجل وهي الافرنجية وتنقسم كذلك الى أنواع ، فالقوس العربية أنسب للفارس ، لانها أسرع وأقل مؤونة ، والقوس الافرنجية أنسب للراجل ، لانها أبلغ وأكثر معونة ، ولا سيما في الحصار والمراكب البحرية وشبه ذلك [1] •

و « اسرار القوس في سبعة أشياء : حيوان يعقل وهو الرامي ، ومنفصل عن حيوان لا يعقل وهو الريش والشمع والجوزة والقضيب والسهم ، فتصول هذه الاربعة عند الرمي ولا يصول أحدها وحده (••••)

(١) « حلية الفرسان وشعار الشجعان » ـ ص ٢١١ •

واعلم أن القوس تربط على وجهين : بالنظر وهو أصل ، وبالقياس وهو فرع ، فأما أهل المعرفة فهم ثلاثة نفر : العريف والمعلم والرامي ، ولكل واحد منهم درجة زائدة على صاحبه ، فيزيد المعلم على الرامي رطوبة اليدين ، ويزيد العريف على المعلم نور القلب ، فيربطون القوس بالنظر ، فان غم عليهم قاسوا بالضابط (٠٠٠٠)

واعلم أن جر القوس مخوف في زمن الشتاء ، وذلك حذرا على الرامي لشدة القوس ، وحذرا على القضيب ، فالقضيب الشرقي يصلح للشتاء ، والقضيب الغربي يصلح للصيف ٠ فان كنت في زمن الشتاء فأجعل قوسك للشمس حتى لا ترطب وتلين وارم بها ، وان كان يوم قر فلا سبيل الى ذلك الا في الغزو خاصة ٠ وان كنت في زمن الصيف فاجعلها في مكان بارد حتى تبرد وارم بها (٠٠٠٠) واعلم ان القوس لا يستوى طرفاها حتى تكمل عليها الصفة ، فاحذر ست خصال ، فانها رأس الخطأ في هذه الصنعة : الوتر الخشن ، فانه ينقص الرمي ويكسر القضيب ، وفي القضيب الفراغ ، والامتلاء ، والوقوف ، والخشب الذي يكون تحت الصدر ، وترقيق الاطراف (٠٠٠٠) ٠

واذا مشيت في الغزو فثقل الزاد وخفف السلاح ، وبزائد القوس على جميع السلاح ، فالقوس الخفيفة هي النفاعة الرمي ٠ واذا رأيت الناس في الصدمة الاولى فقف مكانك ، حتى ترى ما يكون ، لعلك تفض بمن وصل الى الناس شدة ، ولتكن سهامك مستوية العمل غزالية التركيب ، رقاق بيوت الريش ، نردية الافواق ٠

واحذر سبع خصال ، فاما أسباب رجوع السهم الى الرامي فمنها في السهم اثنتان : قصر الفوق والتجنيب أمام ٠ وفي الجوزة اثنتان : سعة النهر وعلو العتبة ٠ وفي القضيب ثلاثة : الفراغ والامتلاء ــ وقد تقدم ذكرهما ــ والفسل (٠٠٠٠) ٠

واعلم أن الاول من السهام يسمى « دليلا » ، والثاني « بانيا » ، والثالث « ظهورا » ، والرابع « طالبا » ، والخامس « ضاربا » ، والسادس « سد ذريعة » ، فاذا رميت الدليل وجاء فوق الاشارة ، ورميت الباني وجاء تحتها ، ورميت الظهور وجاء يمينا ، ورميت الطالب وجاء يسارا ، فارم الخامس فهو الضارب كاسمه كما ذكرنا ، والسادس هو المحقق ، وهو سد الذريعة [1] .

ومن رمى الستة ولم يصب بأحدها فرمايته خداج [2] ، فلا يتعاهد الرمي أبدا . ومن أصاب باثنين فشغله قد تيسر ، ومن أصاب بأربعة فهو قد أصاب كثيرا من الصنعة ، ومن أصاب الستة فقد حاز درجة المنتهى » [3] .

وأما ما ذكره القاضي الحموي تحت عنوان : « في الرمي بالنشاب » فنورد أهم مقاطعه فيما يلي [4] :

(« اعلم ان ائمة الرمي بعد سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه أربعة لكل واحد مذهب . فمذهب الائمة الاربعة : أبو هاشم البارودي وعبد الرحمن الطبري (في كتابه : الواضح في الرمي والنشاب) وطاهر البلخي وأسحاق الرفاء فهؤلاء ائمة رمي النشاب الذين تفردوا وقهروا من سواهم من الرماة .

وأصول الرمي التي اتفق عليها هؤلاء الرماة سبعة أشياء ولها سبعة فروع :

فالاصول : الايتار والتفريق والعقد والقبض والنظر والمد والاطلاق .

وأما الفروع فهي : التصوير الحسن وسرعة التفويق والقفلة والوفاء التام وثبات الشمال وسلامة الاطلاق والمط بالشمال » . وبعد هذا ينتقل

---

(١) ما اشبه ما يقوله ابن هذيل هنا بطريقة احكام الرمي حسب مبدأ الحاصرات ، وهي الطريقة المتبعة غالبا لاحكام رمايات الهاون والمدفعية في عصرنا الحاضر .

(٢) أي ناقصة .

(٣) عن « حلية الفرسان وشعار الشجعان » ـ ص ٢١٣ ـ ٢١٩ .

(٤) عن « النفحات المسكية في صناعة الفروسية » (ص ٦٣ ـ ٦٦) .

القاضي الحموي الى ذكر الفـروع التي تشتق من هذه الاصول السبعة ، ثم يذكر شروط فعالية الرمي فيما أسماه « أركان الرمي » • ولقد حد هذه الاركان بأربعة : السرعة ، وشدة الرمي ، والاصابة ، والاحتراس • وهي ـ لعمري ـ أركان صحيحة لا تزال معتبرة حتى وقتنا الحاضر •

وقبل أن ننهي بحثنا في القسي ، لا يسعنا الا أن نذكر أنه لا زالت تقام ، حتى أيامنا هذه ، بطولات في الرمي بالقوس في جميع البلدان المتقدمة، وذلك كنوع من أنواع الرياضة البدنية • وأما نحن ، فاننا للأسف تركنا هذه الرياضة بعد أن كنا في أوائل من مارسها •

البحث الرابع : في بقية الاسلحة الهجومية الفردية

بعد أن توسعنا بعض الشيء في بحث الاسلحة الثلاثة السابقة الذكر ، وهي السيف والرمح والقوس ، سنأتي على ذكر لمحة موجزة عن بقيـــة الاسلحة الفردية الهجومية التي استخدمها العرب وهي :

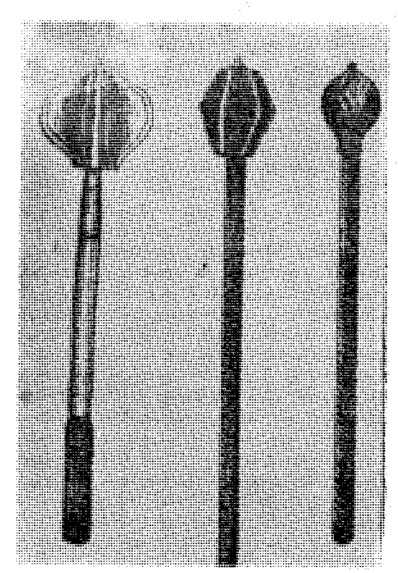
١ ـ العمود :

آلة حربية من حديد ذات أضلع ، يحملها الفرسان في السروج تحت أرجلهم ، ويتقاتلون بها بعد التضارب بالسيوف والرماح [١] • وقد اتخذ العمود مؤخرا اسما آخر وهو « الدبوس » ، وذلك رغم وجود كثير من الفوارق بين الاثنين : فالعمود لا يكون الا قطعة واحدة على شكل قضيب من الحديد برأس ضخم ومضلع • وأما الدبوس فيمكن أن تكون خرزته [٢] فقط من الحديد ونصابه من الخشب الصلب المحكم التقدير والتدوير ، كما ويمكن أن تشكل الخرزة قطعة مستقلة عن النصاب ، ولكنها تتعلق به بوساطة جنزير لا يتجاوز طوله شبرين أو ثلاثة • وقد حدد لنا « القاضي

(١) انظر الشكل رقم ٢٤ •

(٢) خرزة الدبوس : رأسه الذي يضرب به •

الحموي » ببضعة أسطر من كتابه النفيس فن استخدام العمود والدبوس وذلك بقوله [1] : (« وينبغي أن يتخذ العمود دون قوة صاحبه ليكون له فاهما ، وينبغي أن يعلقه في كلاب في السرج عند ركبته اليسرى ، فاذا أراد الضرب به كان ضربه شديدا ، وينبغي أن يتعمد اذا ضرب انف الرجل ومقدم رأسه ، أو عضده ، أو ركبته ، أو خطم دابته ، وله أن يكسر الرمح والسيف بالعمود ويهشم البيضة [2] وجميع السلاح ، ويحذف به ، ولا يرمى حتى يعلم أنه لا يخطىء ، وينبغي لمن أراد أن يحذف به أن يحاذى منكبه ويبسط يده كلها بالرمي »).



الشكل رقم ٢٤
ثلاثة عمد (ج عمود) مملوكية
يعود تاريخها للقرن الخامس عشر
(عن كتاب السلاح في الاسلام)

٢ ـ النبوت :

النبوت هو عصا غليظة مفلطحة الرأس ، مرققة من طرف وثقيلة من الطرف الآخر ، وقد يجعلون في رأسها المسامير الحادة لتصبح أكثر تأثيرا ، وهي أكثر استعمالا لدى الفرسان .

٣ ـ القنبرة :

القنبرة أو القنبلة هي قارورة ذات شكل خاص ، كانت تحشى بالنفط والصبر وبزر القرطم المقشور وغير ذلك من المواد ، وتجعل لها فتيلة ليشعلها الضارب ويرميها باتجاه العدو فتحرق بنارها ماتقع عليه ، أو تنفجر [3].

وكان يقال للقذائف التي كانت ترمى بواسطة المنجنيق « قنابر »

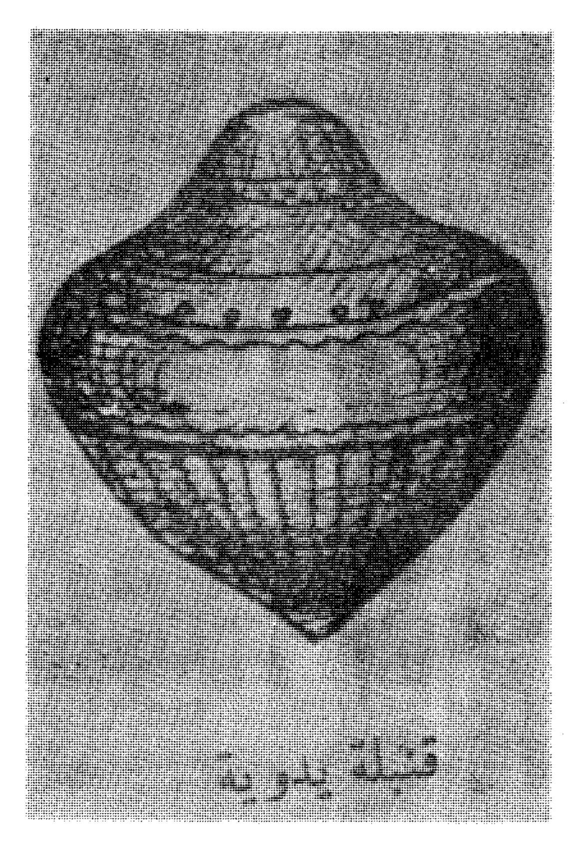
---

(١) « النفحات المسكية في صناعة الفروسية » ـ ص ٦٢ .

(٢) البيضة ، كما قلنا سابقا ، هي خوذة من الحديد تغطي الرأس .

(٣) انظر صورة القنبرة اليدوية العربية في الشكل رقم ٢٥ .

ايضا ، ولكننا سنؤجل بحث هذا النـــوع حتى الفصل القادم باعتباره من لوازم الاسلحة الاجماعية .



الشـــكل رقم ٢٥
القنبرة اليـدوية العربية
(عن كتاب « التمدن الاســلامي »)

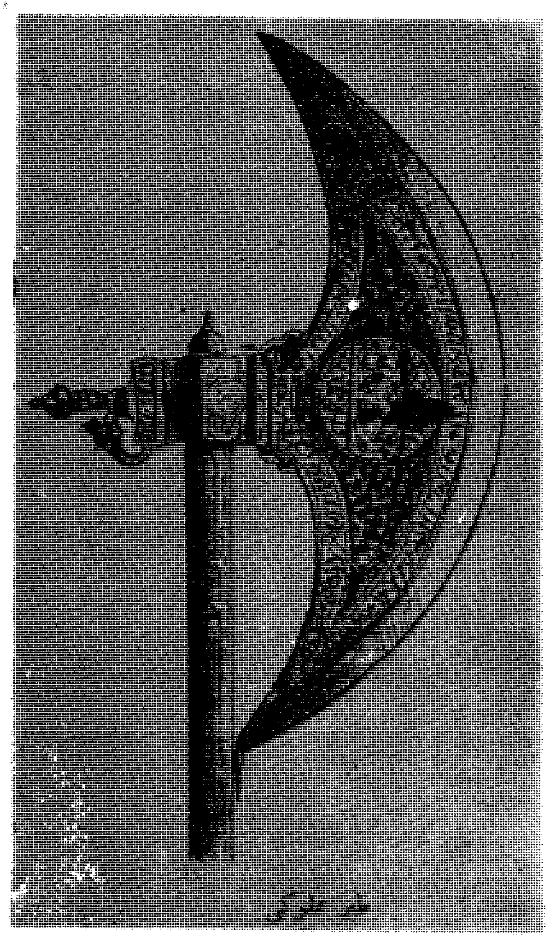
٤ ــ الطبر :

الطبر ، أو « الطبرزين » ، هو سلاح يشبه الفأس أو البلطة برأس نصف مستدير يركب في قضيب من الحديد أو الخشب القاسي ، وكانت تحفر عليه بعض النقوش الاسلامية أو العبـــارات الحماسية والدينية [1].

---

(١) انظر الشكل رقم ٢٦ الذي يبين لنا الصورة التي كان عليها الطبر المملوكي .

وبدىء باستخدام الطبر لاول مرة في موقعة « المنصورة » التي جرت بين المصريين والصليبيين سنة (٦٤٧ – ٦٤٨ هـ) (١٢٤٩ – ١٢٥٠ م) • وكان هذا السلاح يعلق في سرج الفارس في الحرب ، وأما في السلم فقد كان

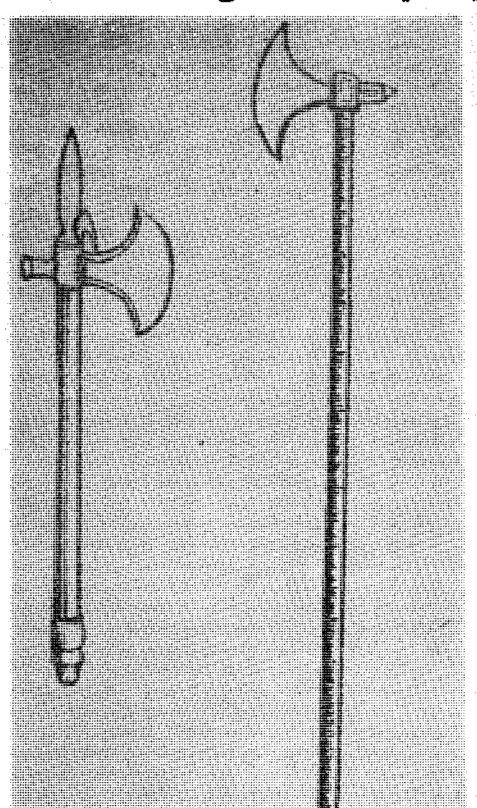


الشكل رقم ٢٦
طبر مملوكي (عن كتاب « السلاح في الاسلام »)

السلاح الخاص بحرس سلاطين المماليك في مصر • ويسمى الطبر بالعربية الفصحى « المطرق » •

٥ ـ الخطاف :

الخطاف ، أو فأس القتال ، هو سلاح يشبه الطبر في شكله واستعماله ولكن رأسه أقل استدارة وأصغر حجما من رأس الطبر [١] ، وقد استعملته البلاد العربية الاخرى تقليدا للطبر الذي اختصت بـــه مصر فقط في زمن المماليك • وبالاضافة الى الطبر والخطاف وبقية فؤوس القتال المصنوعة في بلاد العرب ، أخذ المحاربون المسلمون يستعملون ما غنموه من الصليبيين من الاسلحة التي تنتمي الى هذه الانواع أيضا •



الشـــكل رقم ٢٧

الخطاف أو فأس القتال عن كتاب (« السلاح في الاسلام »)

(١) انظر صورة « الخطاف » في الشكل رقم ٢٧ •

٦ ـ المقلاع :

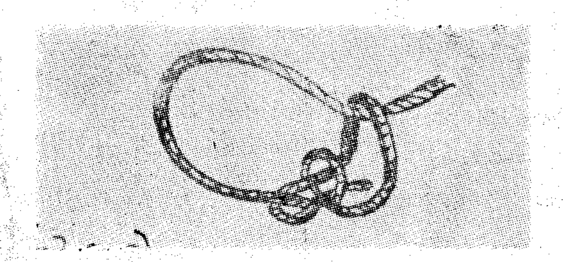
عبارة عن كفة من الجلد أو القماش بشكل بيضوي أو مستدير ، لها حبلان (اذا كانت بيضوية) ، أو ثلاثة (اذا كانت مستديرة) ، وطول كل من هذه الحبال ٥٠ ـ ٦٠ سم ، وهي مربوطة بالكفة من جهة ومرسلة من الجهة الثانية ، ويحوي أحدها عروة لادخال اصبع الرامي فيها •

أما طريقة الرمي بها فهي أن توضع قطعة حجر بحجم مناسب في الكفة ، ثم يقوم الرامي بتدوير المقلاع فوق رأسه وهو يمسك بأطراف حبالها ، وبعد دورتين أو ثلاث يفلت أحد هذه الحبال لتنطلق قطعة الحجر في الاتجاه المطلوب [١] •

وكانت المقلاع تشكل السلاح الرئيسي لصنف مهم من صنوف الجيش العربي ، وهو صنف « العيارين » الذين اختصوا بحمل هذا السلاح والرمي به •

٧ ـ الوهق :

الوهق (ج أوهاق) هو حبل في طرفه أنشوطة ، كان يطرح في عنق الدابة الطليقة للامساك بها [٢] • وقد استخدمه المحاربون العرب لاغراض



الشكل رقم ٢٨

الوهق (عن كتاب « النفحات المسكية »)

---

(١) كان المقلاع لرمي الحجارة ، وأما « البندق » الذي هو كرات من الطين أو الحصى فلم يكن سلاحا بالمعنى المفهوم بل كان الرمي به للتسلية فقط •

(٣) انظر صورة الوهق في الشكل رقم ٢٨ •

شتى ، حيث كانوا يستخدمونه في تسلق الاسوار والمرتفعات أو في تقييد الاسرى وغير ذلك .

٨ ـ الجنبية :

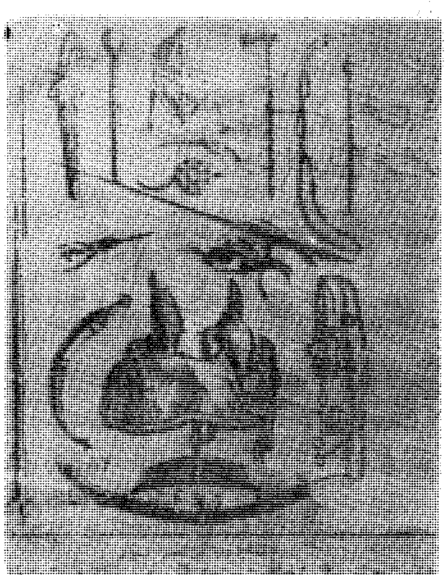
هي المدية ذات الحدين التي تثبت في الحزام على جنب المحارب ، بدىء باستخدامها في جزيرة العرب ومنها انتقلت الى مراكش وتركيا وغيرهما من البلاد العربية والاسلامية .

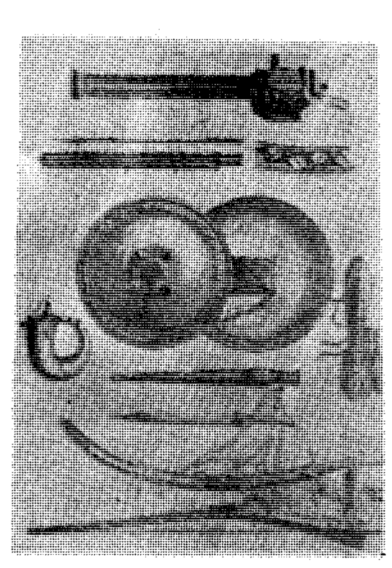
٩ ـ الخنجر :

سكين ذات رأس معقوف ومقبض من القرن أو العاج ، ولا يزال هذا النوع من الاسلحة مستخدما في البلاد العربية وخاصة تلك التي لا تزال تعم فيها العادات القبلية .

١٠ ـ الطراد :

الطراد هو الشلفة ذات الرؤوس الحادة المتعددة .





الشكل رقم ٢٩

أهم الاسلحة الفردية عند العرب (عن كتاب « السلاح في الاسلام »)

١١ ـ الصلت :

الصلت (ج أصلات) هو السكين الكبيرة أو المدية ٠

١٢ ـ الرميض :

السكين الشديدة الحد ٠

★ ★ ★

ونعتقد بأن هذا القدر يكفي لاعطـــاء القارىء فكرة واضحة عن الاسلحة الفردية التي كان يستخدمها المحارب العربي ، تلك الاسلحة التي كفلت له قهر أعدائه مدة زادت على خمسة قرون [١] ٠

وان من يتعمق بدراسة هذه الاسلحة وفنون استخدامها ، سيخلص بلا ريب الى نتيجة واحدة ، وهي أن (أصول الحرب) تبقى ثابتة دوما ، وأما العنصر الذي يتغير فهو (الوسائط) ، ولذا فكل دراسة لاسلحة الماضي تفيدنا بشكل غير مباشر في ربح معارك الحاضر والمستقبل ٠



(١) يظهر في الشكل رقم ٢٩ أهم الاسلحة الفردية عند العرب في العصر المملوكي ٠

الفصلُ السّابع

الأسلحة الجماعيّة وفنون استخدامها

نعني بالاسلحة الجماعية تلك التي تحتاج الى عدة رجال لتشغيلها أو لحملها من مكان الى آخر أثناء القتال • وأشهر الاسلحة الجماعية التي عرفها العرب الاقدمون هي :

القسي الثقيلة ــ المجانيق ــ آلات الحصار ــ الحسك الشائك ــ المكاحل وسنتكلم عن كل هذه الاسلحة بالتفصيل اللازم •

أولا ــ القسي الثقيلة :

ذكرنا في الفصل السابق شيئا عن القسي الفردية ، وسنتكلم في هذا الفصل عن القسي الجماعية الثقيلة التي عرفها العرب والتي يمكن أن تصنف في ثلاثة أنواع :

آ ــ قوس الزيار :

ان قوس الزيار عبارة عن آلة ثابتة ثقيلة تعمل على مبدأ القسي ، أي أن القوة الدافعة فيها تأتي من شد وتر ضخم ثم تركه يعود الى حالته الطبيعية قاذفا ما يحمله الى بعد يتناسب مع قوة الشد ، أي مع « تزيير » الوتر ، ولذا سميت بهذا الاسم •

وقد عرف العرب هذا النوع من القسي في وقت مبكر ، ونقله عنهم الصليبيون في اواسط القرن الثالث عشر للميلاد ، أو في سنة ١٢٣٩ م (٦٣٧ هـ) بالدقة ، حين ابتاع الملك فريدريك الثاني أحدها من عكا ، ونقله معه الى أوروبا حيث بديء باستخدامه هناك، وخاصة من قبل الفرنسيين الذين أطلقوا عليه اسم(القوس الكبير ذي البرج Grand arbalète à tour) ، ويعترف بذلك صراحة كل من المستشرق الالماني « كوهلر » والمستشرق الفرنسي « كلود كاهين » وغيرهما [١] .

وقد وصف لنا الطرسوسي هذا القوس بأنه « أشد القسي رميا وأعظمها جرما وانكاها سهما ، ويحتاج ايتارها الى عدة رجال ... وتنصب على الابراج ، وما شاكلها ، ولا يكاد أحد يقف لها » ثم انتهى الى وصف عملية صنع هذا القوس الضخم في مخطوطه النفيس [٢] .

ويظهر أن قوس الزيار دعيت في العصور الاخيرة باسم « منجنيق السهام » لان حجمها كان حجم منجنيق يرمي سهما هائل الحجم يتراوح طوله بين ٦٠ ــ ١٨٠ سم ، ووزنه ٢ ــ ٣ كغ . وقد سمي هذا السلاح من قبل الصليبيين باسم يقابل تماما اسمه العربي وهو الاسم اللاتيني : Arcus Manganellus الذي يقابله بالفرنسية Arcs de mangenneaux قبل أن ينقلب هذا الاسم بدوره الى كلمة باليستا Baliste [٣] في العصور المتأخرة .

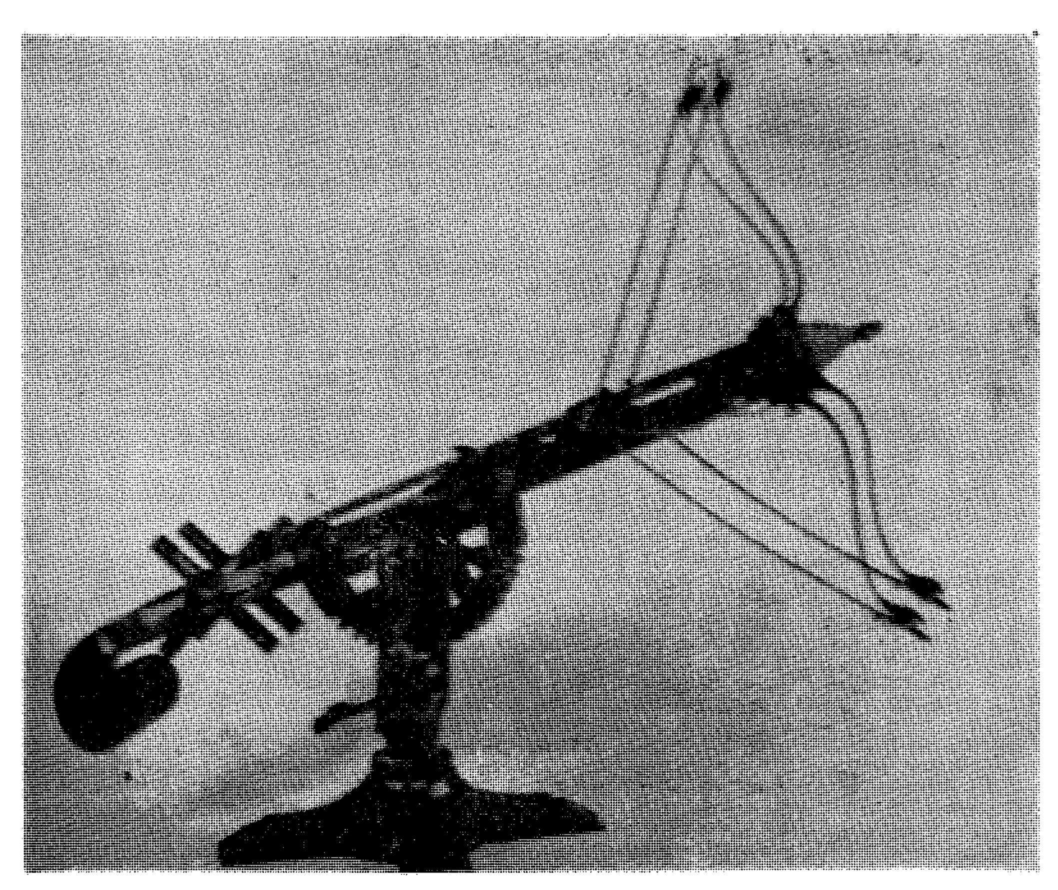
ومنجنيق السهام هذا هو قوس آلي (ميكانيكي) ، له جهاز معقد للايتار

---

(١) انظر : Bulletin d'Etudes Orientales - Tome XII - Page 152

(٢) انظر المرجع السابق الذكر ــ ص ١٠٨ ، وراجع الملحق رقم ١٠ الذي يبين طريقة صنع هذا النوع من القسي .

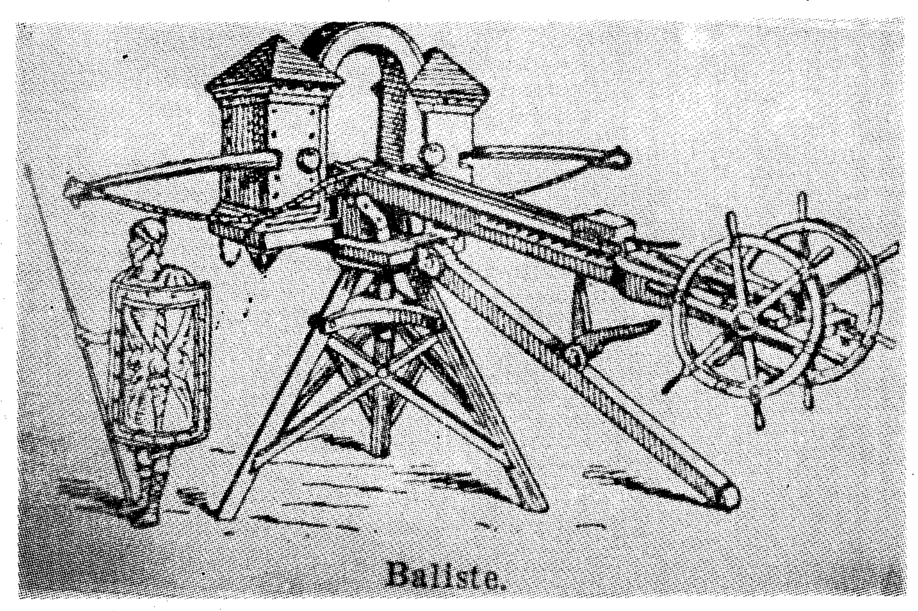
(٣) انظر صورة مصغرة لقوس الزيار العربي في الشكل رقم ٣٠ ، وصورة الباليستا الصليبية في الشكل رقم ٣١ .



الشـــكل رقم ٣٠
هيكل مصغر لقوس الزيار العربي (عن متحف القاهرة الحربي)

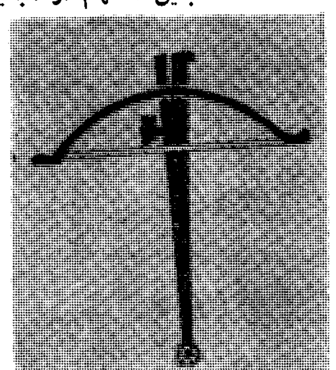
والاطلاق ، وهذا الجهاز عبارة عن قائمة طولانية تركب عليها عارضـــة خشبية مائلة لها مسننات كبيرة ، وفوق هذه العارضة توجد عارضة أصـغر منها ذات مسننات متعددة أيضا ، وفي أسفلها نتوء معدني على شـــكل قفل يشبك به الوتر • ويمكن بهذه الطريقة جذب وتر القوس الى الوراء حسب الطلب ووفق المدى المراد اطلاق السهم اليه • ويوضع السهم في شـــق طولاني على امتداد العارضة الخشبية فيما يلي ذروة الوتر المشدود • فاذا

أعطيت الأشارة باطلاق السهم جذب الرامي المسمار الذي يثبت الوتر فينطلق السهم بقوة عظيمة الى هدفة •



الشـــكل رقم ٣١
منجنيق السهام أو الباليستا (نقلا عن اللاروس الفرنسي)

وأهم التحسينات التي طرأت على « منجنيق السـهام » هي اختصـار حجمه وجعله صغيرا ، بشـكل يمكن لرجل واحد أن يرمي به ، أو يحمله متنقلا من مكان الى آخر • وقد دعي هذا السلاح الجـديد ، الصـغير في حجمه والقوي في مفعوله ، باسـم « قوس العقار » [١] •

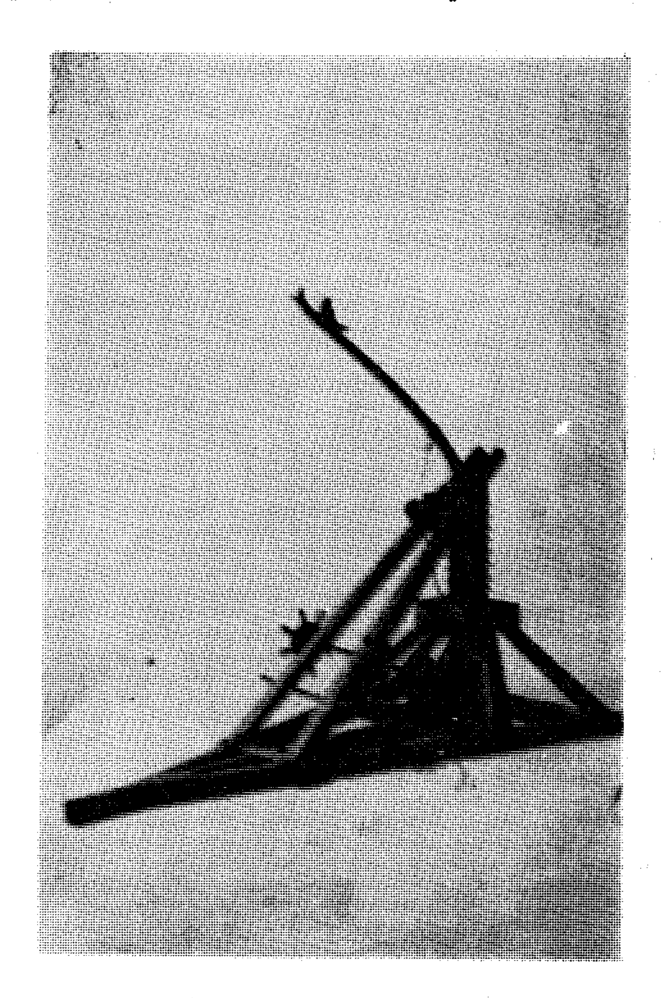


الشـــكل رقم ٣٢
نموذج مصغر لقوس العقار
(نقلا عن مخطوط الطرسوسي)

(١) انظر الشكل رقم ٣٢ •

ب ـ قوس الجرخ :

هو قوس على مبدأ « منجنيق السهام » ولكن أخف منــه ، ويعرفـه الدكتور عبد الرحمن زكي في كتابه « السلاح في الاسلام » بما يلي : « آلة



الشـــكل رقم ٣٣

قوس الجرخ (عن نموذج في متحف القاهرة الحربي)

حربية لرمي السهام والنفط والحجارة وصيغة الجمع جروخ [1] ، وهـذا التعريف مأخوذ عن كتاب المستشرق « دوزي Dozy » المسمى : « ملحق المعاجم العربية « Supplément aux Dictionnaires Arabes » [2] .

وهو آلة تعمل عمل « قسي الزيار » التي تحدثنا عنها ، مع استبدال السهم بقارورة نفط في بعض الاحيان . ولذا نجد في هذا النوع من القسي كفـة يحملها ساعد يشد بوساطة وتر عادي أو حبال من الشعر والابريسم ويثبت بوساطة جوزة (أي قفل) ، فاذا حرر الرامي الوتر اندفع الساعد يحمـل الكفة الى الامام قاذفا قارورة النفط باتجاه الهدف لتتحطم وتحرق ما حولها[3] .

ج ـ مجموعة الاقواس :

ومجموعة الاقواس عبارة عن برج يقام في القلاع المحاصرة ، ويرمي عددا كبيرا من الاسهم في وقت واحد . وقد وصف لنا الطرسوسي هـــذه الآلة [4] بالشكل التالي :

« تعمل أربع قسي جرخ في برج له أربع جهات ينصب في كل جهة منها قوس ولكل منها مجراة وتنتهي الاربع مجاري الى قفل واحد . وكل مجراة فيها ثلث سهام او أربعة ويرمي بهذه القسي الاربعة رجل واحـــد فيخرج في دفعة واحدة ستة عشر سهما . وان كان البرج مسدسا جعل في كل جهة قوس على تلك الصفة فيكون الخارج منها أربعة وعشرون سهما . وان كان مثمنا كان الخارج منها اثنان وثلثون ســــهما ويتضاعف القسي والنشاب بتضاعف الجهات . ويرمي بجميع ذلك رجل واحد فيظن أن في البرج رجالا بعدد ذلك النشاب » [5] .

---

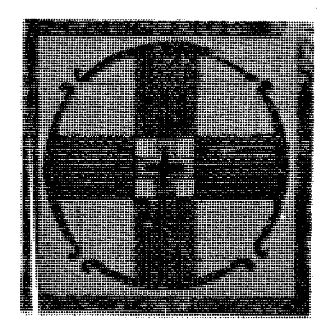
(١) انظر « السلاح في الاسلام » لعبد الرحمن زكي ، ص ١٦

(٢) يعرفه دوزي بهذا الشكل : Une arbalète auec
Laquelle on lançait, soit des flêches, soit le naphte.

(٣) انظر صورة هذا القوس في الشكل رقم ٣٣ ، ووصفه في الملحق رقم ١١ .

(٤) Bulletin d'Etudes Orientales - Tome X11 - Page 112

(٥) يبين لنا الملحق رقم ١٢ طريقة صنع « مجموعة الاقواس » نقلا عن مخطوط الطرسوسي، كما أن الشكل رقم ٣٤ يرينا المقطع العلوي لهذه الآلة الضخمة كما رسمه الطرسوسي نفســه .



الشـــكل رقم ٣٤
مقطع علوي

وفي أوائل القرن الثالث عشر بدأ العرب يستخدمون ما يشـــبه « المدافع ذاتية الحركة « Automoteurs المستعملة اليوم ، وذلك باستخدامهم عدة عربات تحمل كل منها اربعة قسي زيار ، ويضم كل منها ثلاثة أقواس ، أي أنهـا تطلق اثني عشر سهما دفعة واحدة [١] •

ثانيا ـ المجانيق :

المجانيق جمع لكلمة « منجنيق » ، والمنجنيق كما عرفـــه الادريسي مؤلف كتاب « التراتيب الادارية » : « آلة لرمي العدو بحجارة كبيرة ، بأن يشد سوار مرتفع جدا من الخشب يوضع عليها ما يراد رميـه ، ثم تضرب سارية موصلة لمكان بعيد جدا » •

ولكن يظهر أن هذا التعريف ليس بالتعريف الجامع ، اذ أن العرب لم يعرفوا المجانيق الخاصة بقذف الحجارة فقط بل عرفوا بالاضافة الى ذلك :

ـ مجانيق قذف القنابل •
ـ مجانيق قذف النفط والكرات النارية •
ـ المجانيق القاذفة للافاعي والعقارب •
ـ مجانيق لقذف رمم الحيوانات الميتة والقاذورات •

وسنذكر لمحة موجزة عن كل نوع من هذه المجانيق ، قبل ان ننتقل الى الكلام عن « استخدام المنجنيق عند العرب » •

---

(١) أتى على ذكر هذه الآلة عدة مؤلفين عرب غير الطرسوسي أشهرهم ابن أبي الفضايل ، في كتـــابه الذي سماه المستشرق كلودكاهين « Patrologie Orientale » والذي لم نتوصل الى معرفة عنـــوانه الاصلي باللغـــة العربية • راجع مجـــلة : Bulletin d'Etudes Orientales - Tame X11 - Page 152

آ ـ مجانيق قذف الحجارة :

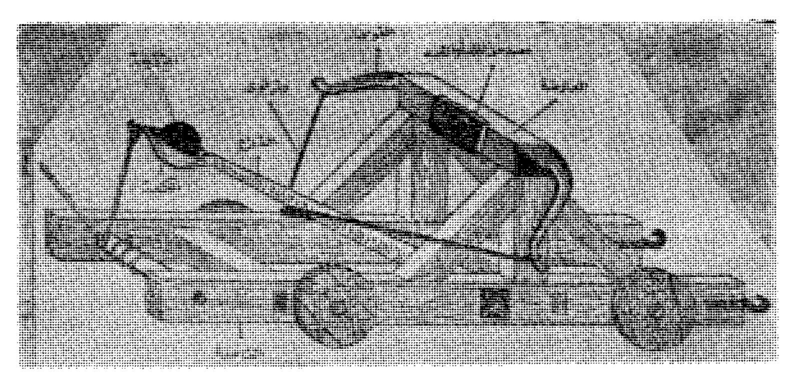
هي أعظم الآلات الحربية القديمة وأشدها تأثيرا ولا سيما في الحصار اذ هي بمثابة « مدفعية التدمير » في عصرنا هذا .

وتقذف هـذه المجانيق قطـع الحجـارة من وزن (٥ ـ ١٠٠ كغ) باتجاه العدو ، وقد بلغ من قوة بعضها انها ترمي حجرا يزن (١٤٠) رطلا شاميا كما ذكر ابن الاثير في « كامله » .

وقد تنوعت المباديء التي تعمل عليها هذه المجانيق ، ولكن يمكن حصر ما استخدم منها لدى العرب بثلاثة أنواع :

١ ـ المجانيق ذات الزيار :

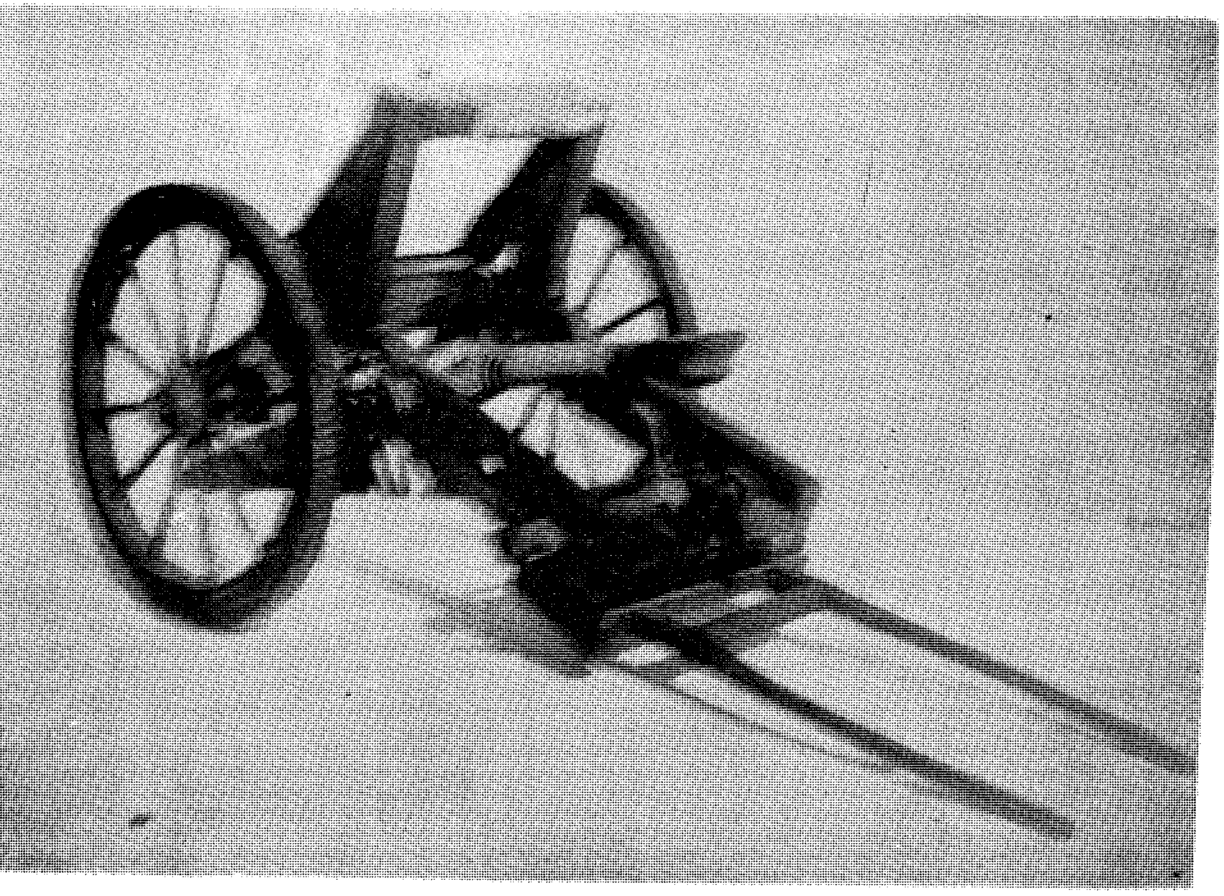
وهي تتشكل من قاعدة وعارضة وذراع يحمل كفة لوضع القذيفة ، وزيار يتكون من حبل من الحرير او الابريسم ، وقفل يمسك الكفة بحالة الشد ، فاذا أفلت الحجار [1] القفل انطلق الذراع الى الامـام قاذفا الحجر الموضوعة في الكفة باتجاه الهدف [2] .



الشـكل رقم ٣٥
منجنيق لقـذف الحجـارة يعمل على مبـدأ « الزيار »
(عن كتاب « الفن الحربي في صدر الاسلام »)

(١) الحجار هو الرجل المولج برمي الاحجار بوساطة المنجنيق .
(٢) انظر الشكل رقم ٣٥ .

وكلما زاد اتساع الكفة كلما أمكن رمي قطع أكبر من الحجارة طبعا •
ونظرا لثقل هذه المنجنيقات فقد ظل الواحد منها لمدة طويلة يؤلف من عدة قطع قابلة لفصلها عن بعضها بعضا وحملها على الجمال من موضع الى آخر •
وظل الامر كذلك حتى تمكن العرب ، في أواخر الحروب الصليبية ، من صنع مجانيق من هذا النوع تسير على عجلات تشبه عجلات المدافع القديمة التي نراها في المتاحف اليوم [1] •



الشكل رقم ٣٦

منجنيق لالقاء الحجارة يسير على عجلات (عن متحف القاهرة الحربي)

(١) تظهر في الشكل رقم ٣٦ صورة هيكل منجنيق عربي يسير على العجلات •

كما ولجأ قادة العرب الى طريقة أخرى في سبيل الاحتفاظ بمرونة الحركة ، وتتلخص هذه الطريقة بأن لا تحمل جيوشهم معها المجانيق كاملة ، لان جر مثل هذه المعدات الثقيلة أو حملها كفيل بتأخير تقدمها ، وكان جنودهم بدلا من ذلك يحملون معهم الاجزاء التي يصعب الحصول عليها في باحة المعركة كالحبال والاوتار المجدولة والاجزاء المعدنية وغيرها ، وأما بقية أجزاء المجانيق فقد كان يصنعها المهندسون من المواد المتوفرة في ساحة المعركة وحولها . وظل الامر على هذه الحال حتى طرأ تحسين جديد على المجانيق العربية ، وهو اختراع مجانيق صغيرة يمكن جرها الى المسافات القريبة أو حملها على الجمال الى المسافات البعيدة ، وقد اطلق على هذه المجانيق الصغيرة اسم « اللعب » او « العرادات » [1] .

وهناك تحسين آخر طرأ على المجانيق في فترة الحروب الصليبية أيضا ، وذلك حين أستعيض عن الاقواس الخشبية التي كانت تشكل القوة الدافعة في مجانيق السهام بحبال من الشعر المجدول .

وهكذا حل منجنيق الشعر محل منجنيق القوس لان التجارب أثبتت أن ذلك الذي يتخذ حبال الشعر قوة دافعة له يكون أقوى رميا وأبعد مدى وأثقل رمية من منجنيق الوتر العادي ، ثم استبدلت في العصور الاخيرة حبال الشعر هذه بنوابض معدنية مرنة ، وكان هذا في عهد المماليك وما بعد .

٢ ـ المجانيق ذات الثقل المعاكس :

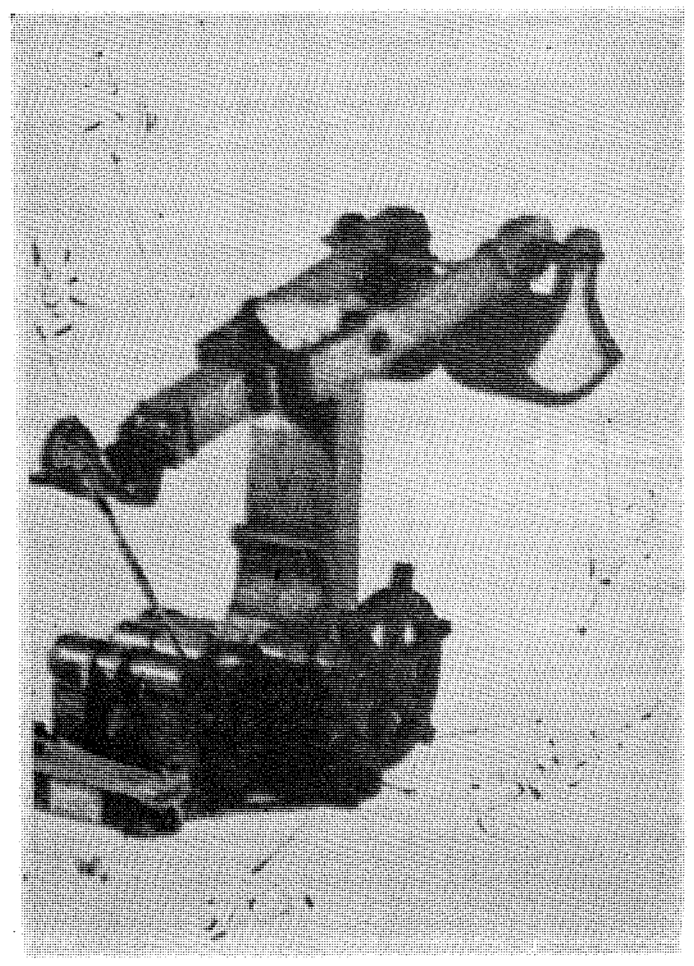
وهذه المجانيق أقدم زمنيا من سابقتها اذ انها تعمل على مبدأ الرافعة فهي مؤلفة من ذراع يتصل من احدى جهتيه بكفة لحمل القذيفة ، ومن الجهة الاخرى « بثقل معاكس Contre - Poids » ، وعند القذف ، يقوم السدنة بجذب طرف الذراع نحو الاسفل فيرتفع الثقل المعاكس الى

---

(١) اللعب (جمع لعبة) والعرادات (جمع عرادة) وقد اطلقت الكلمة الاخيرة على عربة « المدفع » فيما بعد .

الاعلى ، ثم يتركون الذراع فجأة فيهوي الثقل وترتفع الكفة قاذفة ما تحويه من الحجارة •

ثم تطور استعمال هذا النوع من المجانيق فأصبح رفع الثقل المعاكس نحو الاعلى يتم من قبل رجل واحد بوساطة لولب خاص ، فاذا حرر الثقل



الشـــكل رقم ٣٧

منجنيق لقذف الاحجار يعمل حسب مبـدأ الثقل المعاكس

(عن متحف القاهرة الحربي)

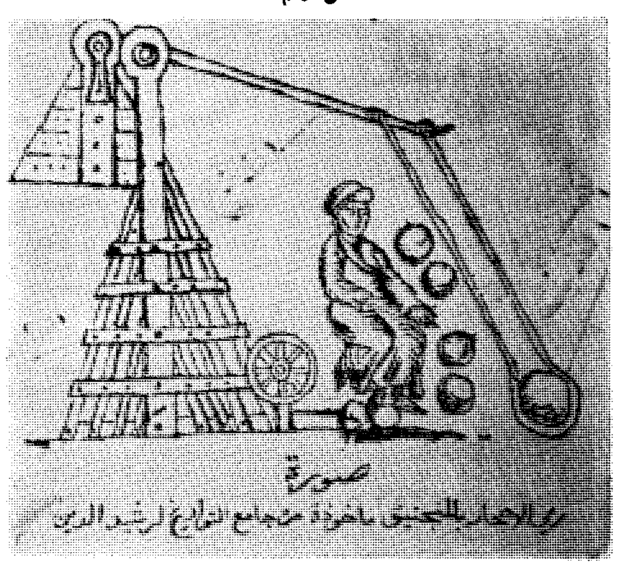
من تأثير اللولب ارتفع الذراع الى الاعلى بشدة وانطلقت القذيفة بالتالي نحو هدفهـــا [1] •

٣ ـ المجانيق المقلاعية :

وتعمل هذه المجانيق ، كما يظهر من اسمها ، حسب مبدأ المقلاع ، بمعنى ان الذراع الذي يحمل الكفة والقذيفة ، يمكنه أن يدور عدة دورات كاملة (٣٦٠ درجة) قبل قذف قطعة الحجر التي يحملها [2] • ويحتمل أن يكون الاوربيون قد نقلوا عن العرب هذا النوع من المجانيق وسموها «ربوشية» [3] ، ثم استخدموها في الدفاع عن القلاع بشكل خاص وذلك لان قذائف هذا النوع من المجانيق تعلو في الفضاء بشكل ترتفع به عن أي سور مهما علا ، قبل هبوطها الى الارض •



الشـــكل رقم ٣٨



---

(١) انظر الشكل رقم ٣٧ •

(٢) انظر الشكل رقم ٣٨ •

(٣) ويمكن أن تكون الفرضية المعاكسة هي الصحيحة ، حيث أن العرب كانوا يدعون هذا النوع من المجانيق باسم « المغربية » نسبة الى المغرب أو الغرب (أوربة) •

ب ـ مجانيق قذف القنابل :

وتشبه مجانيق قذف الحجارة من حيث المبدأ ولكن القذيفة هنا تكون عبارة عن قنبلة بدلا من قطعة الحجر العادية • وأهم القنابل التي كانت ترمى بالمنجنيقات هي :

١ ـ قنابل النحاس :

كانت تحفر على مثال حجر المنجنيق ، ثم تجوف ويملأ باطنها بكرات صغيرة (دواحد) ومواد مشتعلة مثل النفط والمصطكى وغيرهما [1] •

وكان هناك نوع ثان من قنابل النحاس هـــذه ، ويدعى (صناديق المخاسفة) ، وهي صناديق نحاسية ذات أنابيب موصلة اليها ، ويتصل بهـذه الانابيب من جهتها الاخرى مزراق صغير يحمل قطعة من اللباد في رأسه • فاذا اراد الرامي قذف أحد هذه الصناديق ، فما عليه الا املاؤه بالنفط ، واشعال النار في قطعة اللباد التي يحملها رأس المزراق ، وقذف الصندوق بالمنجنيق حيث تصل النار من قطعة اللباد الموجودة في رأس المزراق الى النفط الموجود داخل الصندوق فيشتعل، ويسبب اشتعاله انفجار الصندوق النحاسي وتناثره الى شظايا كثيرة •

٢ ـ قنابل الزجاج :

وهي قوارير عادية من الزجاج تملأ بمزيج من مواد قابلة للاشتعال مثل الدهن والنفط والكبريت والكندس وغيرها ••• وترمى باتجاه العدو فتحطم ويسيل المزيج الذي كان فيها فيلطخ المكان الذي سقطت فيه • ويؤتى بعد ذلك بقطعة من الحجر الناري ، أو الفخار المشـرب بالنفط المطبـوخ ، فتشعل فيها النار وترمى الى نفس المكان الذي سقطت فيه القارورة فيلتهب المكان ولا ينطفيء الا بعد مضي مدة طويلة •

---

(١) انظر « السلاح في الاسلام » ، ص ٤٥ ـ ٤٦ •

٣ ـ قنابل الغازات :

قلنا ان العرب عرفوا قنابل النحاس التي تقابل القنابل المنثار في وقتنا هذا ، كما عرفوا قنابل الزجاج وهي تقابل القنابل المحرقة حاليا • ولكن رجال الحرب المسلمين لم يكتفوا بذلك ، بل اخترعوا أيضا القنابل الاخرى بشتى أنواعها :

ـ فقد عرفوا القنابل المضيئة التي كانوا يصنعونها على شكل كرات من الكبريت الاسود والصمغ ودهن البليسان والزرنيخ والنورة والنفط المطبوخ ، فكانوا اذا رموا هذه الكرات بعد اشعال النار فيها تبقى مشتعلة سواء أثناء انطلاقها او بعد وقوعها على الارض •

ـ وعرفوا القنابل الخانقة التي كانوا يصنعونها من الكبريت والافيون والزرنيخ والبنج الازرق ويقومون بتدخينها على مهب الريح حتى يفسد الهواء الذي يستنشقه جند العدو •

ـ وعرفوا أخير القنابل المسيلة للدموع التي كانوا يملأونها من النورة المدقوقة (وهي مزيج من الزرنيخ والكلس غير المطفأ) ويرمونها على العدو فتعمي بغبارها الابصار ويتصاعد غبار الكلس الى أنوف الجند وعيونهم فيمنعهم عن القتال •

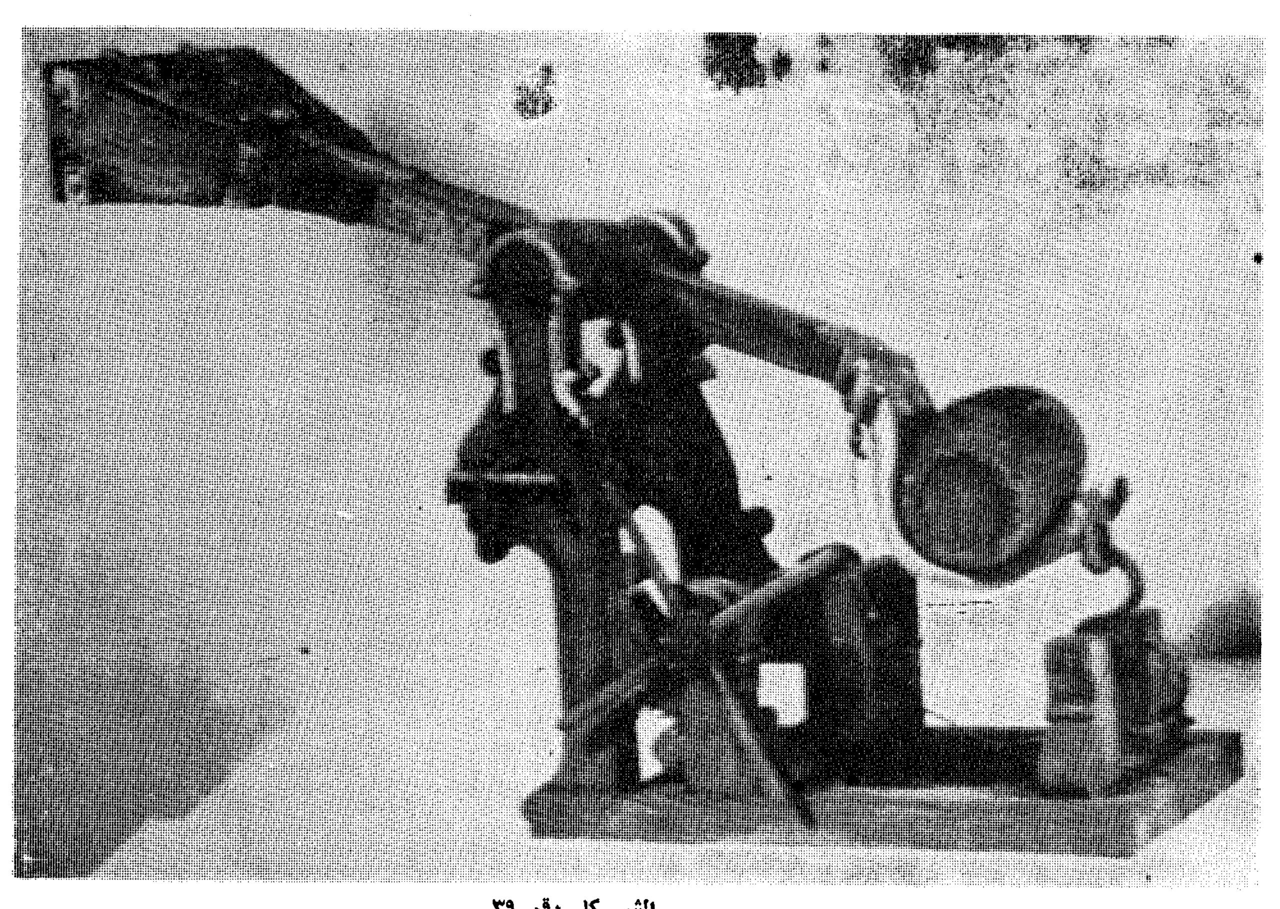
جـ ـ مجانيق قذف النفط أو الكرات النارية :

وقد عرف العرب أيضا المجانيق القاذفة للنفط ، وهي مجانيق عادية ذات كفة من الزرد أو من صفائح الحديد معلقة بالذراع بواسطة سلاسل[1] وكانوا يجعلون الاوعية المملوءة بالنفط (كالقدور والبراميل) ضمن الكفة ويرمونها على العدو بعد اشعال النار فيها • وأغلب هذه المجانيق كانت تعمل حسب مبدأ الثقل المعاكس[2] •

---

(١) صنعت الكفة من الزرد أو الحديد لئلا تشتعل ، وتعلق بالذراع بوساطة السلاسل لئلا يشتعل الذراع فيما اذا اتصل مباشرة بها •

(٢) انظر الشكل رقم ٣٩ الذي يرينا صورة لمنجنيق يقذف براميل النفط حسب مبدأ الثقل المعاكس •



الشـــكل رقم ٣٩

منجنيق لالقاء براميل النفط يعمل على مبـدأ الثقل المعاكس

(عن متحف القاهرة الحربي)

وهناك أيضا المجانيق التي تقذف الكرات النارية ، وهي كرات تصنع من مواد مختلفة وتشرب بالنفط المطبوخ ثم تشعل فيها النار وتقذف باتجاه العدو فتحرق المكان الذي تقع فيه • وقد اختصت العرادات أي (المجانيق الصغيرة) بقذف هذا النوع في أغلب الحالات •

ومن هنا يتضح لنا أن المجانيق العربية كانت تقوم بجميع المهام التي تقوم بها المدفعية في الجيوش الحديثة • فمجانيق قذف الاحجار كانت تقوم بمهام التدمير لان قذائفها تشبه القنابل المهداد حاليا ، ومجانيق قذف القنابل ترمي القنابل المنثار (القنابل النحاسية) أو القنابل المحرقة (القنابل الزجاجية) أو المضيئة أو المدخنة وغير ذلك •

د ـ مجانيق قذف الافاعي والعقارب :

وهذا السلاح من أغرب الابتكارات الحربية في ذلك الوقت ، حيث كان السدنة يضعون الافاعي والعقارب ضمن جراب وسلال من القش أو العيدان ، ثم يربطون هذه الجرار أو السلال بقطع مناسبة من الرصاص لكي تصبح بالوزن الملائم لقذفها بالمنجنيق • فاذا قذفت ووقعت على الارض تهشمت وخرجت الافاعي والعقارب لايذاء جند العدو وبث الذعر في قلوبهم •

هـ ـ مجانيق قذف الرمم والقاذورات :

وهي مجانيق عادية ذات كفة ضخمة بسلاسل ، وهي من أمضى أسلحة الحصار في ذلك الوقت لانه يمكن بوساطتها قذف جثث الحيوانات المتعفنة أو قفف الرماد والقاذورات على جند العدو ، مما يضايقهم ويمنعهم من أداء واجباتهم بشكل كامل ، وينشر بينهم أنواع الامراض والاوبئة [1] •

مكانة المنجنيق عند العرب :

يقول السيد عبد الرؤوف عون في كتابه « الفن الحربي في صدر الاسلام » في سياق حديثه عن تاريخ ظهور المنجنيق وتطوره :

---

(١) انظر الشكل رقم ٤٠ •



الشــكل رقم ٤٠
منجنيق لقذف الحيوانات المتفسخة (عن صورة لدى « مديرية الآثار العامة » في سورية)

« يغلب على الظن ان الجاهلين لم يستخدموا هـــذا الســلاح ، فان اشعارهم التي هي سجل حياتهم ، لم تذكر عنه شيئا ولو اشارة عابرة ، تفيد أنهم عرفوه أو عملوا به ، ولو كان ذلك لتناولوه بالوصف ، ونســبوه الى صانعيه ، وأماكن صنعه ، كما فعلوا بسائر سلاحهم وما شاع لديهم من أدوات القتال » [١] .

ونحن رغم أننا نشارك السيد عبد الرؤوف عون الرأي في أن شــعر الجاهلية خال تقريبا من أي ذكر للمنجنيق ، الا اننـا نؤكد أن العرب عرفوا هذا السلاح منذ عهد الجاهلية ، لان هناك أكثر من مصدر يشــير الى ان جذيمة الابرش ، أحد ملوك الطوائف ، كان اول من استعمله في الجاهلية ، كما ان ابن هشام والطبري[٢] يرويان أن عروة بن مسعود وغيلان

(١) « الفن الحربي في صدر الاسلام » ـ ص ـ ١٦٢ .
(٢) راجع تاريخ الطبري ج ٣ ـ ص ١٣٢ .

ابن سلمة لم يشهدا مع الرسول وقعة حنين ولا حصار الطوائف لانهما كانا يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق في بلدة « جرش » . وبما ان البلدة المذكورة هي عربية [1] ، وكانت مسكونة من قبل نفر من العرب الغساسنة ، لذا يعتبر هذا أنصع دليل على أن العرب ـ أو نفرا منهم على الاقل ـ عرفوا المنجنيق واستخدامه منذ الجاهلية .

وأما عدم ذكر شيء عن المنجنيق في الشعر الجاهلي ، فلا يصح اعتباره دليلا على أن العرب لم يعرفوه ، وذلك لان الشاعر العربي كان يصف الاشياء التي تلوذ به فقط ، فاقتصر في وصف السلاح على وصف سلاحه الفردي بدون أن يتعرض للسلاح الجماعي كالمجانيق والدبابات والابراج وغير ذلك ...

وقد ذكر صاحب « السيرة الحلبية » أن المسلمين استخدموا المنجنيق لاول مرة في غزوة الخندق ، وذلك نزولا عند مشورة « سلمان الفارسي » ، الذي قام بصناعة أول منجنيق اسلامي بنفسه ، ولكن هذه الرواية ينتابها الشك بما ذكره ابن الاثير والطبري وابن هشام من أن الرسول استخدم المنجنيق لاول مرة في حصار الطائف ، وكان أول من رمى به من المسلمين .

وقد عني الخليفة الثاني ، عمر بن الخطاب ، باستعمال المجانيق ، حتى أصبح لدى الجيش الاسلامي الذي فتح فارس عشرون منجنيقا استخدمها في فتح « المدائن » عاصمة الفرس . كما أن الجيش الذي فتح سورية بقيادة خالد وابي عبيدة ، كان مزودا بالمجانيق حسب رواية الطبري . أما الجيش الذي فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص فقد صنع المجانيق بعد نزوله في الفسطاط .

ولما اتى الامويون الى الحكم اهتموا أشد الاهتمام بصناعة المجانيق ، وخاصة الكبيرة منها ، حتى يقال ان الحجاج بن يوسف الثقفي صنع منجنيقا

---

(١) تقع في المملكة الاردنية حاليا .

أسماه « العروس » يحتاج الى خمسمائة رجل لخدمته والعمل عليه ، وقد سلم عددا منه الى ابن عمه محمد بن القاسم ففتح هذا بها مدينة « الديبل » السندية سنة ٨٩ هـ (٧٠٧ م) وعدة مدن سندية أخرى [١] •

وما أن بدأ القرن الثاني الهجري حتى أصبح المنجنيق شائع الاستعمال عند المسلمين ، وخاصة في حصار المدن ، ثم صار في نهاية الامر سلاحا عاديا لدى العباسيين الذين استخدموه في أغلب معركهم ، وخاصة عمورية سنة ٢٢٣ هـ (٨٣٧ م) •

وكان الجند المسلمون يكبرون ويتلون الآيات الكريمة أثناء رميهم بالمجانيق ، فاذا كان المنجنيق يقذف الحجارة قالوا : « وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود ، مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد » • واذا كان المنجنيق يقذف النفط والنار قالوا : « واعتدنا لهم عذاب السعير • فسحقا لاصحاب السعير » [٢] •

وقد اعطانا العالم العربي « الطرسوسي » ، مستشار السلطان صلاح الدين الايوبي العسكري ، لمحة موجزة عن فن استخدام المجانيق فقال :

« للرماية عن المنجنيقات اسرار يجب أن تحرز وتحفظ • فمنها ان الرامي اذا وقف تحت الكفة سواء على الخط المستقيم كان الحجر كثير الارتفاع قريب المسافة وربما اسقط على الرجال [٣] ، واذا خرج عن الكفة الى طرف السهم بمقدار شبر واحد كانت الرماية أبعد ، وأكثر ما يخرج عن السهم شبرين لا غير ومتى زاد عن ذلك نقضت الرماية • وأكثر المسافة التي يصل اليها الحجر ستون باعا وأقلها أربعون باعا ، والاصل أيضا في بعد المسافة وقربها لين السهم ويبسه ، فمتى كان السهم في لين ليس بالمفرط كان ذلك أبعد للرماية وأشد للنكاية ومتى كان يابسا كان دون ذلك • ويتعين

---

(١) « الفتوحات الاسلامية » لزيني دحلان ـ ج ١ ص ١٥٢ •

(٢) سورة هود ٨٢ ، ٨٣ وسورة الملك ٥ ـ ١١ •

(٣) أي على الاصدقاء •

على الرامي أن يفجح بين رجليه ويضبط الكفة بيديه ويقعد مع كل جـرة بنفسه مع الكفة »[1] .

★ ★ ★

ولا بد لنا قبل انهاء كلامنـــا عن المجانيق من ان نذكر شـــيئا عن « الستارة » . والستارة كما عرفها صاحب كتاب « السلاح في الاسلام »[2] هي : « حائط خارجي مبني من الخشب او غيره يحتمي وراءه المدافعون عن حصن أو سور ويستخدمه المهاجمون للوقاية من قذائف العدو » . وأما الطرسوسي فقد اعطانا تعريفا أوسع عنها بقوله : سترة للرجال الذين يستعضد بهم في جر المنجنيق وما شاكله من أن يرموا بحجارة منجنيق يقابله ، فيحمل عنهم مضرتها ويكفيهم سوء اصابتها واذا وقع عليها الحجر بقوته لم يوت فيها ونفضته عنها نفضا قويا تلقيه به الى خلفه وتقي من هو تحتهـــا عظيم بليته وشر اصابته[3] .



الشـــكل رقم ٤١
صـــورة الستارة
(نقلا عن مخطوط الطرسوسي)

ونفهم من هذا ان الستارة عبـارة عن جدران من الخشـــب أو من الحبال المجدولة ، وتوضع هذه الجدران امـــا فوق الاسوار لمنع حجارة مجانيق العدو من الوصول الى داخل القلعة المحاصرة ، أو امام مرابض المجانيق وذلك للوقايـــة من أن تصـــل اليهـــا حجارة مجـانيق العـــدو .

---

(١) Bulletin d'Etudes Orientales - Tome X11 - Page 118

(٢) انظر « السلاح في الاسلام » ، ص ٣١ .

(٣) انظر الملحق رقم ١٣ الذي يبين كيفية صنع الستائر نقلا عن الطرسوسي ، كما أن الشكل ٤١ يرينا صورة هذه الستائر كما رسمها الطرسوسي نفسه .

ثالثا ـ آلات الحصار :

آلات الحصار هي الادوات التي كانت تستخدم في حصـــار القــلاع والمواقع ومعسكرات الجيوش سواء من قبل المهاجمين أو المدافعين ، وأهم هذه الآلات من التي عرفها العرب واستخدموها هي : الدبابة ، الكبش ، برج الحصار ، سلالم الحصار ، النفط والنار اليونانية .

آ ـ الدبابــة :

عرفت الدبابة منذ أقدم العصور ، فقد استخدمها الفراعنة والآشوريون والرومان والفـــــرس وغيرهم ، كما وعرفهـــا عرب الجـــاهلية تحت اسم « الضبر » .

والضبر حسب تعريف صاحب كتاب « تاريخ الاسلام السياسي » أداة كالدبابة تقريبا تصنع من الخشب المغطى بالجلد فيكمن فيها المهـــــاجمون ويقربونها للحصن لقتال أهله وهم فيها ، وهي أشبه بالسيارات المدرعــة اليوم [1] .

أما الدبابة التي عرفها العرب بعد الاسلام ، فيمكن تعريفها بما يلي :

« برج من الخشب الصلب مغلف باللبود والجلود المنقوعــة في الخل ومثبت على قاعدة خشبية لها عجلات » ، فاذا أراد المحاربون العمل بهـــا ، وضعوها أمامهم متخذين منها درعا يقيهم سهام وحجارة الاعداء ، أو جلسوا في جوفها ودفعوها وهم بداخلها حتى يصلوا الى جدار الحصن لينقبوه بما يحملونه من أدوات ، بينما يقيهم سقفها مما يرشقهم به الاعداء .

وقد أدخل المسلمون كثيرا من التحسينات على الدبابة سواء من ناحية الصنع أو من ناحية الاستخدام :

١ ـ فمن ناحية الصنع :

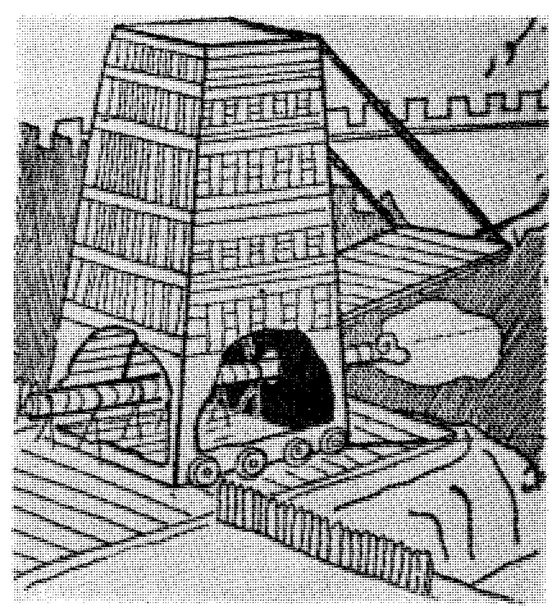
زاد المسلمون في حجم الدبابات حتى أصبحت الواحدة منها تتســع

---

(١) ج ١ ـ ص ١٨٢ .

لعشرة رجال أو أكثر ، واهتموا بتقوية سقفها وجوانبها الاكثر تعرضا لنبال العدو وحجارته بالخشب السميك والحديد والرصاص •

كما جعلوا لها بابا متمفصلا يمكنه اذا فتح أن يستند الى حافة السور ويشكل قنطرة يمر عليها الجنود الذين كانوا مختبئين في جـــوف الدبابة بطريقهم الى فتحة السور التي نقبوها [1] •



الشـــكل رقم ٤٢
الدبابة العربية (نقلا عن كتاب « السلاح في الاسلام »)

كما وجعلوا في الدبابات سلالم مستعرضة تنتهي في اعلاها الى شرفات تقارب السور في الارتفاع حتى اذا اقتربت الدبابة من السور ، ولم يســتطع سدنتها خرقه ، صعدوا الى الشرفات ومدوا السلالم والقناطر التي توصلهم الى داخل القلعة باستعلاء السور •

ورغم أن صـــناعة الدبابات العربيـــة قد تقـــدمت ، وخاصـــة منذ

---

(١) انظر الشكل رقم ٤٢ •

(٢) السلاح في الاسلام ــ ص ٢٤ •

بداية القرن الحادي عشر للميلاد ، فانه لا يسعنا الا أن نستغرب ما ذكره الدكتور عبد الرحمن زكي ، صاحب كتاب «السلاح في الاسلام»[1]، من ان الدبابة كانت تحوي أحيانا أربعة أدوار ، أولها من الخشب وثانيها من الرصاص وثالثها من الحديد ورابعها من النحاس الاصفر ، وذلك لان هذه المعادن لم تكن متوفرة لدى العرب بتلك الكثرة من جهة ، ولعدم ثبوت ذلك لدينا في أي مصدر قديم رجعنا اليه من جهة اخرى ، اللهم ما عدا عماد الدين الاصفهاني في كتابه « الفتح القسسي » ـ ص ٢٤٥ ، في معرض وصفه لدبابة فرنجية لا عربية .

٢ ـ ومن ناحية الاستخدام :

أما من هذه الناحية ، فقد زاد اعتماد المسلمين على استخدام الدبابة في عمليات حصار القلاع والحصون وخاصة في مرحلة الاقتحام ، حيث نجدهم يمهدون أولا برمي المجانيق ثم يوعزوا للدبابات بالاقتحام .

وقد فطن العرب لاهمية مرافقة عدد من الجند الفعلة [2] للدبابات في اقتحامها ، حيث كان هؤلاء يكلفون بطم الخنادق وازالة الحواجز التي تعيق سير الدبابة قبل وصولها الى السور ، وبمساعدة جنود الدبابة نفسها في نقب السور ودعمه بعد وصولها اليه .

وقد كانت أهم معركة عربية استخدمت فيها الدبابات استخداما جيدا هي معركة عمورية التي جرت سنة ٨٣٧ م (٢٢٣ هـ) ، حيث أمر الخليفة المعتصم بصنع عدد كبير من الدبابات تسع كل منها عشرة رجال يدحرجونها فوق الجلود باتجاه السور ، وأمر مفارز الفعلة بأن تطم الخندق المحيط بسور عمورية بجلود الغنم المملوءة ترابا كي يمكن للدبابات الوصول اليه[3]، وكلف مفارز من الرجالة بحماية صنفي الفعلة والدبابين أثناء قيامهما بالواجبات المترتبة على كل منهما .

---

(١) انظر كتاب « السلاح في الاسلام » ـ ص ٢٤ .

(٢) الفعلة هم عنصر المهندسين في الجيش العربي القديم ...

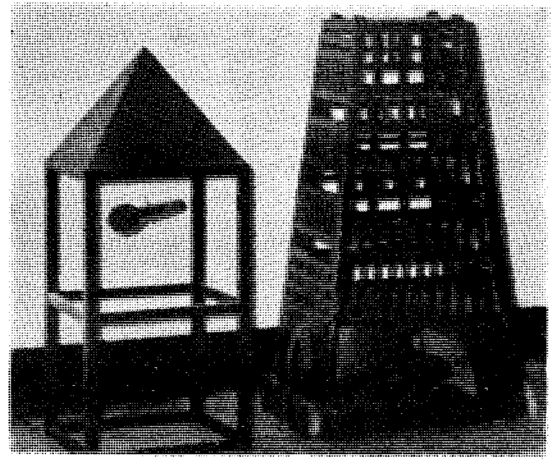
(٣) ابن الاثير ـ ج ٦ ـ ص ١٧٩ .

ب ــ رأس الكبش (١) :

عرف مؤلف كتاب « السلاح في الاسـلام » رأس الكبش بما يلي :

« آلة من خشب وحديد يجرونها بنوع من الحيل فتدق الحائط فينهدم » •

واذا أردنا أن نعطي تعريفا أوسع لهذا السلاح قلنا : « هو عمود مستدير من الخشب بطول يقارب عشرة أمتار ، يحمل في مقدمته رأسا من الحديد أو الفولاذ على شكل رأس الكبش تقريبا ولذا سـمي بهـذا الاسم ، ويتعلق هذا العمود ، بوساطة سلاسل قوية تجري على بكر ، بسقف الدبابة أو البرج المخصص لحمله (٢) ، فاذا أراد الجند هدم سور أو باب حصن قربوا رأس الكبش منه ، ثم يأخذون في ارجحته الى الامام والخلف بكل قوة ، حتى تنهار بعض حجارة السور من تأثير اصطدام رأس الكبش بها ، وعندها يعمدون الى توسيع هذا الخرق ودعمه لئلا ينهار على رفاقهم عند مرورهم منه » •



الشـــكل رقم ٤٣

هيكل مصغر لدبابة عربية ، وآخر لبرج يحمل رأس الكبش

(عن متحف دمشق الحربي)

وقد اعتمد المسلمون على رأس الكبش اعتمادا عظيمـا منـذ بدايـة

---

(١) انفرد ابن شداد بتسمية هذه الآلة : « السنور » •

(٢) يرينا الشكل رقم ٤٣ هيكلا مصغرا لدبابة ، وقربها هيكل مصغر آخر لبرج حصـار يحمل رأس كبش •

القرن الثاني للهجرة ، وأول معركة استخدموا خلالها هذا السلاح علـى نطاق واسع هي غزو منطقة « الكيرج » في آخر بلاد الهند [١] سنة ١٠٧ هـ (٧٢٥ م) ، حين أمر قائد المعركة ، الجنيد بن عبد الرحمن ، بصنع كمية من هذا السلاح خرق بها سور المدينة في عدة مواضـع وتمكن بذلك من احتلالها ٠

وقد زادت أهمية هذا السلاح وخاصة في فترة الحروب الصليبية حيث تفنن بصنعه واستخدامه المسلمون والصليبيون على السواء ٠ ووصف لنـا المؤرخ عماد الدين الاصفهاني دبابة صليبية مزودة برأس كبش ضـخم فقال [٢] : « واستأنف الفرنج عمـل دبابة هائلة وآلة للغوائل غائلة ، وفي رأسها شكل عظيم يقال له الكبش ، وله قرنان في طول رمحين كالعمودين الغليظين ، أقفال الاسوار المغلقة بها تفشى فكم سور اذا نطحته طحنته ٠٠ ولبسوا رأس الكبش بعد الحديد بالنحاس ، وكسوها حذرا عليها من النار سائر لباس البأس ، فلم يبق للنار اليها سبيل ، ولا للعطب عليها دليل ، وشحنوها بكماة المصاع ، وحماة القراع ، ورماة الحدق ، وكساة الحلق ، وعناة الحتف ، وجباة الزحف ٠٠ وأمنوا عليها الحريق ، وأموا بها الطريق وسووا بين يديها الارض ، ومهدوا الطول منها والعرض » ٠

ج ـ برج وسلالم الحصار :

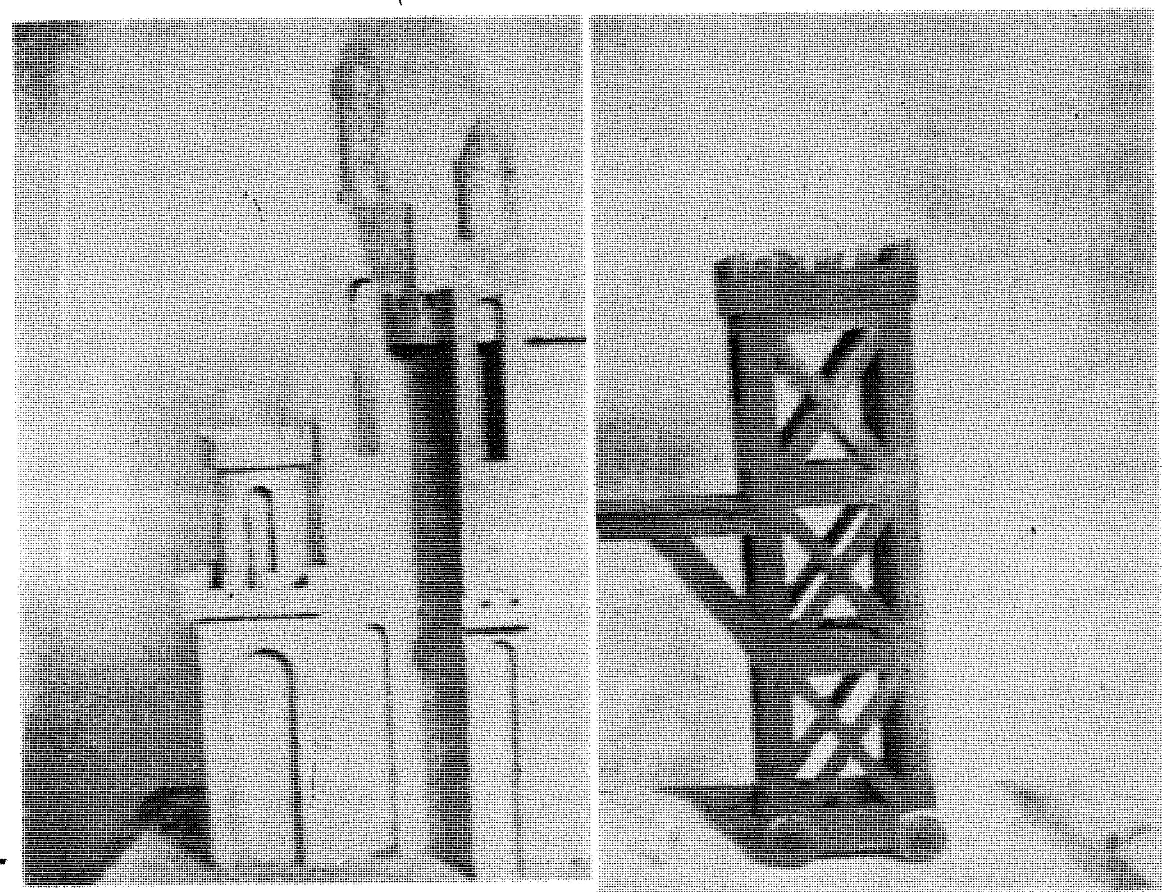
برج الحصار ، أو الزحافة ، هـو كما عرفه المستشـرق الجليل « دوزي » في قاموسه الشهير [٣] :

« Est une sorte de tour dans laquelle se trouvent les soldats munis d'arbalète et de machine de guerre, et qui est placée sur un chariot que l'on pousse Contre les murailles d'une place que l'on assiège ».

---

(١) هي بلاد « القرغيز » ، احدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي حاليا ٠
(٢) الفتح القسسي ـ ص ٢١٣ ٠
(٣) اسم هذا القاموس : « ملحق للمعاجم العربية
.« Supplément aux Dictionnaires Arabes

فاذا حاولنا أن نترجم هـذا التعريف خرجنا بما يلي : « نـوع من الابراج يجلس فيها الجند المزودون بالسهام وبأدوات الحرب ، وهو محمول على ناقلة تدفع باتجاه سور مكان محاصر » • وبوسـعنا أن نضيف الى هذا التعريف ان البرج كان يتألف من عدة طبقات يعلو بعضها بعضا ، ويوصل اليها بسلالم من الداخل ، كما وينتهي البرج بقنطرة خشبية يمكن القاؤها على طرف سور الحصن ليمر عليها الجند عند اقتحامهم السور [1] •

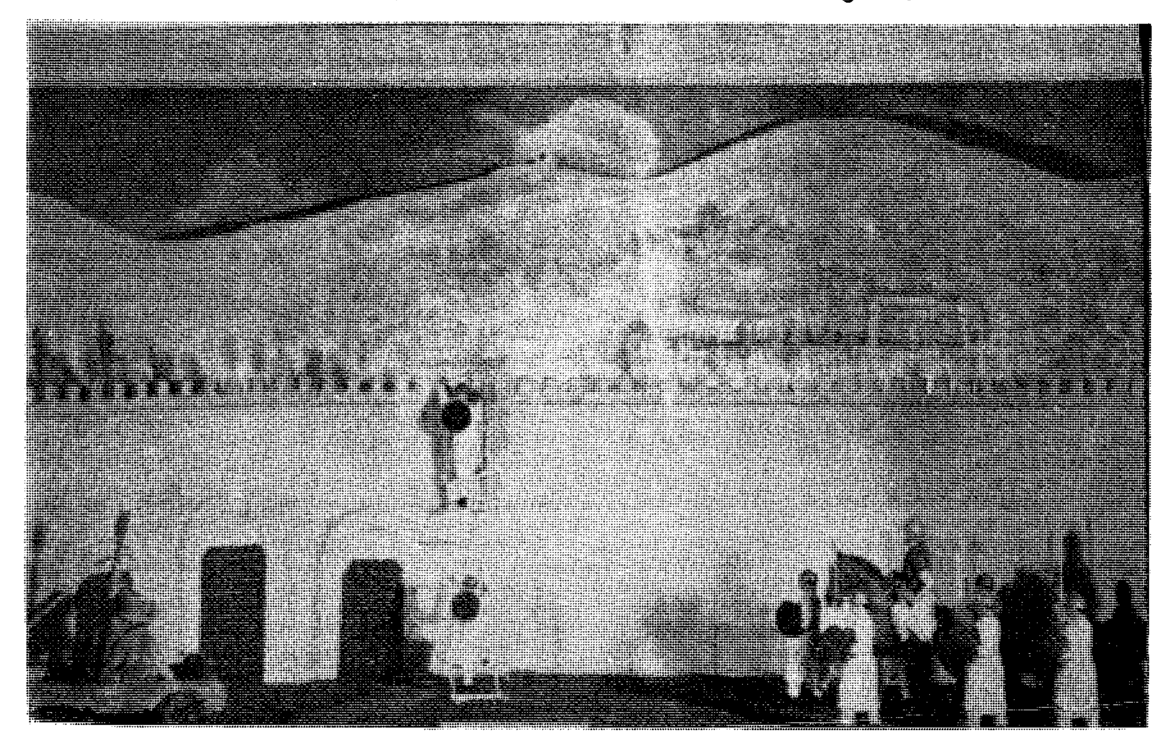


الشـــكل رقم ٤٤

هيكل مصغر لبرج حصار وقد ألقى قنطرته على السور (عن متحف القاهرة الحربي)

(١) انظر الشكل رقم ٤٤ •

وقد عرف العرب عدة أنواع من ابراج الحصار واستخدموها، وخاصة في فترة الحروب الصليبية • وأما سلالم الحصار فقد استخدمها العرب بكثرة • والمعتقد أن أول من استخدمها هو خالد بن الوليد في فتحه لمدينة دمشق [١] • وقد كانت سلالم الحصار تصنع أول الامر من الحبال التي تنتهي بخطافات يسهل تعلقها بحجارة السور ، ثم أصبحت تصنع من الخشب والحبال معا ، ثم من الخشب والحديد في العصور المتأخرة • كما وكانت تزود ، في بعض الاحيان ، بعدة عجلات أو بكر ليسهل نقلها من مكان الى آخر [٢] •

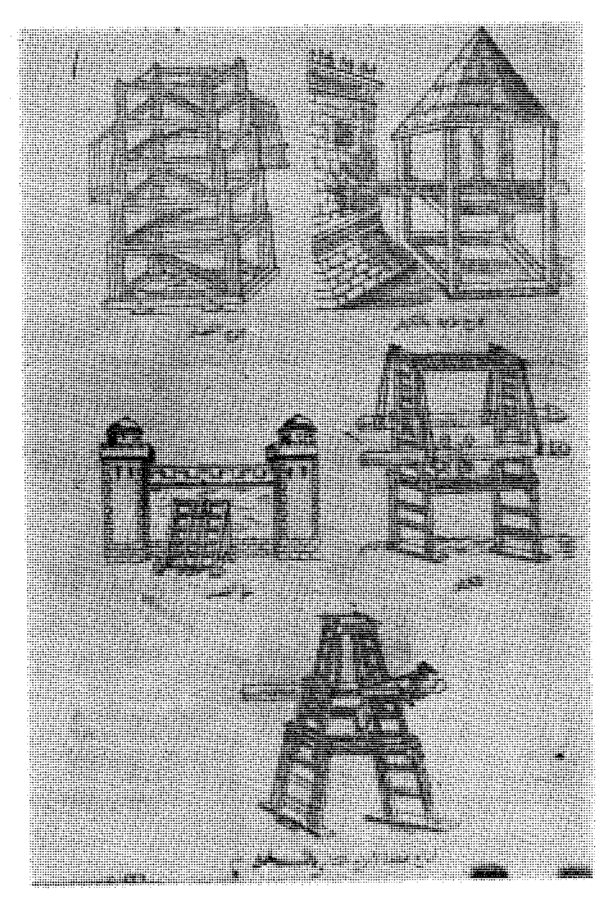


الشكل رقم ٤٥

خالد بن الوليد ، القائد العربي المظفر ، يحاصر دمشق من الباب الشرقي في السنة ١٣ هـ(٦٣٥م)

(١) يرينا الشكل رقم ٤٥ لوحة تمثل جند خالد وهم يصعدون السلالم المنصوبة على أسوار دمشق ، واللوحة رسمها أحد رسامينا الشبان ، وموجودة حاليا في متحف دمشق الحربي •

(٢) انظر الشكل رقم ٤٦ الذي يرينا أهم أنواع الابراج وسلالم الحصار ورؤوس الكبش التي استخدمها العرب •



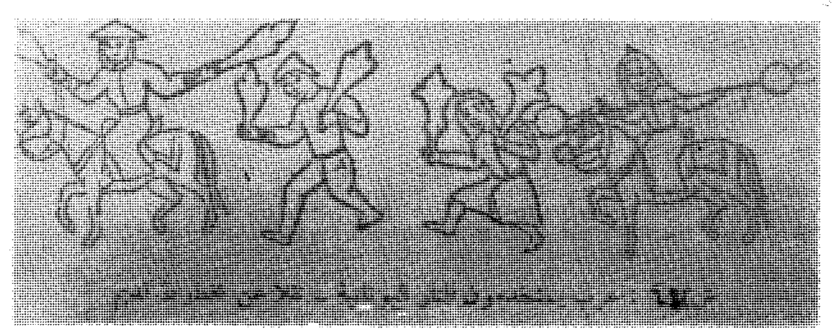
الشـــكل رقم ٤٦
أبراج وسلالم الحصار (عن كتاب « السلاح في الاسلام »)

د ـ النفط والنار اليونانية :

النفط الذي عرفـــه العرب هو مزيج من المواد الملتهبـة كالاترج والكبريت والنورة والسندروس والمصطكي وغير ذلك •

وقد عرف العرب عدة أنواع منه ، فبعضه كان يرمى بالنفاطة (وهي آلة من النحاس لقذف النفط كانت تسمى أيضا » الزراقة ») ، وبعض آخر كان يرمى بالنشاب ، أو بالقوارير ، أو بالمجانيق وغيرها •

وهناك أنواع منه تصلح لحرق المراكب ، وأخرى تزداد اشتعالا اذا رش عليها الماء [1] . وكان رامي النفط يسمى « نفاطا » ، كما ويدعى في بعض الاحيان « زراقا » ، وهو يرتدي ثوبا خاصا غير قابل للاشتعال يطلق عليه اسم « لباس النفاطين » ، ويقال ان أول من اخترع هذا اللباس هو محمد بن يزيد الذي ارتداه عندما اقتحم نيران مدينة « هيراقلية » في زمن الخليفة هارون الرشيد . وفي المكتبة الوطنية بباريس يوجد مخطوط قديم عليه صور بعض المحاربين العرب من خيالة ورجالة وهم يحملون أدوات النفط [2] .



الشكل رقم ٤٧

صورة للنفاطين العرب بألبستهم منقولة عن مخطوط في المكتبة الوطنية في باريس

كما كانت هناك تجافيف (ج تجفاف) خاصة تكسى بها الفرس التي تحمل النفاط كيلا تتضرر من قطرات النفط التي تسقط عليها ، واذا لم توجد هذه التجافيف الخاصة فيمكن دهن التجافيف العادية بمستحضر خاص يجعلها لا تحترق بالنار ، وكذلك أعضاء الفرس غير المغطاة بالتجفاف .

وقد استغل العرب هذا المستحضر أحسن استغلال ، حيث كان بعض فرسانهم يركبون خيلهم المغطاة بتجافيف غير قابلة للاشتعال ، ويحملون بأيديهم النفاطات المشتعلة ، كما ويعلقون بعض هذه النفاطات بأعناق دوابهم وأرجلهم ، فيدبون بذلك الرعب في قلوب أعدائهم .

---

(١) انظر الملحق رقم ١٤ الذي يعطينا فكرة عن أنواع النفط التي عرفها العرب .

(٢) انظر احدى صور هذا المخطوط في الشكل رقم ٤٧ .

أما النار اليونانية :

وتدعى أيضا النار الاغريقية ، أو النار البحرية ، فهي سائل سريع الالتهاب كان ذا أثر كبير في الحروب القديمة . وهذه النار هي في الاصل من اختراع سوري ، حيث يذكر المؤرخ « جيبون » ان رجلا من مدينة بعلبك اسمه « كالينيكوس » اخترعها ونقلها الى الروم في القرن السابع للميلاد ، حين كان هؤلاء بأشد الحاجة اليها لصد غزوات العرب ، أسياد المنطقة الجدد . وقد كان هذا السلاح فتاكا في حروب الروم مع العرب ، حتى يقال أنه كان العامل الاول في عدم قدرة العرب على فتح القسطنطينية ، ولذا فقد بالغ الروم في كتمان أسماء المواد التي تتألف منها ، وعجز العرب بدورهم عن كشف أسرارها قبل مضي مدة طويلة [١] .

وبعد مزيد من محاولات التجسس والبحث العلمي ، تمكن العرب من الاطلاع على سر تركيبها ، فاذا هي مزيج من الكبريت وبعض الراتنجات والادهان في شكل سائل يطلق من اسطوانات نحاسية مستطيلة تدعى زراقات ، أو في شكل كرات مشتعلة ، أو قطع كتان تغمس في السائل المذكور حتى تتشبع ثم ترمى على العدو . وكانت هذه النار تشتعل في الماء والهواء ، واذا سقطت فوق مكان معين فلا تنطفيء قبل أن تأتي على ما فيه .

وقد أدخل المسلمون كثيرا من التحسينات على النار اليونانية ، سواء من ناحية التركيب أو من ناحية الاستعمال : فمن حيث التركيب أخذوا يضيفون اليها بعض الصموغ التي تزيد اشتعالها أوارا ، وأما من حيث الاستعمال فقد أخذوا يزودون بها اساطيلهم على نطاق واسع . وقد قال الشاعر ابن حمد يس

---

(١) من أحب التوسع في بحث « النار اليونانية » فعليه بكتاب « التمدن الاسلامي » ج ١ — ص ١٧٩ ، و « دائرة المعارف » للبستاني ، — ج ٩ — ص ٧٠٥ .

الصقلي (٤٤٥ ـ ٥٢٧ هـ ، ١٠٥٣ ـ ١١٣٢ م) يصف النار اليونانية التي ترميها أساطيل الامير أبي الحسن علي بن يحي [١] :

رأوا حربيـــــة ترمي بنفط … لاخماد النفوس لــه استعار
كان المهـل في الانبـوب منـه … الى شـي الوجوه لـه ابتـدار
كان منـافس البركان فيهـا … لاهوال الجحيم بهـا اعتبـار
نحاس ينبري منـه شـواظ … لارواح العـلوج بـه بوار
وما للمـاء بالاطفـاء حكم … عليـه لدى الوقود ولا اقتـدار

كما انهم استخدموا هذه النار في الجيوش البرية ، وقد دل استخدامهم لها على مهارة حربية مطلقة ، وتقدمعلميملموس ، وخاصة في فترة الحروب الصليبية ، حيث تحدثنا المصادر أن بعض الدمشقيين اخترعوا اثناء حصـار المسلمين عكا ، في عهد صلاح الدين الايوبي ، سائلا جديدا اذا قذف به على الصقالات التي توضع لرمي المنجنيقات يشعلها لحينها ٠

ولم يكن الصليبيون يعرفون سر النار اليونانية ، ولذا فقد كان تأثيرها المادي والمعنوي شديدا عليهم أثناء حروبهم مع العرب ٠ وقد كتب الفارس الفرنسي « دي جوانفيل » في كتـابه « ذكريات عن الحروب الصـليبية » يصف النار اليونانية التي كان العرب المصريون يرمون بها جيشه في معركة المنصورة [٢] ٠

(وفي ذات ليلة بينما كنا نحرس الابراج أنا والسـير والتركوريل حدث ان المسلمين أحضروا آلة لم يستعملوها من قبل ثم قذفونا منها بشيء ملأ قلوبنا بالدهشة والرعب ٠٠٠ نار مستقيمة كأنها اسطوانة كبيرة وذيولها من خلفها مثل الحراب الطويلة ودويها يشبه الرعد وكأنها جارح يشـق

---

(١) عن « الجندية في الدولة العباسية » تأليف نعمان ثابت ـ ص ١٩٩ ٠

(٢) أورد الدكتور عبد الرحمن زكي في كتابه « معركة المنصورة » ـ ص ٧٤ ، ومحمد سعيد العريان والدكتـور جمال الدين الشيال في كتابهما « قصة الكفـاح بـين العـرب والاستعمار » هذين النصين ، والاختلاف بيننا وبينهم هو في ترجمة بعض الكلمات فقط ٠

الهواء ولها نور ساطع جدا من جراء عظم انتشار اللهب الذي يحدث الضوء ، حتى أنك ترى كل ما في المعسكر كما لو كان في وضح النهار ، وقد رمى المسلمون علينا هذه النار في تلك الليلة ثلاث مرات من الآلات الكبيرة ، وأربع مرات من القسي العريضة ، وكان ملكنا القديس كلما سمعهم يقذفون النار اليونانية ينهض من فراشه ويبسط يده الى منقذنا ويقول باكيا : « أيها السيد الاله العظيم احفظ لي رجالي ») .

رابعا ـ الحسك الشائك :

أصل الحسك في اللغة نبات له ثمرة شائكة ذات ثلاث شعب تعلق بصوف الغنم ويصعب انتزاعها منه . وأما الحسك الذي نعنيه بالمعنى العسكري فهو قطع من الحديد أو الخشب ، لها عدة شعب بحيث يبقى منها سن مرتفع كيفما وقعت على الارض ، وهي تطرح حول المعسكرات لعرقلة خيل العدو حين تقدمها .

وقد كان الرسول (ص) أول من استعمل الحسك الشائك في الاسلام وذلك عندما حاصر بلدة الطائف [1] ، وقد صنعه من قطعتين من الخشب تسمران على شكل صليب بحيث تتألف منها اربع شعب مدببة ، فاذا رمي في الارض بقيت شعبة منها بارزة تعطب بها أقدام الخيل والجند .

وأهم المعارك العربية التي استخدم فيها الحسك هي معركة نهاوند (٢١ هـ ، ٦٤١ م) ، حيث يروي لنا الواقدي [2] ان قائد المسلمين « النعمان ابن المقرن » أرسل أحد رجاله للتجسس على عسكر الفرس ليلا ، فلما دنا من قلعتهم قام فرسه من تحته ، لا يتقدم ولا يتأخر ، فنزل الرجل وبحث في أرجله واذا بحسكة من الحديد قد علقت في يد الحصان فنزعها ثم رجع الى النعمان وأنبأه أن أرضهم مفروشة بهذا الحسك فتجنبها النعمان في هجومه .

---

(١) انظر كتاب « امتاع الاسماع » للمقريزي ج ١ ـ ص ٤١٨ .

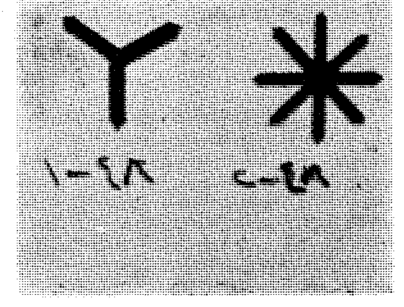
(٢) في كتابه « فتوح الاسلام لبلاد العجم وخراسان » ـ ص ٩٥ .

كما ذكر لنا ابن الاثير في تاريخه أن المسلمين كانوا يلقونه ويفرشونه امام خنادقهم •

كما استخدم المسلمون الحسك في معركة عمورية أيضـا وذلك بأن وضعوه أمام خنادقهم لينال العطب من سنابك خيل العدو اذا فكر في مهاجمتهم• وهكذا كان هذا السلاح يسد مسد الالغام والاسلاك الشائكة في وقتنا هذا •

وقـد سمى الطرسوسي هذا السـلاح « المثلثات » ، التي وصفها في مخطوطه النفيس بقوله [١] :

« وهذه المثلثات من ألطف الآلات وأجمعها المحاسن الكفاية ، وأبدع المصنوعات وأسرعها تأثيرا في النكاية ، وهي مكيدة ترمى في الارض التي تعلم أن العدو يسلكها اليهم ويسرع فيها الهجوم عليهم ، فـاذا ساحت الخيل عليها ، ووطيت على شوكتها القائمة فيها عقرتها أشد عقر وأثرت فيها أعظم أثر فتسقط الخيول بمن عليها وتهلك بما أصابها من تلك النكاية وما لذ بها ، وتنكي فيمن عساه يتردى على شوكتها القائمة وتقوم مقام السهام الرامية لان هذه الآلات المثلثة منهـا اذا سـقيت بما سقي من السهام قتلت على المقام وهذه صورته (انظر الشكل رقم ٤٨ ـ ١) وتكوينها أن تكون لها أبدا شـــوكة قائمة وشوكتان ثابتة في الارض كيفمـا رميتها • وقد تعمل مسدسة وتكوينهـا أن تكون لها ثلث شوكات قائمة عـلى وجه الارض ويقعـد في الارض على ثلث شوكات كيف ما رميتها وهذه صورته (انظر الشكل رقم ٤٨ ـ ٢) •



ويجب أن تحدد شوكاتها وتبرد ثم يسقى بالسـقاية المذكـورة في

(١) Bulletin d'Etudes Orientales — Tome X11 — Page 122

موضعها ولا تجرد وتكن من الغبار قبل طرحها فهي من الآلات المنكية وقد فرغنا من شرحها » •

خامسا ـ المكاحل :

المشهور عند الفرنج أن من اخترع البارود هو رجل اوروبي اسمه « شوارتز » توصل لاكتشافه سنة ١٣٢٠ م (٧٢٠ هـ) ، والصحيح أن العرب هم أسبق الناس الى استخدامه وان لم يكونوا مخترعيه [١] ، فقد ذكر المستشرق الاسباني « كونديه » المتوفي سنة ١٨٢٠ م ، ان العرب هم أول من اخترع الاسلحة النارية ، حيث استخدمها المراكشيون في حرب سرقوسة سنة ١١١٨ م (٥١٢ هـ) ، وفي هذا القول شاهد صريح على أن العرب عرفوا البارود قبل شوارتز بمدة تزيد عن قرنين [٢] •

كما أن المؤرخ العربي ابن خلدون يصف لنا كيف استخدم العرب البارود في معارك سجلماسة سنة ١٢٧٣ م (٦٧٢ هـ) بقوله : « ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزنة أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الافعال الى قدرة باريها » [٣] ، وفي هذا دليل آخر على أن العرب سبقوا الاوروبيين الى اختراع البارود والاسلحة النارية بحوالي نصف قرن على الاقل • ويوجد في مكتبة « لينينغراد » مخطوط عربي يعود تاريخه للقرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد) ، فيه صورة لمحاربين عربيين يعملان في الاسلحة النارية والمكاحل •

والمكاحل ـ أو المدافع كما يقال لها الآن ـ هي أنابيب ترسل فيها

---

(١) قال العلامة التونسي الاستاذ عثمان الكعاك في محاضرة ألقاها في المسرح العسكري في دمشق في أواخر شهر كانون الاول ١٩٦٢ : « ان العرب عرفوا البارود منذ عهد هارون الرشيد الذي وعد بعض الاسرى الصينيين بأن يطلق سراحهم اذا كشفوا له سر صناعة البارود ، فقام هؤلاء بذلك » •

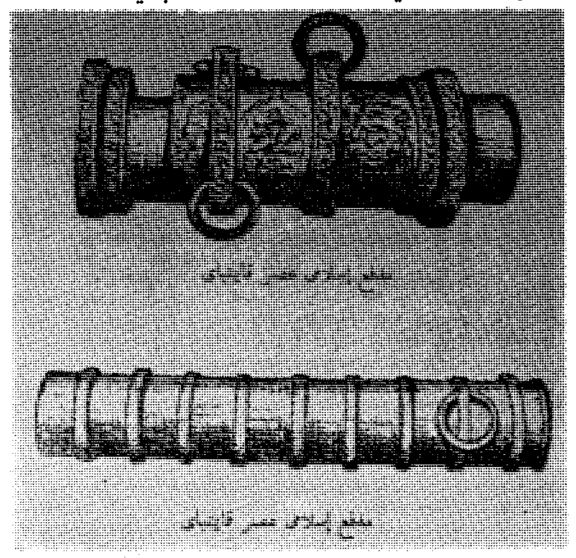
(٢) جاء ذكر البارود أيضا في الصفحة ٢٠٨ من كتاب : « التعريف بالمصطلح الشريف » الذي ألفه شهاب الدين بن العباس العمري سنة ١٣٤٩ م •

(٣) عن « تاريخ التمدن الاسلامي » ج ١ ـ ص ١٨١ •

المقذوفات بفعل ضغط البارود المشتعل ، وقد عرفها القلقشندي بقوله : « وهي المدافع التي يرمى عنها بالنفط ، وحالها مختلف : فبعضها يرمى عنه بأسهم عظام تكاد تخرق الحجر ، وبعضها يرمى عنه ببندق من حديد زنة عشـرة أرطال بالمصري الى ما يزيد على مائة رطل » [1] •

ومن هذا التعريف يتبين لنا أن القذائف كانت تصنع من العظام ، قبل استعمال كرات من الحديد دعيت باسم « البنـــدق » • وأما المادة التي استعملت لسبك المدافع نفسها فهي النحاس في بداية الامر ، ثم اسـتعملت صفائح الصاج التي تحزم بأطواق من الحديد ، وكان يجب انتظار عـــام **١٥٢٠** م (**٩٢٧** هـ) حتى يتم صنع بعض المدافع من الحديد بطريقة السبك المتبعة حتى الآن •

وأول من أتقن صناعة واستخدام المكاحل من الدول العربية هي دولة المماليك في مصر وخاصة في عهد السلطان « قايتباي » [2] • وقد وصف لنا



الشـــكل ٤٩

مدفعان مملوكيان (عن كتاب « السلاح في الاسلام »)

(١) صبح الاعشى – ج ٢ – ص ١٣٧ •

(٢) انظر الشكل رقم ٤٩ •

ابن اياس [1] ، في كتـابه « تاريخ مصر » ، تجربة لاختيار مدفع بحضور السلطان المملوكي بقوله :

« وفي يوم الثلاثاء رابع عشرة من شوال سنة **٨٦٨** هـ رسم السـلطان بتصريح المدفع السلطاني الذي سبكه للسلطان الاستاذ ابراهيم الحلبي بقلعة الجبل • وصرخ [2] بين يدي السلطان في أواخر رمضان من تحت القلعة الى جهة الجبل الاحمر غير مرة ثم نقل الى ذيل الجبل الاحمر بالقرب من قبة النصر تجاه ظهر زاوية الشيخ كهنيوش خارج القاهرة ووضع على عاليـة ووضع رجل المدفع نحو الجبل المذكور وفمه الى جهة خانقـاه سرياقوس وصرخ هناك في يوم الخميس تاسع هذا الشهر مرتين في الملأ من النـاس بحضرة جماعة من امراء الالوف وأعيان الدولة • وقيس مسافة سـقوط حجر المدفع المذكور فجاء أربعة آلاف ذراع وستمائة ذراع وعشرين ذراعا بالذراع الجديد • وكان في المرة الاولى التي صرخ فيها بين يدي السلطان لم يقدر أحد على قياسه لانه كان صرخ نحو الجبل ولم تعلم مسافة سقوطه ولم أحضر أنا هذا القياس الثاني ولا نقل الى من ثقة بل سـمعته من أفواه الناس وفيه اختلاف من زيادة ونقص • وقد سألني السـلطان عن أمره ومسافة سـقوط حجر المدفع فعرفتـه انني لم احرره فسألني أن أحرره في الثالثة فقلت له لا أعلم زنة المدفع ولا زنة حجره ولا زنة باروده فأملى علي جميع ذلك وغيره من لفظه حسبما نقف عليه ان شاء الله في هذا المحل فتأهبت له ، فلما كان يوم الثلاثاء هـذا وصرخ المدفع ثالثـة مرة في مكانه المذكور مرتين ، فكان سقوط حجره الثاني تجاه مسجد التبن من المطرية وهو أبعد مسافة من الحجر الاول وأيضا أبعد مسافة من سقوط حجارة رمي يوم الخميس المقدم ذكره وتوليت أنـا ومن أثق به قياس هذه المسافة بالضبط

(١) أخذنا هذا النص عن كتاب « السلاح في الاسلام » للدكتور عبد الرحمن زكي •

(٢) صرخ : دوى •

والتحرير الزائد فكان طول ذلك خمسة آلاف ذراع وستمائة ذراع وثمانية واربعين ذراعا وكسرا بالذراع الجديدة ، وقدر لذلك بالذراع المعتبر في قياس البرد والاميال ستة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع وتسعة وثمانون ذراعا وثلث أذراع وذلك ميل ونصف ميل وثمن ميل وربع عشر ميل تقريبا [1] وذلك قريب من سدس بريد وهذا شيء من النوادر الغريبة التي لم نعهدها ولا سمعنا مثلها في سالف الاعصار • فتعجب الناس أمر هذا المدفع غاية العجب وكان لتصريحه يوم مشهور من كثرة الخلائق ، وبالله لولا انني شاهدت ذلك ما اثبته في تاريخي لغرابة ما شاهدته من عظيم أمره وكل ذلك بسعادة السلطان خلد الله ملكه ، والذي اعتبرته من امر هذا المدفع المذكور من املاء السلطان ومباشرتي بنفسي ان طوله خمسة عشر شبرا وبالذراع خمسة أذرع ونصف ذراع وربع ذراع ووسع فوهته ثلاثة أذرع ونصف ذراع وربع ذراع دورا وسمكه نحو من ثلث ذراع وهو قطعة واحدة مضلع مشرف حلو الشكل • وأما زنته فمائة وسبعون قنطارا بالمصري [2] وزنة حجر المرمي به أربعة قناطير بالمصري وزنة باروده سبعة وثلاثون رطلا مصريا » •

★ ★ ★

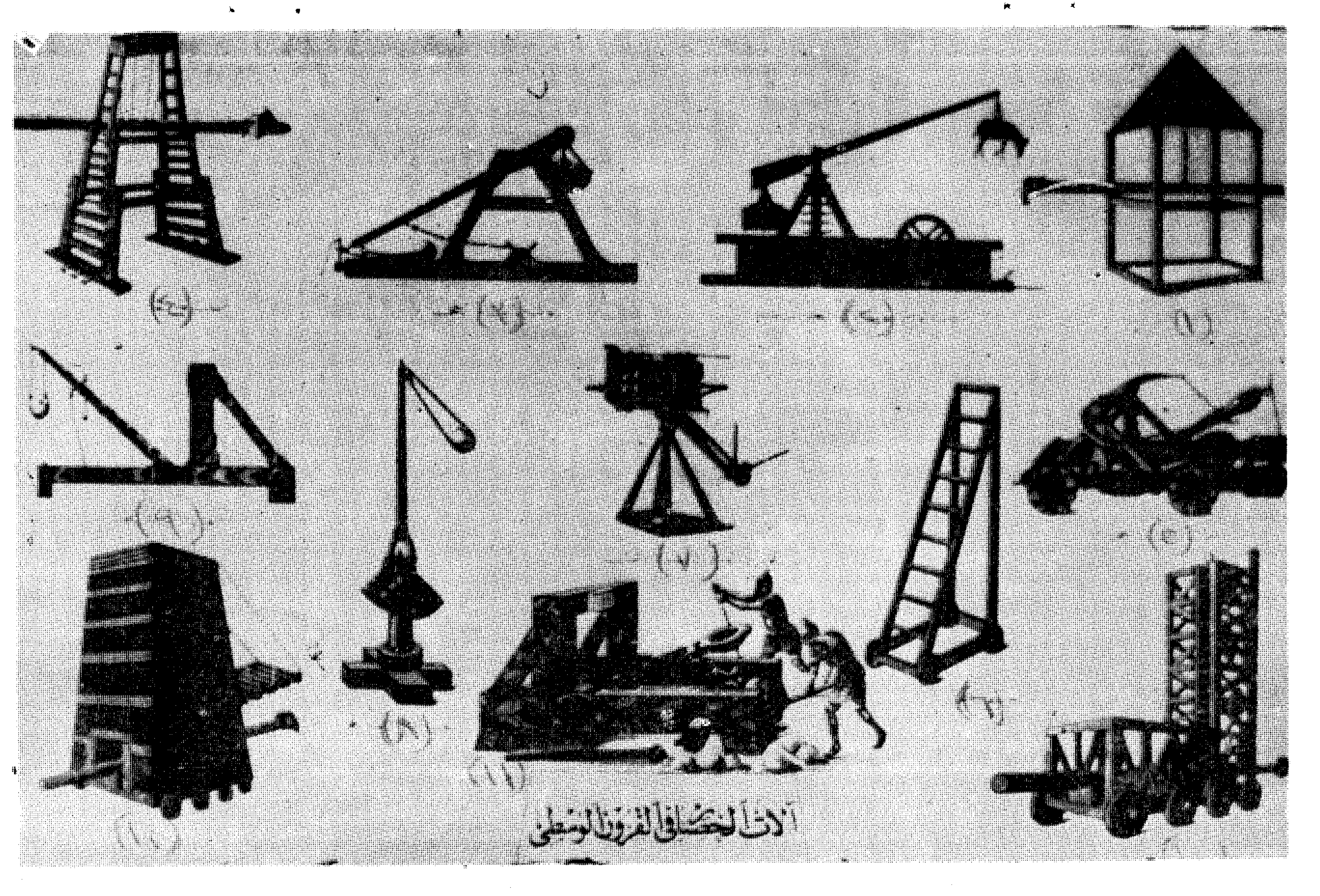
وبعد استعراضنا في الصفحات السابقة مختلف صنوف الاسلحة الجماعية التي عرفها العرب [3] ، يظهر لنا جليا أن العرب كانوا متقدمين على غيرهم من الامم في صناعة هذه الاسلحة واستخدامها ، وقد ظل هذا التقدم قائما حتى اجتاح أرضهم المستعمر التركي فكان ذلك بداية نهاية ذلك التقدم المشرق الذي دام قرابة ألف عام أو يزيد •

---

(١) اذا اعتبرنا الميل ١٦٣٢ م فان هذه المسافة تكون :
١٦٣٢ + ٨١٦ + ٢٠٤ + ٤١ = ٢٦٩٣ م وهو مدى جيد بالنسبة لذلك العصر •

(٢) القنطار يساوي مائة رطل •

(٣) يحوي الشكل رقم ٥٠ صورا لاهم أنواع الاسلحة الجماعية في العصور الوسطى •



آلات الحصار في القرون الوسطى

الشكل رقم ٥٠

الاسلحة الجماعية وآلات الحصار في القرون الوسطى
(عن صورة لدى مديرية الآثار العامة السورية)

(١) برج مزود برأس الكبش •
(٢) نوع من المجانيق لالقاء الحيوانات الفاسدة •
(٣) و (٥) و (٩) مجانيق لالقاء الحجارة •
(٤) قضيب لهدم الجدران (رأس كبش) •
(٦) سلم متحرك •
(٧) قوس مركب لقذف السهام (باليستا) •
(٨) منجنيق لالقاء الحجارة من القلاع (تربوشيه) •
(١٠) برج حصار آشوري •
(١١) منجنيق ضخم •
(١٢) برج دبابة ذو قنطرة مع كبش •

الفصل الثامن

صنوف الجيش العربي القديم

المقصود بصنوف الجيش مختلف الاختصاصات التي كان يعمل بها جنود هذا الجيش ، كصنف الرجالة ، والخيالة ، والنشابين ، والمنجنيقيين ، والفعلة ، والبحرية .. الخ ..

وسنتكلم أولا عن الصنوف البرية ، ثم نذكر بعض المعلومات عن الاسطول العربي في ذلك الوقت .

أولا ـ الصنوف البرية :

كانت الصنوف البرية في الجيش العربي متعددة ومتنوعة . وسنكتفي هنا بالحديث عن أهم هذه الصنوف التي هي :

آ ـ الرجالة :

الرجالة ، أو المشاة كما يطلق عليهم في الوقت الحالي ، هم الصنف الرئيسي في الجيش العربي القديم ، وكان سلاحهم الرماح والسيوف والحراب والقسي والسهام ، يحملون كنائن النبل ويرتدون الدروع والخوذ والمغافر .

وقد لعب هذا الصنف دورا مهما في المعارك العربية وخاصة في معارك الاسلام الاولى مع الفرس والروم كمعركتي القادسية واليرموك •

ب ـ الخيالة :

كان العرب منذ جاهليتهم من أمهر الفرسان ، وكانوا يحبون الخيل حبا شديدا حتى أنهم كانوا يسمونها بأسماء ابنائهم ويبيتون ليلهم على الطوى ليؤمنوا لها الطعام •

ولما أتى الاسلام ، شجعت تعاليمه على الاعتناء بالخيول والتمرن على ركوبها ، حيث قال الرسول : « أكرموا الخيل وجللوها » وقال : « علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل » [1] • وقد كان له (ص) تسع عشرة فرسا لكل منها اسم يعرف به ، وبلغ من اعزازه لها أنه كان يمسح دموعها بطرف ردائه • كما واعتنى الرسول شخصيا بتقوية عنصر الخيالة في الجيش العربي الفتي ، ويمكن أن نلمس اثر هذه العناية في أن معركة أحد كانت معركة خيالة تقريبا بينما لا نجد في معركة بدر الا بضعة فرسان فقط من المسلمين •

وكان عمر بن الخطاب يعتني عناية فائقة بخيول الجيش حيث كان يراقب عن كثب تمرين هذه الخيول وتربيتها ، وكان يقوم في سبيل هذه الغاية بزيارات تفتيشية على حمى الخيل القريب من المدينة المنورة •

وأما عمرو بن العاص فقد كان يوصي رجاله بأن يعتنوا بأفراسهم مثل عنايتهم بنسائهم ، وقد قال في أحد خطبه مخاطبا جنوده : « ولا أعلمن ما أتى رجل قد أسمن نفسه وأهزل فرسه ، واعلموا أني معترض بالخيل كاعتراض الرجال ، فمن أهزل فرسه من غير علة حططت من فريضته قدر ذلك » [2] •

وقد اعتنى المسلمون بالفروسية فتعلموها وعلموها [3] ، وكانوا يجرون

---

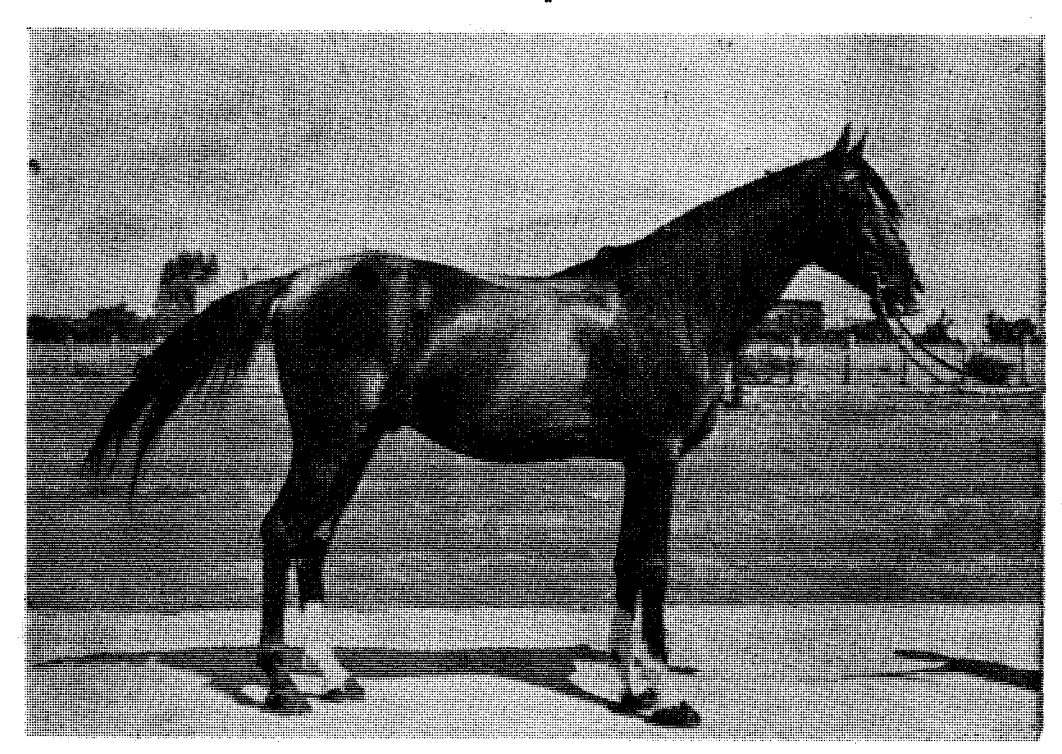
(١) عن « السلام والحرب في الاسلام » ـ ص ٩١ •

(٢) عن « الجندية في الدولة العباسية » لنعمن ثابت ـ ص ١٤١ •

(٣) يبين الملحق رقم ١٥ قواعد ركوب الخيل نقلا عن ابن هذيل الاندلسي في كتابه « حلية الفرسان » •

المسابقات بين الخيل لتدريبها على الجري والمنازلات • وفي الحرب كانوا لا يستخدمونها الا وقت الاشتباك الفعلي فقط ، وأما قبل ذلك فكانوا يستخدمون الابل ويقودون خلفهم الخيل ليريحوها ، فاذا ما اقتربوا من العدو نزلوا عن الابل وامتطوا الخيل ليقاتلوا عليها • وقد امتازت الخيول العربية بعدة ميزات لا تزال تعرف بها حتى الآن ، وأول هذه الميزات هي طول أجسامها ، ودقة قوائمها ، وضمور اعضائها مما يجعلها سريعة الجري خفيفة الحركة ، وهذا أهم ما كانت تتطلبه المعركة في ذلك الوقت [1] •

وقد كان فرسان الجيش العربي يتسلحون بالسيوف والحراب والرماح



الشـــكل رقم ٥١
الحصان العربي الاصيل

---

(١) انظر صورة الحصان العربي الاصيل في الشكل رقم ٥١ •

الطويلة ، وكانوا يرتدون الزرد والحجف والخوذ ، أما خيولهم فقد كانوا يضعون عليها التجافيف والسروج [1]. والعرب هم أول من اخترع الركاب في سرج الخيل ، وقد كان هذا الركاب يصنع من الخشب في أول الامر ، ثم لما جاء المهلب بن أبي صفرة استبدل الركاب الخشب بالركاب الحديد [2] .

ونظرا للخفة التي امتازت بها الخيول العربية فقد كان عنصر الخيالة في الجيش العربي يتمتع بمرونة لا مثيل لها ، وقد استغلت هذه الميزة أحسن استغلال ، حيث كان يستخدم في « الطلائع » [3] أو في « المجنبات » فقط ، بعكس الفرس والروم الذين استخدموه في القلب والخطوط الخلفية .

وقد كان القادة العرب يفرضون على الخيالة القيام باحدى هذه المهام الاربع :

١ ـ الاستطلاع : ويكون ذلك بأن تسير الخيل في مفرزة « الطلائع » التي تسير أمام الجيش فتستطلع له الطريق وتكشف له أماكن العدو في حالة وجوده .

٢ ـ الحملة : ويقصد بها أن يقوم الخيالة بالهجوم الراكب مع الجيش وبقية الصنوف .

٣ ـ الاغارة : وهي أن يقوم الخيالة بعملية هجوم سريعة وحاسمة على العدو .

٤ ـ استثمار الظفر : وذلك بالاستعانة بالخيالة على مطاردة العدو عند تقهقره .

وبالاختصار يمكننا أن نقول ان صنف الفرسان كان يقوم بأغلب

---

(١) التجفاف هو رداء الحرب الذي تكسى به الخيل عند دخولها الحرب ، وهو من الفرس بمنزلة الدرع من الفارس ، وأما السروج فهي جهاز الفرس الذي يركب عليه الفارس .

(٢) راجع « وفيات الاعيان » لابن خلكان ، ج ٢ ـ ص ١٤٦ .

(٣) جاء في كتاب « آثار الاول في تدبير الدول » ص ١٧٥ : « والطلائع تكون أصحاب الخيول السبق والرمي والخفة في الطراد والمقابلة » .

المهمات التي يقوم بها سلاح المدرعات حاليا ، ولـذا فكلمتا « فرســـان » و « مدرعات » تعتبران مترادفتين في معظم جيوش العالم اليوم •

ج ـ النشابة :

النشابة هم رماة السهام ، وقد سبق أن قلنا في معرض حديثنـــا عن القسي أن العرب ابتداء من أوائل القرن الثاني أصبحوا أمهر من جميع معاصريهم في النزع بالقوس ، حتى أن هذه الميزة كانت من أسباب انتصارهم على الروم في الحروب التي خاضوها معهم • ولا ريب أن حدة أبصارهم وقوة سواعدهم وحياتهم القبلية هذه كانت من أهـم أســـباب مهارتهم في الرمي ، تلك المهارة التي كادت تتعدى حدود التصديق ، حتى أن كـــل قبيلة كانت تحوي المئات من « رماة الحدق » ، الذين بوسعهم التسديد على احدى عيني جندي العدو واصابتها ـ ومن هنا جاء اسمهم ـ•

وقد كان قادة الجيش العربي يوكلون للنشابين مهمات تعبوية تليق بمهارتهم في الرمي ، فقد كانوا يكلفون في حالات الدفاع بمسك الممرات الاجبارية والاماكن التعبوية المهمة ، وأما في حالات الهجوم فقد كانت تسند اليهم مهمات التمهيد والمرافقة والحماية واستثمار الظفر •

د ـ الدبابون :

كان الدبابون يدخلون في جوف دباباتهم ويدحرجونها باتجاه سور القلعة التي يبغون فتحها ، وكان يرافق الدبابة بعض الجنود الرجالة الذين يسيرون أمامها بالجفان لحماية سدنتها أثناء تأدية عملهم ، كما كان يرافقها بعض « الفعلة » ليسهلوا تقدمها ، فان اعترض طريقها خندق ضيق طرحوا بعض الاخشاب عليه مثل الجسور ، واذا كان الخندق عريضا طرحوا فيه حزم الحطب والزرجون والورق والجلود المملوءة ترابا حتى يمتلىء الخندق ، ثم يطرح بعض التراب عليه من جديد لتمهيده •

وكانت الدبابة اذا وصلت الى السور ، عمل رجالها في نقبه بوساطة

« رأس الكبش » ، أو أدوات التحكيم الفردية ، حتى يتم فتح ثغرة فيه ، فيقوم عند ذلك الفعلة بتوسيع الثغرة ودعمها لاقتحام السور •

هـ ـ الفعلة :

ويقوم جنود هذا الصنف بما يقوم به جنود سلاح المهندسين في وقتنا الحالي ، حيث كان منهم من يحفرون الخنادق ، أو ينقبون الاسوار ، أو يبنون « المناظر » على رؤوس الجبال ، أو يسوون السبل والطرقات • وكان منهم نفر آخر يبنون الجسور على الانهار ، أو يخططون لبناء المعسكرات ، أو يحفرون الانفاق للوصول الى داخل المدن الحصينة ، وغير ذلك من الاعمال •

وكانوا يستخدمون لذلك عددا من الآلات الفردية والاجماعية ، مثل الفؤوس والمكاتل والمناسف والقطاطيع ••• الخ • كما وكانت هناك مفرزة منهم تكلف خصيصا بنثر الحسك الشائك ، الذي تكلمنا عنه في الفصل السابق ، وكانوا يلجؤون الى استعمال هذا السلاح في حالات ثلاث :

١ ـ في حالة الدفاع المستكن وذلك لعرقلة تقدم العدو واحباط هجومه اذا أمكن •

وكانوا بهذه الحالة يفرشون الارض المحيطة بمواقعهم كلها ، الا دروبا خاصة يتركونها بدون فرش ، وذلك لكي يتمكنوا من استخدامها للقيام بهجمات معاكسة اذا سمحت لهم الظروف بذلك •

٢ ـ لاستدراج العدو ، وذلك بفرش منطقة معينة بالحسك ثم تظاهر قواتهم بالتراجع ، حتى تدخل قوته في المنطقة المعينة ويعقر الحسك الشائك سنابك خيله فيقعدها • وعندها يكلف صنف الخيالة بمحاصرة جند العدو ومنعهم من الخروج من هذه المنطقة ، بينما يقوم صنف النشابة بالقضاء عليهم •

٣ ـ في فترات توقف القتال يوميا ، اذ كانوا يدخلون معسكرهم ، ويفرشون الاراضي التي يحتمل أن يتقدم العدو منها بالحسك لكي يحتاطوا

من مفاجآته لهم ليلا • وكـان هؤلاء الفعلة من المتدربين على مهمتهم هذه بكل دقة ، وكان من يقودهم من مرتبة المهندسين على الاغلب ، كالمهندس ابن صابر المنجنيقي ، الذي ذاع صيته في القرن الثاني عشر للميلاد فـي بغـــداد [1] •

و ـ المنجنيقيون :

هم رماة المجانيق ، ويقومون بكافة المهام التي يقوم بها سلاح المدفعية اليوم ، وكانت تعطى لهؤلاء مهمة التمهيد بالرمايات التدميرية أو المحرقة التي كانت تجرى بوساطة المجانيق •

ز ـ العيارون :

هم رماة الحجارة أو قطع الحديد والرصاص من المقاليع والمخالي ، وكان منهم عشرات الالوف أثناء العصر العباسي •

ح ـ النفاطون :

وهم الذين يرمون النفط على معدات وجنود العدو بوساطة النفاطات• ويقال لهم أيضا « الزراقون » في حالة تزويدهم « بزراقات » لقذف النار اليونانية • وكان أفراد هذا الصنف يرتدون الملابس الخاصة غير القابلة للاشتعال ، وذلك لئلا تؤذيهم النار التي يرمونها •

ط ـ الكشافة :

وتقابل هذه الفرقة في المهمات التي كانت توكل اليها « سرية الاستطلاع » في الالوية الحديثـــة ، حيث كان أفرادها يسـبقون الجيش في تقدمـــه ، للاستطلاع عن حال العدو والارض وموارد التموين المحلية ، بامرة قائد مختص يطلق عليه اسـم « الرائد » • وكان « الكشـافة » يدربون تدريبـا

---

(١) من أحب زيادة التوسع في بحث « الحسك » فعليه مراجعة المقال الذي كتبه ميخائيل عواد في مجلة « المجتمع العلمي العراقي » ـ المجلد ٢٠ ـ الجزء ١ ، ٢ بعنوان « الحسك في الحروب القديمة » •

خاصا على مهماتهم ليقوموا بها على الوجه الاكمل عندما يطلب منهم ذلك •

ي ـ الاطباء والمضمدون والنقالون :

وكان العرب اذا جهزوا جيشا ، بعثوا معه بعض الاطباء من بشريين وبيطريين للاعتناء برجال الجيش ورواحله • وكان هناك مضمدون يساعدون الاطباء في مهماتهم ويحلون محلهم اذا لزم الامر • وعندما أتى الحجاج بن يوسف الثقفي الى حكم العراق ، في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، فطن لاهمية وجود « نقالين » في الجيش لحمل جرحاه ، فأمر بصنع محفات لهذا الغرض ، وأوعز لاطباء الجيش بتدريب بعض الجنود على هذه المهمة• حتى اذا ما وصل العباسيون الى الحكم ، نظموا مصلحة « الخدمات الطبية » في الجيش ، وأمروا باصطحاب مستشفيات سيارة على شكل هوادج تحمل على الجمال أو البغال ، وتسير مع ساقة الجيش (مؤخرته) ، أو تخلى الى الخلف •

ك ـ الصنوف الاخرى :

والى جانب هذه الصنوف العشرة المذكورة سابقا ، كانت هناك صنوف أخرى لم نذكرها لقلة أهميتها ، أو لان مهمتها لا تتعلق تعلقا مباشرا بالحياة العسكرية والقتال • ومن هذه الصنوف :

- أصحاب الاقباض : الذين يتولون جمع وتقسيم الغنائم ، وتوزيع الاعطيات •
- رجال الحرس الخاص : الذين يتولون حراسة الخليفة والامراء والقادة •
- والقراء : الذين يحمسون أفراد الجيش بما يقرأون على مسامعهم من آيات الذكر والاحاديث النبوية وقصص العرب وأهازيجهم •
- والرواد (ج رائد) الذين يرتادون أمكنة نزول الجيش قبل قدومه • والوزعة (ج وازع) الذين يصلحون الصفوف أثناء

المسير • والسعاة (ج ساعي) الذين يحملون الاوامر والكتب بين القواد• وأصحاب الساقة الذين يشرفون على الانضباط في المؤخرات•

ثانيا ـ الصنوف البحرية :

ولا بد من أن نذكر شيئا عن الصنوف البحرية في الجيش العربي ، ونظرا لاهمية هذه الصنوف فاننا سنتوسع بعض الشيء في الحديث عن نشأة الاسطول العربي ، وعن أنواع السفن التي كان يستخدمها :

آ ـ تطور الاسطول العربي :

الاسطول كلمة معربة عن الكلمة اليونانية « Stolos » ، ومعناها الطائفة من السفن • واذا تتبعنا نشأة الاسطول العربي نجد أن بزرته قد القيت منذ عهود الجاهلية ، حيث أن جزيرة العرب تعتبر من الاقطار البحرية بحكم موقعها ، اذ هي تشرف على بحار ثلاثة : البحر الشامي في الشمال ، وبحر القلزم في الغرب [1] ، والبحر الهندي وما يتفرع عنه من البحار والخلجان في الجنوب والشرق • وكان العرب منذ جاهليتهم على اتصال دائم بالامم المجاورة لهم كالروم والفرس والحبشة ، بل أن قسما منهم ، وهم عرب سبأ وحمير [2] ، عرفوا بأنهم أهل تجارة في البر والبحر ، حيث كانوا ينقلون حاصلات الصين والهند الى مصر والحبشة • ولكن يجب أن نعترف بأن عرب الحجاز بشكل عام ، وقريش بشكل خاص ، كانوا يتهيبون ركوب البحر لعدم خبرتهم فيه ، ولذا فقد كان الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب على درجة كبيرة من الحذر والحرص على أرواح المسلمين حين أصدر أوامره بمنع ركوب البحر ، وقد تضاعف حذره هذا بعد أن فشلت

---

(١) البحر الشامي هو الاسم القديم للبحر الابيض المتوسط ، وبحر القلزم هو الاسم الذي أطلقه أجدادنا على البحر الاحمر •

(٢) ولعل عمرو بن كلثوم كان يفخر بعرب سبأ وحمير حين قال :

ملأنا البحر حتى ضاق عنا ... وسطح البحر نملأه سفينا

الحملة البحرية التي قام بها عامل البحرين ، علاء بن الحضرمي ، على بلاد فارس متجاهلا أوامر الخليفة [1] .

ولما تولى معاوية ولاية الشام ، بعث الى عمر يستأذنه بركوب البحر فأبى ، فألح عليه معاوية ملمحا له بالمكاسب التي يمكن ان تحققها الدولة العربية الناشئة من نزول البحر ، فكتب عمر عند ذلك الى والي مصر عمرو بن العاص يطلب اليه أن يصف له البحر ، فأجابه عمرو : « اني رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير . ليس الا السماء والماء . ان ركن خرق القلوب وان تحرك أزاغ العقول . يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة . هم فيه كدود على عود . ان مال غرق وان نجا برق » [2] . فبعث عمر الى معاوية بالرد قائلا : « تالله لمسلم واحد أحب الي مما حوت الروم ، فاياك ان تعرض لي وقد تقدمت اليك ، وقد علمت ما لقي العلاء مني ولم أتقدم اليه في مثل ذلك ... والذي بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا ».
وقد بلغ من تهيب عمر للبحر أنه منع عمرو بن العاص من اتخاذ الاسكندرية عاصمة له لوجود النيل فاصلا بينها وبين الفسطاط ، حيث تروي بعض المصادر أن عمرو بن العاص ، لما فتح مصر ، كتب الى الخليفة يستأذنه باتخاذ الاسكندرية كعاصمة لولاية مصر ، فسأل عمر الرسول الذي حمل كتاب الاستئذان :

– هل يحول بيني وبين المسلمين ماء ؟ فأجابه هذا :

– نعم يا أمير المؤمنين اذا جرى النيل .

فكتب عمر الى عمرو يعلمه بعدم موافقته ، ويشرح له السبب بقوله : « اني لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف ، فلا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى أردت أن أركب اليكم راحلتي حتى

---

(١) يذكر ابن خلدون في مقدمته اسم قائد آخر خالف عمر وغزا في البحر فكان مصير غزوته الفشل ، وهو عرفجة بن هرثمة الاسدي سيد بجيلة لما أغزاه عمان .

(٢) انظر كتاب « فتح العرب لمصر » للدكتور بتلر ص ٤٠٧ .

أقدم اليكم قدمت » [1] • ولم يسمح عمر طيلة سني خلافتـــه للمســلمين بركوب البحر ، خيفة أن يودي ببعضهم الى التهلكة •

أما الخليفة عثمان بن عفان فلم يكن أقل من سلفه حذرا في الايذان بركوب البحر ، ولذا فقد رفض السماح لمعاوية بن أبي سفيان بالركوب لغزو قبرص ، ولكن معاوية عـاد فكتب اليـــه يعلمه بقرب هذه الجزيرة وسهولة احتلالها وأهمية الاستيلاء عليها ، فسمح له عند ذلك بشرط أن يكون جميع رجال الحملة من المتطوعين اختيارا لهذه المهمة • فجمع معاوية عند ذلك جيشا من المتطوعين، وركب بهم البحر من عكا سنة **٢٩** هـ **(٦٤٩م)** متوجها الى قبرص ، فصالحه أهلها على **٧٢٠٠** دينار يدفعونها سنويا بدون فتح • وهكذا كان معاوية بغزوه قبرص أول مسلم يغزو في البحر وينتهي غزوه بالنجاح • وفي سنة **٣١** هـ ــ **٦٥١** م (وقيل **٣٤** هـ ــ **٦٥٤** م) ، جهز قسطنطين بن هرقل ملك الروم اسطولا يضم **٥٠٠** مركب ، وسار بها باتجاه مصر لاسترجاعها من المسلمين ، فعلم واليها عبد الله بن سعد بن ابي ســرح بأمر هذه الحملة قبل وصولها ، وكتب الى معاوية يستنجده ، فأنجده معاوية بالاسطول الشامي بكامله •

وفي عرض البحر [2] التقى الاسطولان ، الاسطول الاسلامي وعدده (**٢٠٠**) سفينة هي مجموع مراكب معـاوية ومراكب عبد الله بن ســعد ، والاسطول الرومي بمراكبه الخمسمائة • وقد قتل من المسلمين خلق كثير في بادىء الامر ، لجهلهم بالمناورات البحرية التي يجيدها اعداؤهم ، ولكن عبد الله بن سعد أمر بربط السفن مع بعضها لمقاتلة الروم فوق ظهرها كالمقاتلة على سطح اليابسة ، فنفذ المسلمون ما طلب ، والتحموا مع الروم فقاتلوهم بالســيوف والخناجر ، وسرعان مـــا ظهروا عليهم ، فقتلوا من قتلوا منهم وانهزم الباقون •

---

(١) « الجندية في الدولة العباسية » ص ٢٥ ــ ٢٦ ، وتاريخ عمرو بن العاص ص ١٣١ •

(٢) لم يستطع الباحثون والمحققون حتى الآن تحديد مكان المعركة بالدقة •

وقد وصف لنا الطبري هذه المعركة نقلا عن شاهد عيان فقال :
« قال كنت معهم فالتقينا في البحر ، فنظرنا الى مراكب ما رأينا مثلها قط ، وكانت الريح علينا ، فأرسينا ساعة وأرسوا قريبا منا ، وسكنت الريح علينا (٠٠٠٠) ثم قلنا ان أحببتم فالساحل حتى يموت الاعجل منا ومنكم ، وان شئتم فالبحر (٠٠٠٠) وقالوا الماء ، فدنونا منهم فربطنا السفن بعضها الى بعض حتى كنا يضرب بعضنا بعضا على سفنهم وسفننا ، فقاتلنا أشد القتال ، ونبت الرجال على الرجال ، يضطربون بالسيوف على السفن ، ويتواجئون بالخناجر ، حتى رجعت الماء الى الساحل ، تضربها الامواج ، وطرحت الامواج جثث الرجال ركاما (٠٠٠٠) ٠ ثم أنزل الله نصره على أهل الاسلام [1] » ٠

وقد سميت هذه المعركة « ذات السواري » لكثرة سواري المراكب التي التحمت فيها ، وهي ذات أثر حاسم في حياة العرب البحرية اذ أنها كانت أول معركة انتصروا بها ، وأما بالنسبة للروم البيزنطيين فقد كانت ضربة قاضية لاسطولهم ، وانهاء لسيادتهم على البحر الابيض المتوسط ٠

وبعد هذه المعركة تشجع المسلمون على ركوب البحر ، وأخذوا يستعدون لغزو الروم بحريا في عقر دارهم ، ورتبوا لذلك الصوائف والشواتي بأمر الخليفة الاموي الاول ، معاوية بن ابي سفيان ٠ واذا أردنا حقا أن نعيد فضل القوة البحرية العربية لاحد لاعدناها الى معاوية نفسه ، حيث انه هو الذي أصر على الخلفاء للسماح بالغزو بحرا ، وهو الذي أمر ببناء مئات من السفن على أيدي رجال من الروم مهروا في هذه الصناعة٠ ولما توفي سنة ٦٠ هـ (٦٧٩) كان عدد السفن العربية حوالي (١٧٠٠) سفينة ، ترسو في موانئ المتوسط الشامية مثل صور وعكا وطرابلس وغيرها٠

وسار خلفاء معاوية بن أبي سفيان على سنته ، فأكثروا من انشاء

---

(١) الطبري ج ٣ ص ٣٤٠ ـ طبعة مصر ١٩٣٩ ٠

الاساطيل الحربية المجهزة بأحسن الاسلحة والعدد . وقد أوقعت هذه الاساطيل الرعب في قلوب الاعداء بما قامت به من فتوح وغزوات . وأشهر هذه الغزوات البحرية التي تمت في عهد بني أمية :

- غزو معاوية لجزيرة قبرص سنة ٢٩ هـ (٦٤٩ م) .
- غزو معاوية لمضيق القسطنطينية سنة ٣٢ هـ (٦٥٢ م) .
- اشتراك معاوية مع والي مصر بوقعة ذات السواري سنة ٣٤ هـ (٦٥٤م) .
- فتح جنادة بن ابي أمية الازدى رودوس سنة ٥٣ هـ (٦٧٢ م) .
- غزو جنادة القسطنطينية سنة ٥٤ هـ (٦٧٣ م) ، واقامته مع الاسطول العربي سبع سنوات في الجزر القريبة منها .
- فتح طريف الجزيرة التي سميت باسمه في اسبانية سنة ٩٢ هـ (٧١٠م) .
- غزو بشر بن صفوان عامل افريقية جزيرة صقلية سنة ١٠٩ هـ (٧٢٧م) .
- غزو عبد الله بن الحبحاب جزيرة صقلية وفتحه قسما كبيرة منها سنة ١١٦ هـ (٧٣٤ م) .
- فتح حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع جزيرة سردانية سنة ١١٧ هـ (٧٣٥ م) .
- فتح عبد الرحمن بن حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع جزيرة صقلية سنة ١٢٢ هـ (٧٣٩ م) .

ولما انتقل الحكم الى بني العباس ، كانت الدولة العربية قد سيطرت على البحر الابيض المتوسط من جميع جهاته ، حتى أضحى يسمى (بحر العرب) بدلا من (بحر الروم) وهو اسمه السابق .

وقد احتفظ العباسيون بالفتوحات التي قام بها الامويون ، وزادوا عليها من ناحية الشرق ، وقووا موانئهم في المحيط الهندي وخاصة في مدن هرمز ، البصرة ، ماسة ، منجرور ، سيراف ، باب الابواب ، وزودوا هذه الموانيء بالمناور لتراها السفن بالليل . وأشهر الغزوات البحرية التي تمت في زمن العباسيين :

- غزو عبد الله بن حبيب جزيرة صقلية سنة ١٣٥ ﻫ (٧٥٢ م) ٠
- غزو عبد الملك بن شهاب بجيش تعداده عشرة آلاف رجل بلاد الهند، وفتحه مدينة (بارباد) سنة ١٥٩ ﻫ (٧٧٥ م) ٠
- غزو حميد بن معيوف الهمداني جزيرة اقريطش [1] سنة ١٦٠ ﻫ (٧٧٦ م) ٠
- غزو اقريطش ثانية من قبل الغمر بن العباس سنة ١٦١ ﻫ (٧٧٧ م)٠
- غزو زيادة الله بن معروف بن ابراهيم بن الاغلب جزيرة سردانية سنة ٢١٠ ﻫ (٨٢٥ م) [2] ٠
- اعادة فتح صقلية من قبل اسد بن الفرات سنة ٢١٢ ﻫ (٨٢٧ م) ٠
- غزو صقلية مجددا من قبل ابي عفان بن ابراهيم بن الاغلب سنة ٢٢٤ ﻫ (٨٣٨ م) ٠
- فتح مدينة مسيني من قبل الفضل بن جعفر الهمداني سنة ٢٢٨ ﻫ ـ (٨٤٢ م) ٠
- فتح جزر : صقلية ، سردانية ، قوصرة ، ميورقة ، مينورقة ، يابسة[3] مالطة ، وشطوط ايطالية الغربية الجنوبية ، وشطوط فرنسا الجنوبية، في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (أي النصف الثاني من القرن التاسع ميلادي) ٠
- اعادة فتح جزيرة سردانية من قبل مجاهد العامري ، صاحب دانية ، من ملوك الطوائف ، وذلك سنة ٤٠٥ ﻫ (١٠١٤ م) ٠

ولما أتى الفاطميون الى حكم مصر ، واستتب لهم الامر في القسم الشمالي من أفريقية ، اهتم خلفاؤهم بالامور البحرية حتى أصبح عدد

---

(١) اقريطش هو الاسم العربي القديم لجزيرة كريت ٠
(٢) سردانية هو الاسم العربي لجزيرة ساردينيا ٠
(٣) قوصرة هو الاسم العربي القديم لجزيرة كورسيكا ، وأما : ميورقة ، مينورقة ، يابسة فتدعى اليوم جزر الباليار ، وتعود ملكيتها لاسبانية ٠

سفن الاسطول الفاطمي في عهد المعز لدين الله ٦٠٠ سفينة ، وقد أنشأوا لهذه السفن وجنودها ديوانا خاصا أطلقوا عليه اسم « ديوان العمائر » ، بعد أن كانت الامور البحرية توكل لفرع من ديوان الجند منذ عهد الامويين • بل ان الخلفاء الفاطميين ، لكثرة اهتمامهم بالاسطول ، كانوا يستعرضون سفنه بأنفسهم عند انطلاقها الى الغزو أو الى الرحلات البعيدة • وقد حدثنا القلقشندي [1] عن كيفية القيام بهذا الاستعراض ، فذكر أن الخليفة كان يخرج مع الوزير الى ساحل النيل بالمقسم ، فيجلس في منظره كانت بجانب باب البحر ، ومعه الوزير ، ويأتي القواد بالمراكب الى تحت هذه المنظرة ، حيث يحضر « المقدم » و « الريس » [2] بين يدي الخليفة ، فيوصيهما ويدعو لهما بالسلامة ، ويأذن لهما بالانصراف ، ثم تنحدر المراكب مارة أمام الخليفة ذهابا وايابا كما هو الامر في حالة القتال •

واشهر الغزوات البحرية في زمن الفاطميين ، هي تلك الغزوة التي سيرها الخليفة القائم سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٤ م) ، ففتحت مدينة « جنوة » وجزيرة « سردانية » •

وقد ظل الفاطميون أسيادا للبحر الابيض المتوسط حتى ضعفت دولتهم ، فخرجت جزيرة صقلية من يدهم سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) ، ثم تبعتها بقية جزر البحر المتوسط وموانئه ، بعد أن قويت الدول الافرنجية المحيطة بهذا البحر واستردت ما فقدته •

---

(١) صبح الاعشى – ج ٣ – ص ٥٢٣ •

(٢) كان هناك قائدان لكل سفينة عربية : قائد تعبوي ويدعى « المقدم » أو القائد أو أمير المساء Amiral ومهمته أن يدبر أمر أسلحة الاسطول وحربه ومقاتلته • وهناك قائد فني ويدعى « الربان أو الريس » وهو رئيس النوتية ، وعليه أن يدبر قيادة الاسطول بالريح أو المجاذيف وارسائه في المرفأ • وبالاضافة الى هذين الاثنين كانت كل سفينة تحوي :

– المنادي : ومهمته تبليغ أوامر الربان الى الملاحين بصوته •

– البحارة : وهم جنود البحر • ويطلق على جميع هؤلاء « الاسطوليون » •

هذا في الشرق ، وأما في الاندلس فقد قوي الأسطول العربي بشكل ملحوظ ، وخاصة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر « ٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ »، (٩١٢ ـ ٩٦١ م) ، حيث قارب عدد سفنه (٢٠٠) سفينة ، وكانت هذه السفن تتردد على مرفأين رئيسين أحدهما في بجاية والآخر في المرية .

وأشهر قادة الاسطول العربي في الاندلس ، في القرن السادس الهجري ، هو « أحمد الصقلي » ، الذي انتهت أساطيل المسلمين في أيامه الى ما لم تبلغه قبله ولا بعده ، وذلك بتوجيه من السلطان الموحدي يوسف ابن عبد المؤمن .

واذا عدنا الى المشرق ، نرى أن الاسطول العربي ظل متأخرا في الفترة الاولى لحكم المماليك ، وقد ظل الامر كذلك حتى تولى الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، سلطان المماليك الشهير ، فأعاد شأن الاساطيل ولكنها لم تصل الى ما كانت عليه سابقا .

وقد بذل خلفاء الظاهر جهدهم في الدفاع عن مصر ، ولما لاحظوا أن سفن الافرنج تأتي من النيل عن طريق المتوسط ، أخذوا يبنون أبراجا من الخشب على ضفتي هذا النهر ، ويوصلون بينها بسلاسل الحديد لتمنع سفن الفرنج من المرور ، وكانوا يطلقون على هذه السلاسل اسم « المآصر » .

وقد ظل العرب يهوون ركوب البحر ، حتى في عصر انحطاط دولتهم ، حيث نجد في القرن الخامس عشر واحدا منهم يعتبر أعظم رجل في علم الملاحة في فترة القرون الوسطى ، وهو الربان « أحمد بن ماجد » ، الذي قاد الملاح البرتغالي فاسكو دي غاما في بحار الهند ، والذي يعود اليه الفضل في اختراع كثير من آلات وأدوات الملاحة ذكرها في كتابه المسمى « الفوائد في أصول البحر والقواعد » ، الذي لا يزال يعتبر أحد المراجع المهمة في علم الملاحة حتى يومنا هذا .

ويمكننا أن نقول كخلاصة : ان العرب رغم أنهم يدينون للبيزنطيين

بفضل تعليمهم فنون البحر ، فانهم قد تفوقوا بعد مدة قصيرة على أساتذتهم ، وأصبحوا سادة اوروبة بهـــذا الفن ، حتى أن كثـــيرا من الاصطلاحات البحرية المستعملة في جنوب أوروبة تحتفظ بعربيتها حتى اليوم •

صناعة السفن العربية :

لما اتى عبد الملك بن مروان الى كرسي الخلافة ، بعث الى حسان بن ثابت ، عامله على أفريقية ، يأمره بانشاء دار لصناعة السفن في تونس فكانت هذه أول « دار صناعة » في الاسلام [1] •

ثم تابع الامويون بناء دور الصناعة في شتى بقاع الدولة العربيـــة ، وأهمها تلك التي انشئت في جزيرة الروضة (بمصر) سنة ٥٤ للهجرة ، (٦٧٣ م) وأخرى في مدينة بيروت ، وثالثة في مدينة عكا ، ورابعة في مدينة صور ، وأنشئت دور اخرى في غير هذه المرافيء •

وقد اهتم العباسيون بانشاء دور الصـــناعة أيضـــا وذلك في أحواض المتوسط والمحيط الهندي ، كما انه تم بناء اثنتين منها على النيل ، من قبـــل عنبسة بن اسحاق بأمر من الخليفة العباسي المتوكل على الله •

وزاد انتاج دور الصناعة القديمـــة في عهد الفاطميين ازديادا ملحوظا ، وانشئت دور جديدة في كل من القاهرة القديمـــة ، المقس ، دميـــاط ، الاسكندرية ، طرابلس الغرب ، سوسة •

كما تولى خلفاء الاندلس الامويون ، ومن تبعهم من ملوك الطوائف ، انشاء دور لصناعة السفن في كل من الموانيء التالية : الجزيرة الخضراء ، دانية ، سبتة ، طنجة ، الرباط ، الصويرة (موغادور) •• وغيرها ••

فاذا حاولنا معرفة الطريقة التي كانت تتبع في صناعة السفن اكتشفنا أن العرب قد صنعوا نوعين من السفن :

---

(١) لقد دخل لفظ « دار الصناعة » اللغات الاوربية ، حيث نجده في اللغة الاسبانية بكلمة Darcinah ، وفي اللغة الفرنسية بكلمة Arsenal ، ثم دخل اللغة التركية نقلا عن الاسبانية بكلمة (ترسخانة) ، وعاد الى اللغةالعربية ثانية بكلمة [ترسانة)•

- سفن خاصة بالعمل في البحر الابيض المتوسط .

- وسفن أخرى للعمل في البحر الاحمر والمحيط الهندي .

ويختلف كل من هذين النوعين عن الآخر بشكل السفينة وحجمها والمواد التي استخدمت في صنعها وغير ذلك من الفوارق :

- فمن ناحية الشكل نجد أن بعض السفن صنع على أشكال الطيور ، كالنسر والعقاب ، وبعضها الآخر على شكل الاسماك والحيتان والحيات والاسود وغير ذلك. ونجد هذه الاشكال أكثر تناسقا ودقة في سفن المتوسط منها في سفن البحر الاحمر والمحيط الهندي .

- ومن ناحية الحجم باستطاعتنا أن نقول ان سفن البحر الابيض المتوسط كانت أكبر جرما من سفن البحر الاحمر والمحيط الهندي .

- واما من ناحية مواد الصنع فاننا نلاحظ أن سفن المتوسط اعتمدت على التثبيت بالمسامير أكثر من اعتمادها على التثبيت بطريقة التلبيس بالغراء ، بينما نجد سفن البحر الاحمر والمحيط الهندي تتصف بعكس ذلك .

كما أن سفن المتوسط كانت تصنع من خشب الارز الذي يحمل من جبال لبنان ، أو من مدينة « العلايا » الواقعة على ساحل بحر الروم في الاناضول . وفي القرن الرابع أخذت مدينة البندقية تمد العرب بالخشب لبناء السفن ، وهذا ما جعل الامبراطور البيزنطي يحتج لدى « دوج البندقية » [1] ، فأمر هذا بوقف بيع الخشب الذي يصلح لبناء السفن للتجار العرب .

أما أخشاب سفن البحر الاحمر والمحيط الهندي فانها كانت تحمل من بلدة قديمة بنواحي الصعيد على الضفة الشرقية للنيل ، وتدعى « أنصنا » ،

---

(١) كان يطلق على حاكم البندقية في ذلك الوقت اسم « الدوج » .

أو من مناطق أخرى في صعيد مصر حدثنا عنها ابن مماتي في « تاريخه » بقوله :

« الحراج وهي في الوجه القبلي من الديار المصرية بالبهنسا في سفط رشين ، وشبطال ، بالاشمونين ، والسيوطية ، وبالخميمية ، وبالقوصية ، ولم تزل الاوامر السلطانية خارجة بحراستها وحمايتها والمنع منها والدفع عنها ، وأن توفر على عمائر الاسطول المظفرة ، ولا يقطع منها الا ما تدعو اليه الحاجة وتوجده الضرورة » •

كما أن أشجار هضبة عمان وجبال فارس كانت تقطع ليصنع منها خشب السفن التي تجري في المحيط الهندي بين بلاد العرب والصين •

أنواع السفن العربية :

بعد ان تحدثنا عن كيفية صناعة السفن العربية ، لا بد لنا من ان نلقي ضوءا على أنواع السفن التي عرفها العرب على مر العصور ، وها هي مرتبة حسب تسلسل الاحرف الابجدية [1] :

١ ـ البوصي :

ضرب من سفن البحر وهو معرب •

٢ ـ البارجة

عربها العرب عن كلمة « بيرة » الهندية ، وهي سفينة حربية كبيرة ، ثم أصبح العرب ينعتون بكلمة « بارجة » السفن الكبيرة المكشوفة المعدة للقتال •

٣ ـ البطسة :

نوع من المراكب أخذه العرب عن الصليبيين ، وبه مكان يخصص لحمل المنجنيق والمقاتلة والسلاح ، ولعله مأخوذ عن كلمة Boats الانجليزية •

---

(١) ان التعاريف الواردة في هذا البحث مستقاة من كتاب السيد محمد ياسين الحموي (تاريخ الاسطول العربي) ، ومن كتاب البكباشي عبد الرحمن زكي (السلاح في الاسلام) •

٤ ـ **الجلاسة :**

معربة عن كلمة (Galéasse) الفرنسية ، وهي سفينة كبيرة تسير بالشراع والمجاذيف (١)

٥ ـ **الحراقة :**

جمعها حراقات وحراريق ، وهي نوع من السفن توجد فيها أسلحة نارية ومجانيق وعرادات يرمى بها العدو في البحر . وقد قال المستشرق « دوزي » عنها في قاموسه : « هي نوع من السفن الحربية ، ومن أنواعها ما كان معروفا في صدر الدولة العباسية يجري في نهر دجلة للنزهة والنقل ، وكان للخليفة محمد الامين خمس حراقات على نهر دجلة في صورة الاسد، والخيل ، والعقاب ، والحية ، والفرس » . ويقابلها بالفرنسية Brulôt

٦ ـ **الحمالة :**

جمعها حمالات ، وهي مراكب حربية تحمل الازواد للرجال ، ويكون فيها غلمان الخيالة وصناع المراكب . ومثلها المراكب الديوانية ، التي تحمل الغلات السلطانية .

٧ ـ **الخلية :**

جمعها خلايا ، وهي السفينة العظيمة التي تسير من غير أن يسيرها الملاح . او التي تسير ويتبعها زورق صغير .

٨ ـ **الزورق :**

ضرب من سفن البحر الصغيرة .

٩ ـ **السفينة**

هي المركب الجاري ، وردت في القرآن وفي الشعر الجاهلي ، وجمعها سفائن وسفن وسفين ، ويدعى صانعها « سفان » .

---

(١) السلاح في الاسلام ـ ص ١٩ .

١٠ ـ السنبوك :

جمعه سنابك ، وهو القارب الصغير الذي يعمل قرب ساحل البحر ، وشاع استخدامه في سواحل الجزيرة العربية •

١١ ـ السميرية :

جمعها سميريات ، وهي ضرب من السفن البحرية ، او النهرية ، عرفت في أواخر القرن الثالث للهجرة ، لنقل آلات الحرب والسلاح والمقاتلة والرماة والملاحين ، وكان بها حوالي أربعين مجدافا •

١٢ ـ الشونة والشيني

الشونة جمعها شواني ، وهي المركب المعد للجهاد في البحر ، ويجهز في أيام الحرب بالسلاح والنفطية ، ويحشد بالمقاتلة أو الجنود البحرية •

أما الشيني فهو المركب الطويل ، وكان هذا النوع أهم القطع التي يتألف منها الاسطول الاسلامي لانها أكبر السفن وأكثرها استعمالا لحمل المقاتلة للجهاد ، وكانوا يقيمون فيها ابراجا وقلاعا للدفاع والهجوم ، وكان متوسط ما يحمله الشيني الواحد ١٥٠ رجلا ، ويجدف بمائة مجداف ، وظل اسم الشيني معروفا في الملاحة ، حتى أيام الدولة العثمانية •

١٣ ـ الشلندي :

جمعها شلنديات ، وهي مراكب حربية مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح، وتعادل في أهميتها الشونة والحراقة ، لها ساريتان أو ثلاث ، يبلغ طولها ١٩٥ قدما ، وعرضها ٣٣ قدما ، وحمولتها ٦٠٠ شخص • وكان الافرنج يستعملونها أولا لنقل البضائع ويطلقون عليها باللاتينية Chelandsum ثم بعد اختراع البارود أصبحوا يجهزونها بـ ٤٢ مدفعا • وقد استعملها العرب وسموها « شلندي » ، ثم حرفوا هذه الكلمة الى « صندل » •

١٤ ـ الشباك

الشباك مراكب حربية صغيرة الحجم تستخدم عادة في البحر الابيض المتوسط ، وقد استعملها الاسبان واطلقوا عليها اسم Jabecque .

١٥ ـ الشذاة :

نوع من السفن ، والجمع شذوات ، وقد ذكر ابن الاثير وصفا لهذا النوع من السفن ، فقال انها كانت تسقف بالاخشاب ويعمل عليها بالجبس وتطلى بالادوية التي تمنع النار من احراقها ، ويرتب النفاطون داخلها يرمون بالنفط .

١٦ ـ الطراد أو الطرادة أو الطريدة :

مركب حربي صغير الحجم ، سريع السير ، أكثر شبها بالبرميل الهائل من السفينة ، كان يستخدم لنقل الخيل من مكان الى آخر بحرا ، وأكثر ما يحمل فيه أربعون فرسا ، وقد أخذ الافرنج من العرب هذه التسمية فعرفت بالاسبانية باسم Tarida وبالفرنسية باسم Tartan .

١٧ ـ العدولية :

أقدم السفن العربية لدى العرب ، وردت في شعر طرفة بن العبد الشاعر الجاهلي [١] ، وهي سفينة منسوبة الى قرية في البحرين يقال لها عدولي ، وبعضهم يقول : عدولي قبيلة من قبائل العرب ، والعدولي هو الملاح .

١٨ ـ العشاري :

(ج عشاريات) ، وهي من توابع الاسطول ، كان يسار بها فى النيل لنقل البضائع من ساحل الى آخر ، وللواحد منها عشرون مجدافا . ومنها ما كان خاصا برسم الخليفة ، ومنها ما هو برسم ولاة الاعمال والمفتشين . والعشاريات تسمية « مصرية » محضة يقابلها عند أهالي العراق « الشبارة » .

١٩ ـ العكيري :

مركب يسع ستين مجدافا ، ويسقف وقت القتال حتى لا ينال الجدافين شيء من الاسهم والحجارة التي يرميهم بها العدو .

---

(١) كأن حدوج المالكية غدوة ... خلايا سفين بالنواصف من ود
عدولية أو من سفين ابن يامن ... يجور بها الملاح طورا ويهتدى
يشق حباب الماء حيزومها بها ... كما قسم الترب المقابل باليد

٢٠ ـ العمارة :

تطلق هذه الكلمة على طائفة من السفن الحربية تكون معا •

٢١ ـ الغراب :

جمعها أغربة ، كانت معروفة عند القرطاجيين والرومان وغيرهم من أمم تلك العصور ، وبقيت الى زمن الدولة العثمانية ، ولم يتغير شكلها ، ولا يبعد أن يكون اسمها مأخوذا من اسم الغراب لان مقدمتها على شكل رأسه كما كانت العادة في صنع السفن • ويقابل هذا النوع من السفن ما يسمى بالفرنسية Galère [١] وكان هذا النوع من السفن يسير بالقلاع ، كما كان يسير بعدد من المجاديف لا يتجاوز ١٨٠ مجدافا ، ومن خصائصه انه كان مزودا بجسر من الخشب يهبط على مركب العدو ويمر على ظهره الجند فيقاتلون بالاساليب البرية ، وقد جعلته هذه الميزة يستخدم من قبل لصوص البحر في العصور الاخيرة •

٢٢ ـ الغليون :

جمعها غلايين ، وهذه الكلمة مشتقة عن الفرنسية Galion أو الايطالية Galéone [٢] •

٢٣ ـ القارب :

سفينة صغيرة تكون مع أصحاب السفن البحرية ، تستخف لحوائجهم ، فهي من توابع الاسطول ، معروفة عند العرب منذ صدر الاسلام •

٢٤ ـ القرقور :

جمعها قراقير ، وهي من السفن العظيمة التي تحمل الزاد والتجهيزات للاسطول ، واسمها بالاسبانية Caraca .

٢٥ ـ القبق :

جمعها قباق ، وهي من أعظم سفن الحرب ، وكانت الواحدة منها تحمل مائة وستة وثلاثين مدفعا كبيرا وتتسع لزهاء ألف من الجنود ، وقد حلت محلها الدارعة Cuirassé في الاساطيل البحرية الحديثة •

---

(١) و (٢) انظر كتاب « السلاح في الاسلام » لعبد الرحمن زكي ـ ص ٤٣ ـ ٤٥ •

٢٦ ـ الماعونة :

مركب حربي من مراكب الاساطيل الاسلامية ، وقد انتقلت الى الايطالية باسم Mahona .

٢٧ ـ المسطح :

جمعها مسطحات ، وهي من اكبر سفن الاسطول الاسلامي ، وكانت تجر في البحار خلف السفن الصغيرة لئلا تغرق هذه في واديها ، ويقال لها بالاسبانية Mestech ، وبالبرتغالية Mistico .

٢٨ ـ المرمة

جمعها مرماة ، وهي نوع من السفن الكبار .

٢٩ ـ تسميات أخرى :

وكان هناك تسميات أخرى للسفن ، منها المترادفة ومنها المتميزة ، وأشهر هذهالتسميات : الاهورة ـ الاعواديات ـ الاغراري ـ الآمد او الآمدة ـ البركوشات ـ الجفن ـ الجراب ـ الجفل ـ الحمائم ـ الخن ـ الخليج ـ الدسراء ـ الزخارف ـ الزيزاب ـ السانحات ـ العلابيات ـ العجوز ـ الغارب ـ الفلك ـ القادس ـ الكاره ـ المعبدة ـ المزراب ـ المصباب ... وغيرها ...

تجهيز السفن العربية وأسلحتها :

كان العرب يبنون سفنهم على أمثلة سفن اليونان والرومان ، لانهم أخذوا هذه الصناعة عنهم وعدلوها .

وكان هيكل كل سفينة يتألف من :

ـ الدقل : سهم السفينة وأصله الاول

ـ الجؤجؤ : صدر السفينة

ـ الكوثل : ذنب السفينة

وكانت كل سفينة تجهز بلوازم الملاحة مثل :

ـ القلع : الشراع والجمع قلاع

ـ المجداف : ما تجدف به السفينة •

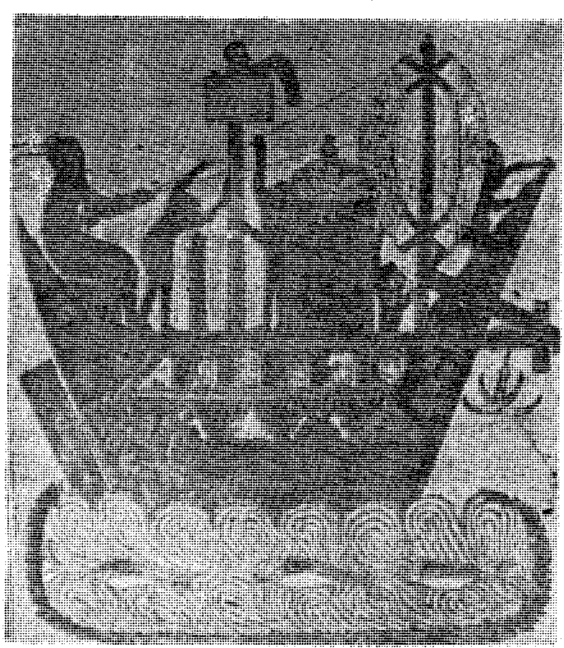
ـ السكان : دفة السفينة التي تديرهـا ذات اليمين وذات الشـمال ، وتسمى بالفرنسية Gouvernail .

ـ الانجر : معربة عن الكلمة الفرنسية L'ancre ، وهي خشبات يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كالصخرة اذا رست رست السفينة [1] •

ـ القلس : حبل ضخم من ليف أو خوص لشد السفينة ، ويسمى أيضا « الجمل » •

ـ الدسار : واحد الدسر ، وهي خيوط تشد بها ألواح السفينة •

ـ الحك : وتسمى البوصلة Boussole في عصرنا هذا • وقـد



الشـكل رقم ٥٢

سفينة عربية قديمة (نقلا عن كتاب التمدن الاسلامي)

(١) انظر الشكل رقم ٥٢ الذي يصور سفينة عربية نقلا عن مخطوط عربي قديم •

كانت هذه الآلة في العصور السالفة على شكل وعاء صغير فيه ماء تطفو على سطحه قطعة من الفلين او الخشب ، وقد وضع فوقها ابرة ممغنطة تشير الى اتجاه ثماني نواح من مهاب الرياح . وحيث أن طرف هذه الابرة ممغنط فهو يتجه دائما الى جهة الشمال ، وهي لذلك ذات فائدة كبرى في تعيين اتجاه السفن في البحر .

- الغريفة : وهي قمرة صغيرة في أعلى عمود السفينة ، يجلس فيها حارس يراقب البحر ، فاذا شاهد احدى سفن العدو أعلم عنها .

وبالاضافة الى هذه اللوازم الملاحية ، كانت كل سفينة تحوي تجهيزات معينة للقتال ، وهذه التجهيزات هي الاسلحة الفردية والجماعية التي تكلمنا عنها سابقا ، وتجهيزات أخرى للقتال خاصة بالسفن مثل :

اللجام :

أداة من حديد « طويلة محدودة الرأس ، وأسفلها مجوف كسنان الرمح ، تدخل من أسفلها في خشبة كالقناة بارزة في مقدم المركب يقال لها الاسطام ، وكانوا يطعنون بها جانب مراكب العدو بقوة فيخرقونها » (١) .

التوابيت :

صناديق مفتوحة من أعلاها ، وموضوعة في أعلى السفن ، يصعد اليها الرجال ومعهم حجارة صغيرة في مخلاة معلقة بجانب الصندوق، فيرمون العدو بالاحجار وهم مستورون بالصناديق .

وقد يرمون منها قوارير النفط لاحراق سفن العدو ، أو جرارا مملوءة بمسحوق النورة تعمي رجال العدو بغبارها ، أو قدور الصابون السائل لتزلق أقدامهم فيسقطون في البحر .

---

(١) انظر كتاب « الجندية في الدولة العباسية » ـ ص ١٧٦ .

وكانوا في بعض الاحيان يستعيضون عن التـوابيت بالعرادات [1] التي ترمي قدورا ملآى بالسدر والخطمة الرقيقين المخلوطين بدق الصابون، حيث يختم رأس هذه القدور وتقذف على سفن العدو فتنكسر ويسيل ما فيها على أرض السفينة المعادية ، فتقوم بدور «قنابلالانزلاق» اذا جازت هذه التسمية • وبعد قنابل الانزلاق هذه ، كانوا يرمون على سفن العدو بقدور من الفخار تعرف عندهم باسم (قدور المركب) فكانوا يضعون فيها حيات عتاق وعقارب وترسل على العدو فتنكسر وينتشر ما فيها ، ويزيد من هول فعلها في السفن ضيق المكان وعدم القدرة على الثبات فوق أرضه •

الكلاليب :

وهي سلاسل تحوي في رؤوسها خطاطيف ، تشـبه ما يستخدم لدى بائعي اللحم في هذه الايام • وكان الاسطوليون العرب عندما يلتقون بمراكب الاعداء يلقون عليها هذه الكلاليب فيوقفونها ، ويشدونها اليهم ، ثم ينصبون عليها ألواحا كالجسور يمرون فوقها ليقاتلوا جند العدو بالسلاح الابيض وكأنهم في البر •

الباسليقات :

تشبه الكلاليب في صنعها ووظيفتها مع فارق بسيط وهو أن الباسليقات تحوي في رؤوسها كرات حديدية بدلا من الخطاطيف •

هذا بالنسبة للاسلحة والمعدات الهجومية في السفن ، وأما المعـدات الدفاعية فقد كانت كثيرة ، وأهمها تلك الفؤوس الضخمة التي كانوا يقطعون بها سلاسل الكلاليب والباسليقات التي يرميها العدو على مراكبهم •

وبالاضافة الى ذلك كانوا يعلقون حول المركب الجلود واللبود المبلولة بالخل او الماء لدفع النفط [2] • وقد يحتاطون لذلك بدهن الجزء الظاهر من

---

(١) العرادات هي المجانيق الصغيرة ، كما ذكرنا آنفا •

(٢) راجع « آثـار الاول في تدبير الدول » ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧ ، حيث يوجد وصف دقيق جدا لطريقة قتال السفن ، والتجهيزات المستعملة لذلك •

خشب السفينة بالطين المخلوط بالبورق والنطرون ، أو الخطمي المعجون بالخل ، لان هذه المواد تقاوم فعل النفط .

وكان من تدابيرهم الدفاعية البحرية ، أنهم اذا جن الليـل كانوا لا يشعلون في مراكبهم نارا ، ولا يتركـون فيهـا أي نوع من الحيوانات التي تحدث أصواتا تسمع من مسافة بعيدة ، وكانوا اذا أرادوا المبالغة في الاختفاء والتمويه يسدلون على مراكبهم قلوعا زرقاء بلون ماء البـحر كيـلا تظهر من بعـد .

* * *

وبهذا نكون قد انهينا البحث في صنوف الجيش العربي القديم ، تلك الصنوف التي لا تكاد تختلف عن صنوف الجيش الحديث الا بفقدان السلاح الجوي في ذلك العهد ، حيث كان يجب انتظار بداية القرن العشرين لكي يظهر هذا السلاح الى حيز الوجود .

الفصل التاسع

تشكيلات الجيش العربي القديم

لعله من الافضل قبل البـدء في بحث تشكيلات الجيش العربي ، أن نورد بعض أسماء هذه التشكيلات ونعرفها لغويا ، ليكون القارىء على معرفة بمعناها عند ورودها في صلب البحث •

واذا عدنا الى أي كتاب في فقه اللغة ، فبوسعنا أن نستخلص منـــه أسماء الوحدات العسكرية التي عرفها العرب ، ورتبة قائدها ، وتعداد جندها ، وهذه المعلومات هي ما نطلق عليه في عصرنا الحاضر « التشكيلات » •

فاذا اتخذنا كمرجع مثلا ، كلا من كتابي « تهذيب الالفاظ » لابن السكيت ، و « حلية الفرسان وشعار الشجعان » لابن هذيل ، فاننا نستخلص منهما الالفاظ التالية :

- الرهط : هو ما بين الخمسة الى العشرة من الجند •
- الحضيرة : النفر يغزى بهم العشرة فمن دونهم •
- المقنب : ما بين الثلاثين الى الاربعين ، وكذلك المنسر •
- الهيضلة : الجماعة يغزى بهم ليسوا بكثير •
- الكتيبة : ما جمع فلم ينتشر •

- الأرعن : الجيش الكثير الذي له مثل رعن الجبل .
- الخميس : الجيش الذي هو أكثر من الكتيبة .
- العراجلة : الجماعة من الرجالة .
- السربة : ما بين عشرين فارسا الى ثلاثين .

وفي أسماء العساكر [1] :

- الجريدة : وهي التي تجرد من سائر الجيش لوجه من الوجوه . وكذلك الفصيلة لانها تفصل من الجيش .
- السرية : وهي من خمسين الى أربعمائة .
- الكتيبة : وهي من أربعمائة الى ألف .
- الجيش : وهو من ألف الى أربعة آلاف ، وكذلك الفيلق والجحفل.
- الخميس : وهو من أربعة آلاف الى اثني عشر الفا ، وسمي خميسا لانه مؤلف من خمس فرق وهي : المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب .
- العسكر : ويجمعها كلها

وبما أن تشكيلات الجيش العربي القديم قد اختلفت باختلاف الازمنة والامكنة ، ولذا فاننا سنقسم بحثنا الى خمسة أقسام :

- تشكيلات الجيش في الجاهلية وصدر الاسلام .
- تشكيلات الجيش في الدولة الاموية وصدر الدولة العباسية .
- تشكيلات الجيش في القرن الثالث الهجري .
- تشكيلات الجيش في ظل الدولة الفاطمية .
- تشكيلات الجيش في الدولتين الايوبية والمملوكية .

آ ـ تشكيلات الجيش في الجاهلية وصدر الاسلام :

لم يكن عند عرب الجاهلية « جيش » بالمعنى الذي نفهمه اليوم من

---

(١) راجع كتاب « فقه اللغة » للثعالبي ـ ص ١٧٧ ، طبعة مصر ١٣١٧ هـ ، وكتاب « نهاية الأرب » للنويري ـ ج ٦ ، ص ١٨٩ ، بالاضافة الى المرجعين المذكورين أعلاه .

هذه الكلمة ، ولذا لم يكن عندهم تشكيلات أو رتب عسكرية ، بل كان كل أمير قبيلة يقود أفرادها الى الغزو والقتال ، فاذا احتاج الامير الى من ينوب عنه لقيادة فصيلة أو مفرزة بمهمة ما ، ولى رجلا كانوا يسمونه « المنكب » ، ويلي المنكب في المرتبة « العريف » ، حيث أن المنكب كان يقود خمسة عرفاء كل منهم يرأس نفرا من الرجال (والنفر من ٣ ــ ١٠ رجال) • وظل العرب في أوائل الاسلام على نحو ما كانوا عليه في الجاهلية ، فقسموا الجند الى عشرات ، وسلموا كل عشرة رجال الى عريف ، وسلموا قيادة العرفاء الى أناس من أهل السابقة في الاسلام أو في النفوذ أو في الشجاعة[1] •

ثم لما اتسعت الفتوحات ، وازداد عددالجند ، أصبح من المتعذر الاكتفاء بهذه التشكيلات البسيطة ، ولذا فقد جعلوا لرتبة العريف ثلاث طبقات : الاولى ممن يستلمون قيادة ٢٠ جنديا ، والثانية ممن يستلمون قيادة ٣٠ جنديا ، والثالثة ممن يستلمون قيادة ٤٠ جنديا • وكان يقود هؤلاء العرفاء زعماء يقال لهم « امراء الاسباع » ، يتولون تفريق العطاء في العرفاء ، والعرفاء يفرقونه في الجند أو يدفعونه الى أهل الجند في دورهم [2] •

ب ـ تشكيلات الجيش في الدولة الاموية وصدر الدولة العباسية :

أصبح لدى العرب جيش منظم منذ أوائل حكم الدولة الاموية تقريبا ، ولذا صار الامراء والقواد يتفاوتون في رتبهم ، وتجري بينهم سلسلة القيادة على الوجه التالي :

- أمير الجيش : يقود فوق العشرة آلاف جندي •
- خليفة الامير : ينوب عنه ، ويتمتع بصلاحياته نفسها •

---

(١) يروي الطبري في حديثه عن معركة القادسية ان سعداً بن ابي وقاص « عرف العرفاء ، فعرف على كل عشرة رجلا ، كما كانت العرافات أزمان النبي صلى الله عليه وسلم » (تاريخ الامم والملوك ــ ج ٤ ــ ص ٨٧) •

(٢) الطبري ــ ج ٤ ــ ص ١٩٤ •

- أمراء التعبية : وهم أمراء الميمنة والميسرة والقلب والمقدمة والساقة ، ويقود كل منهم خمسة آلاف جندي فما أكثر .
- خلفاء أمراء التعبية : ينوبون عن الامراء ، ويتمتعون بصلاحياتهم نفسها .
- أمراء الكراديس : يقود الواحد منهم كردوسا كاملا ، أي حوالي ١٠٠٠ جندي .
- القواد : ويقود الواحد منهم ١٠٠ جندي فما أكثر .
- أمراء الاعشار : ويقود الواحد منهم ما بين ١٠ ـ ٩٠ جندي .
- العرفاء : ويقود الواحد منهم عشرة جنود .

وقد ظلت هذه التشكيلات متبعة حتى بدء عصر المأمون تقريبا .

ج ـ تشكيلات الجيش في القرن الثالث الهجري :

ونتيجة لحركة الترجمة والاقتباس التي ازدهرت في عصر المأمون بتشجيع منه ، وحبا في الاخذ بنظام يؤمن سهولة السيطرة وما يستتبعها من تسهيل الشؤون الاداريه والتعبوية ، أخذ قادة الجيش العربي حينذاك بالنظام العشاري في تشكيلات الجيش ، وذلك بأن تتشكل الوحدة الصغرى من عشرة رجال ، والوحدات الاكبر من مضاعفات هذا الرقم .

وقد اقتبس هذا النظام عن الجيش البيزنطي ، ودعي باسم (النظام العياري) لان أول من استخدمه هم « العيارون » ، ثم طبق في بقية صنوف الجيش .

ويضم النظام العياري التشكيلات التالية :

- العريف : يقود عشرة جنود .
- النقيب : يقود مائة جندي فيهم عشرة عرفاء .
- القائد : يقود الف جندي فيهم عشرة نقباء ومائة عريف .
- الامير : يقود عشرة آلاف جندي فيهم عشرة قواد ومائة نقيب وألف عريف .

ومن مقارنة هذا النظام بالنظام البيزنطي يظهر الشبه الكبير القـائم بينهمـا [١] •

د ـ تشكيلات الجيش في الدولة الفاطمية :

لم نعثر ، رغم التفتيش والبحث الطويلين ، على أيـة مراجع تبين التشكيلات التي كان عليها جيش المعز لدين الله ومن تبعه من سلاطين الدولة الفاطمية ، فالمراجع عن الجيش الفاطمي أغلبها أجنبية ومفقودة ، والمراجع العربية لا تبحث بصراحة في هذا الموضوع •

وحيث أن المؤرخ الكبير المرحوم محمد كرد علي قد ذكر في كتابـه « خطط الشام » احدى التعبيات التي كانت تتبع في حرب الكراديس عنـد العرب ، وحيث أن الجيوش الفاطمية كانت تعبأ بطريقة الكراديس في أغلب الحروب التي خاضتها ، ولذا فاننا سنقدم هنا هذه التشكيلات كمجرد فرضية يدعمها المنطق ، ولكن تعوزها الادلة التاريخية [٢] •

تبدأ التشكيلات ، حسب رأي العلامة كرد علي ، بوحدة صغيرة هي « الصف » الذي يحوي (١٦) رجلا ، وتنتهي « بالعسكر الاعظم » الذي يحوي (١٦٣٨٤) رجلا ، وبين الصف والعسكر توجد الوحدات التالية :

ـ العصبة : ويقال لقائدها «صاحب العصبة»، وتحوي صفين أي ٣٢ رجلا•

---

(١) كانت التشكيلات البيزنطية في ذلك الوقت حسب النظام التالي :
ـ البطريق : يقود عشرة آلاف جندي يقسمون الى قسمين ، يقود كل منهما «طومارخان»•
ـ الطومارخان : يتولى قيادة خمسة آلاف جندي ، وتحت امرته خمسة « درنجارية » •
ـ الدرنجاري : يقود الف جندي ، وتحت امرته خمسة « قوامس » •
ـ القومس : يتولى قيادة ٢٠٠ جندي •
ـ القمطرخ : هو تحت القومس ويتولى قيادة مائة جندي •
ـ الدامرخ : هو تحت القمطرخ ، ويكون تحت امرته عشرة جنود •
(لزيادة التوسع في تشكيلات الجيش البيزنطي : راجع كتاب « تاريخ التمدن الاسلامي » ج ١ ـ ص ١٤٣ ، وكتاب « الجندية في الدولة العباسية » ـ ص ١٢٣ ، وكتاب الدكتور أومان : A History of The Art of War in the M. Ages - P. 193)

(٢) خطط الشام ـ الجزء الخامس ـ ص ١٠ و ١١ •

- المقنب : ويقال لقائده « صاحب المقنب » ، ويحوي أربعة صفوف أي ٦٤ رجلا •
- الكردوس : ويقال لقائده « رئيس الكردوس أو صاحب المائة » ، ويحوي ثمانية صفوف أي ١٢٨ رجلا •
- الجحفل : ويقال لقائده « رئيس الجحفل » ، ويحوي ستة عشر صفا أي ٢٥٦ رجلا •
- الكوكبة : ويقال لقائدها « رئيس الكوكبة » ، وتحوي اثنين وثلاثين صفا أي ٥١٢ رجلا •
- الزمرة : ويقال لقائدها « صاحب الزمرة » ، وتحوي أربعة وستين صفا أي ١٠٢٤ رجلا •
- الطائفة : ويقال لقائدها « رئيس الطائفة » ، وتحوي مائة صف وثمانية وعشرين صفا أي ٢٠٤٨ رجلا •
- الجيش : ويقال لقائده « قائد الجيش » ، ويحوي مائتي صف وستة وخمسين صفا أي ٤٠٩٦ رجلا •
- الخميس : ويقال لقائده « رئيس الخميس » ، ويحوي خمسمائة صف واثنتي عشر صفا أي ٨١٩٢ رجلا •
- العسكر الاعظم : ويقال لقائده « رئيس العسكر » ، ويحوي الف صف وأربعة وعشرين صفا أي ١٦٣٨٤ رجلا •

وهذه التشكيلات كما نلاحظ تشكيلات عربية صرفة مبنية على مضاعفات الرقم (١٦) •

هـ ـ تشكيلات الجيش في الدولتين الايوبية والمملوكية :

انقسم الجيش في عهد صلاح الدين ومن تبعه من سلاطين الدولة الايوبية الى طوائف ، وأخذت كل طائفة منها اسم السلطان أو القائد الذي اسسها ، حيث نجد « الطائفة النورية » نسبة الى نور الدين زنكي ،

و « الطائفةالاسدية » نسبة الى أسد الدين شيركوه ، و « الطائفةالصلاحية » نسبة الى صلاح الدين الايوبي وهكذا ..

وكان يطلق على رؤساء هذه الطوائف « مقدمو المماليك السلطانية » وذلك بمعدل مقدم واحد لكل خمسين مملوكا ، وكل مملوك كان يقود أربعين من الجنود ، مما يوصلنا الى تشكيلة عـــدد أفرادها الفي رجل ، وتتألف من خمسين وحدة صغيرة يرأس كلا منها أحد المماليك السلطانية .

ولما جاءت الدولة المملوكية استقرت النظم الحربية الاقطاعية فيها ، حيث أصبح قائد عام الجيش بعـــد السلطان يحمل لقب « أمير الجيوش أو صاحب الجيش » ، ويليه « قائد القواد أو رئيس القواد » ، وانتظمت تشكيلات الجيش نفسه في ست مراتب وذلك على الشكل التالي [1] :

١ ـ أمراء المئات :

وهم أكابر الامراء ، لان رتبة « أمير مائة » هي رتبة حربية خاصة بأرباب السيوف ، وتقرن عادة بلقب « مقدم » حيث يقال « أمير مائة مقدم الف » ، والمقصود بذلك أنه يرأس مائة مملوك في زمن السلم وألفا من الاجناد في زمن الحرب .

٢ ـ أمراء الاربعين :

ويسمون أيضا « امراء الطبلخانة » لاحقيتهم في دق الطبول عـــلى أبوابهم ، ويكون في امرة كل منهم أربعون فارسا على الاغلب ، وقد تزيد رتبة أمير أربعين الى امرة ثمانين فارسا ، أي ضعف العدد الاصلي .

٣ ـ أمراء العشرات :

ويؤخذ هؤلاء من صغار الولاة ، ويوضع في امرة كل منهم عشرة فرسان ، وربما كان فيهم من له امرة عشرين فارسا ، ولكن لا يعد الا في أمراء العشرات .

---

(١) انظر كتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » للمقريزي (ج ١ ـ ص ٢٣٩) ، وكتاب « السلاح في الاسلام » ـ ص ١٠ .

٤ ـ أمراء الخمسات :

وهؤلاء كانوا قليلين وخصوصا في الديار المصرية ، وأكثرهم من أولاد الامراء المتوفين ، حيث تعطى للواحد منهم هذه الرتبة رعاية لسلفه •

٥ ـ المماليك السلطانية :

وأغلبهم من الروم والشركس الذين بيعوا كمماليك لسماسرة السلطان وأولي الامر ، وقد كان هؤلاء المماليك أعظم الاجناد شأنا وارفعهم قدرا ، وكان سبيل الترقية مفتوحا أمامهم حيث يؤمر الامراء منهم رتبة بعد رتبة •

٦ ـ أجناد الحلقة :

وهم اخلاط الجند العاديين ، وكان لكل اربعين منهم مقدم لا يؤمر عليهم الا عند الخروج للقتال ، وكان سبيل الترقية أمام هؤلاء مغلقا اذ يظلون من أجناد الحلقة طوال مدة خدمتهم •

★ ★ ★

ومما تقدم يظهر لنا أن تشكيلات الجيش العربي القديم ، وخاصة في العهد الاموي وأوائل العهد العباسي ، كانت تشكيلات متطورة تساير روح العصر من جهة ، كما أنها كانت على درجة كبيرة من العبقرية في التنظيم من جهة ثانية • واجتماع هاتين الصفتين في هذه التشكيلات يخلق كثيرا من أوجه الشبه بينها وبين تشكيلات الجيوش الحديثة [١] •

---

(١) يبين الملحق رقم ١٦ تشكيلات الجيش العربي القديم وما يقابلها من تشكيلات الجيوش الحديثة •

الفصل العاشر

شريعة الحرب عند العرب

لا يسع الباحث أن ينكر ان اخلاق العرب منذ عهد الجاهلية كانت على درجة كبيرة من النبل ، ولكن هذا النبل كانت تعكره في كثير من الاحيان الاعمال التي كانت ترتكب باسم الغزو من سلب وتعديات وقساوة لا مبرر لها .

ولما أتى الاسلام هذب من عادات الجاهلية كثيرا ، وحارب الاعراف والتقاليد الوثنية التي تتعارض مع مبادئه ، وحرص على تنشئة فكرة القتال في نفوس المسلمين تنشئة اسلامية عادلة ، وانسانية نبيلة .

وقد حارب المسلمون دوما ضمن الحدود التي رسمها لهم كتابهم الكريم ، والاحاديث التي فاه بها رسولهم العظيم ، بحيث كان القرآن بمثابة « الدستور » ، والحديث بمثابة « القوانين » ، وشكل الاثنان معا ما يمكن أن نسميه « شريعة الحرب عند العرب » .

ولما جاء الخلفاء الراشدون ، كانوا يوصون قادتهم بكثير من الوصايا التي لم ينص عليها القرآن او الحديث سلبا أو ايجابا ، بل دفعتهم اليها مبادىء الاسلام الخالدة ، وروحه الانسانية النبيلة ، وقد شكلت هذه الوصايا « آداب الحروب عند العرب » .

وان تقيد المسلمين الاوائل بشريعة الحرب وآدابها ، **هو الذي جعل** طلائع جيوشهم تصل في أقل من مائة عام الى أراض تبعد حوالي ثمانية آلاف كيلو مترعن عاصمتهم الاصلية ، وهي التي جعلت سكان البلاد الاصلية يستقبلون الفتوح بترحيب وطمأنينة ولسان حالهم يقول « ما عرف التاريخ فاتحا أرحم **من العرب** » .

وسنتعرض فيما يلي لذكر أهم المبادىء التي تضمنتها « شريعة الحرب عند العرب وآدابها » ، مع الاشارة لاسانيدها في القرآن والحديث ووصايا الصحابة :

آ ـ أسباب الحرب :

حدد القرآن الكريم الاسباب التي يحق للمسلمين الحرب لاجلها بأربعة :

١ ـ رد العدوان والدفاع عن النفس والمال والوطن ، وذلك تقيدا بقوله تعالى :

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » [١] .

٢ ـ الدفاع عن الدعوة الاسلامية وتأمين حرية الدين والاعتقاد للمسلمين وذلك تنفيذا لاحكام الآية الكريمة :

« ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » [٢] .

٣ ـ تأديب ناكثي العهد وذلك بموجب حكم الآية التالية :

« وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون » [٣] .

٤ ـ درءا للفتنة التي يحاول أعداء الدين اشعال نارها بين صفوف المسلمين ، وذلك استنادا لاحكام الآية الشريفة :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » [٤] .

---

(١) سورة البقرة ١٤٩ .
(٢) سورة البقرة ٢١٧ .
(٣) سورة التوبة ١٢ .
(٤) سورة البقرة ١٩٣ .

ب ـ اعـلان الحرب :

لا يجوز للامير أن يبدأ قتال العدو الا بعد ابلاغه ، وذلك لئلا تكون الحرب وسيلة للخداع من جانب المسلمين ، فقد قال تعالى : « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » [1] ٠

وكان الرسول (ص) اذا أرسل سرية [2] الى قتال غير المسلمين قال لاميرها :

« اذا لقيت عدوك فادعهم الى ثلاث خصال فأيتهن أجابوك اليها فاقبل منهم وكف عنهم :

١ ـ ادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم ٠

٢ ـ فان أبوا فأدعهم الى اعطاء الجزية فان أجابوا فاقبل منهم [3] ٠

٣ ـ فان أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ٠

وهكذا يجب على الامير ان يخير العدو بين الاسلام والجزية والقتال ٠ وقد قرر الاسلام نظام الجزية على من يرغب الاحتفاظ بدينه من سـكان البلاد المفتوحة ، وذلك مقابل قيام جند المسلمين بحمايتهم والدفاع عنهم ، لان غير المسلمين لم يكونوا يشتركون بفريضة الجندية الالزامية ٠ وقـد حدث مرارا في أواخر عهد الدولة العباسية ، أن أعاد المسلمون لاهل الثغور المسيحيين الجزية التي استلموها منهم ، لانهم لم يتمكنوا من صد هجمات الروم عليهم ٠

---

(١) سورة الأنفال ـ ٥٨ ٠

(٢) تسمى الاعمال الحربية التي شارك بها الرسول (غزوات) ، فان سيرها ولم يشترك فيها تسمى « سرايا » ٠

(٣) « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» ٠ (سورة التوبة : ٢٩)

ويفهم من هذا أن الحرب لم تكن لاجبار الناس على الدخول في الاسلام ، كما حلا لبعض مؤرخي الغرب ان يقول ، وذلك لان القرآن أمر بألا يكون هناك اكراه في الدين : « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي »[1] ، وأمر بدلا من ذلك بالاكتفاء بالحكمة والموعظة الحسنة لترغيب الناس باعتناق الدين الجديد : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »[2] .

ولذا كان المسلمون اذا فتحوا بلدا ما ، أقروا أهله على ما كانوا عليه قبل الفتح ، بدون أن يتعرضوا لحريتهم في ممارسة طقوس ديانتهم وتطبيق تعاليم الاحوال الشخصية الخاصة بهم .

وجاء في الصلح الذي كتبه خالد بن الوليد لاهل « عانات » ، انه صالحهم « على أن لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة ، وعلى أن يضربوا بنواقيسهم في أية ساعة شاؤوا من ليل أو نهار الا في أوقات صلوات المسلمين،وعلى أن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم » .

ولو صح ما يقوله هؤلاء المتجنون على الاسلام لكان هذا الدين يضعف حين تضعف قوة الدولة ، ولكن التاريخ يثبت أن الاسلام ظل يغزو بلاد آسية وافريقية حتى في أيام ضعف حكوماته واضمحلال قوتها .

ج ـ معاملة العدو :

وقد حددت شريعة الحرب في الاسلام ، التعليمات التي يجب التقيد بها في معاملة العدو ، وأهم هذه التعليمات هي :

١ ـ قصر الحرب على رجال العدو المحاربين فقط :

اذ لا يجوز في الاسلام الاعتداء على النساء والشيوخ والاطفال

---

(١) سورة البقرة ٢٥٦ .

(٢) سورة النحل ١٢٥ .

والرهبان ، فقد بلغ الرسول أن بعض جند المسلمين ضربوا نساء من الكتابيات ، وكانوا يظنون أن ذلك جائز لعدم ورود آية في القرآن تمنع صراحة ذلك ، فجمع الرسول المسلمين بالمسجد ، وبعد أن صلى بهم خاطبهم قائلا : « ان الله تعالى لم يحرم شيئا الا ما في القرآن ، ألا واني والله لقد وعظت وأمرت ونهيت عن أشياء ، انها لمثل هذا القرآن . وان الله تعالى لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب الا باذن ، ولا ضرب نسائهم ولا أكل أثمارهم اذا اعطوا الذي عليهم » .

٢ ـ منع النهب الذي كان يسود حروب الجاهلية :

وقد نهى الرسول أيضا عن النهب ، حيث روى عن رجل من الانصار أنه قال : (خرجنا مع رسول الله في سفر فأصاب الناس حاجة شديدة وجهد فاصابوا غنما فانتهبوها فان قدورنا لتغلي اذ جاءنا رسول الله يمشي فأكفأ القدور بقوسه ثم جعل يرمل اللحم بالتراب ثم قال « ان النهبة ليست بأحلى من الميتة ») .

٣ ـ تحريم التمثيل بالقتلى والاحراق بالنار :

وذلك احتراما لقدسية الموت وانسانية الميت [1] .

٤ ـ تحريم اتلاف الاموال وتجويع الاعداء :

وذلك بقطع الاشجار المثمرة واحراق النخيل وذبح شياه العدو وبقره وبعيره لمجرد الانتقام ، اذ لا تجوز مثل هذه الاعمال الا اذا كان بها صلاحا لاضعاف العدو والظفر به عنوة باجباره على الصلح ، وذلك دون نبذ الرحمة في الحرب ومراعاة الناحية الانسانية وكل ما يتعلق بآداب الحرب .

ومن أجمع الوصايا في شريعة الحرب وآدابها وصية الخليفة ابي بكر

---

(١) كان رسول الله اذا أمر الامير على جيش أو سرية قال له : « اغزوا باسم الله في سبيل الله ، وقاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا » . (عن « السلام والحرب في الاسلام » ـ ص ٤١ ـ ٤٢) .

التي أوصى بها الجيش الذي سيره لفتح الشام ، حيث قال مخاطبا قائد الحملة يزيد بن أبي سفيان وجنده [1] :

« فاذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على أصحابك في مسيرك ، ولا تغضب على قومك ولا على أصحابك ، وشاورهم في الامر ، واستعمل العدل، وباعد عنك الظلم والجور فانه لا أفلح قوم ظلموا أو لا نصروا على عدوهم ، واذا لقيتم القوم فلا تولوهم الادبار (•••••••) واذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولدا ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ، ولا تعقروا بهيمة الا بهيمة المأكول ، ولا تغدروا اذا عاهدتم ، ولا تنقضوا اذا صالحتم ، وستمرون على قوم في الصوامع رهبانا يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم » •

٥ ـ الانقطاع عن القتال اذا انقطع عنه العدو :

وذلك تقيدا بقوله تعالى :

« فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » [2] •

وقد أمر الله الرسول بأن يقبل الصلح ويقر السلام اذا أبدى العدو رغبته في ذلك حتى ولو كان يقصد من طلبه الصلح الكيد والخديعة ، لان الله هو الكفيل برد كيده الى نحره ، فقد قال تعالى : «وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم • وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين » [3] • ولكن الفقهاء أجازوا قتال جند العدو مقبلين أو مدبرين ، على اعتبار أن انسحاب العدو يعتبر مرحلة من مراحل القتال ، وليس تسليما منه وطلبا للصلح ، وهذا نظر صائب لان الانسحاب قد يكون خدعة حربية في كثير من الاحيان •

---

(١) انظر « فتوح الشام » للواقدي ـ ج ١ ـ ص ٤ •
(٢) سورة البقرة ـ ١٩٣ •
(٣) سورة الانفال ٦١ ـ ٦٢ •

٦ ـ الوفاء بالعهود والمواثيق :

وقد طالب الله المسلمين في كتابه بأن يحافظوا على معاهداتهم وعهودهم ومواثيقهم التي ارتبطوا بها مع العدو ، وتوعد من ينقض العهد منهم بقوله :
« واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا » [1] .

وقد تشدد المسلمون في محافظتهم على عهودهم ، حتىانهم لم يرضوا في كثير من الاحيان أن ينقضوها حتى في حالة نقض العدو لها . فقد نقض الروم عهدهم مع المسلمين في زمن معاوية ، وكان في يده رهائن منهم فلم يقتلهم ، بل خلى سبيلهم وقال « وفاء بغدر خير من غدر بغدر » .

د ـ بعد النصر :

وكما حددت الشريعة ما يجب التقيد به في القتال ، حددت أيضا كيفية معاملة العدو المهزوم وأسراه وطريقة اقتسام غنائم الحرب :

١ ـ معاملة العدو المدحور :

اوجبت شريعة الحرب عند العرب عدم التفاخر بالنصر والزهو به ، وذلك حفاظا على مشاعر جند العدو ، وكسبا لقلوبهم كي يعتنقوا دين الاسلام لما يلمسون حسن معاملة المسلمين لهم ونبلهم ، كما اوصت هذه الشريعة التمسك بكل مفاهيم العدالة بعد الانتصار : « الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » [2] .

وقد كان الخليفة عمر بن الخطاب يوصي قادته عند تسييرهم الى الفتوحات :

« ولا تجبئوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا ، وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان وعند شن الغارات » .

---

(١) سورة الاسراء ٣٤ .

(٢) سورة الحج ٤١ .

٢ ـ معاملة الاسرى :

بين القرآن الكريم حكم الاسرى صراحة وذلك في نص الآية الشريفة : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » [١] .

وهكذا فالامير مخير بين أمرين لا ثالث لهما :

ـ اما المن :

وهو ان يعفو عن الأسير فيطلق سراحه من غير مقابل ، وذلك كما فعل الرسول مع احد اسرى بدر ، وهو شاعر اسمه عبد الله بن عمير ، حين استعطفه هذا لاطلاق سراحه حيث له خمس بنات لا يعولهن غيره ، فرق قلب الرسول له ومن عليه بحريته .

ـ واما الفداء :

وهو اطلاق سراح الاسير مقابل المال او بمبادلته بمثيله من الجانب الآخر [٢] . ويصح ان نعتبر من قبيل الفداء والمن معا ، ما كان يكلف به بعض أسرى العدو من أعمال تفيد مصلحة المسلمين في مقابل اطلاق سراحهم ، ومثال ذلك ما فعل الرسول مع بعض أسرى قريش المتعلمين ، حيث كان يطلق سراح الواحد منهم في مقابل تعليمه عشرة من أولاد الانصار القراءة والكتابة ، أو كما فعل الخليفة هرون الرشيد حين أطلق سراح بعض الأسرى الصينيين بعد ان فاهوا له بسر صناعة البارود والبوصلة [٣] .

٣ ـ طريقة اقتسام غنائم الحرب :

ليست الغنائم ، كما أحب بعض المتجنين على الدعوة الاسلامية ان يدعي، هدفا من أهداف الحرب عند العرب المسلمين ، بل لا يجوز أن تكون كذلك

---

(١) سورة محمد ـ ٤

(٢) يعطينا الملحق رقم ١٧ موجزا لتاريخ فداء الاسرى عند المسلمين .

(٣) من محاضرة للعلامة التونسي عثمان الكعاك القاها في المسرح العسكري بدمشق في شهر كانون الاول ١٩٦٢

حسب مبادىء شريعتهم ، اذ حرمت هذه المبادىء القتل ـ ولو في الحرب ـ بغية الحصول على الغنائم والمكاسب فقط ، ولم تجز التشدد مع جند العدو لهذا الغرض ٠

والغنائم هي ما يكسبه المسلمون بالقتال ، وهي نوعـــان : أراضي وأموال ٠

ـ الاراضي :

أراد بعض المسلمين في صدر الاسلام أن يجعلوا من الاراضي التي تقع في أيديهم عنوة غنائم تقسم بينهم مثل قسمة أموال الغنيمة ، ولكن الخليفـة عمر بن الخطاب انتبه لما في ذلك من خطر ، وكتب الى سعد بن أبي وقاص بعد فتحه العراق [1] : « أما بعد ، فقـد بلغني كتـابك تذكر فيه أن الناس سألوك أن تقسم الارض بينهم مغانمهم وما أفاء الله عليهم ، فاذا أتاك كتابي هذا فانظر ما أجلب الناس عليك به الى العسكر من كراع ومال فاقسمه بين من حضر ، واترك الارضين والانهار بعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين فانك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لبعدهم شيء » ٠٠

وقد تمكن عمر من اقناع سعد وجيشه بابقـاء الاراضي لاصـحابها ، ووضع الخراج عليها والجزية على أهلها ، ويكون كلاهما فيئـــا لجميـع المسلمين ، يدخل بيت المال لتوزع منه أعطيات الجند ويصرف البـــــاقي في مصالح المسلمين ٠

ـ الاموال :

أما الاموال المنقولة ، كالماشية والمتاع والنقود ، فقد كانت تفرق على المشتركين في الجهاد ، وقد كان هذا التفريق في الايام الاولى للاسلام يتم بلا أية قاعدة معينة ، الى أن جاء الامر بالتخميس في الآية الكريمة : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرســـول ولذي القربى واليتـــامى

---

(١) انظر كتاب « الخراج » لابي يوسف ص ١٣ ـ ١٤

والمساكين وابن السبيل » [1] • ومعنى هذه الآية انه يجب قسمة الغنائم من الاموال المنقولة الى خمسة أقسام :

– اربعة أخماس توزع بالتساوي على من اشترك بالقتال [2] •

– والخمس الباقي يدخل بيت المال ليوزع على الرسول وعائلته واليتامى والمساكين وابناء السبيل (وهم المسافرون الذين لا يجدون ما ينفقونه) •

وزيادة عن السهم الذي يناله المجاهد ، فان له أن يأخذ سلب القتيل من الكفار ، أي ما على هذا القتيل من سلاح وثياب •

وكانت العادة تفضيل الفرسان على الرجالة ، وذلك باعطاء الفارس حصتين أو ثلاث مقابل حصة الراجل• وتذكر كتب التاريخ أن سهم الفارس في غزوة (ذات السلاسل) قد بلغ ألف درهم وسهم الراجل خمسمائة ، وقد زاد عن ذلك في الغزوات الاخرى [3] •

كما أن الامير كان له أن يزيد في استحقاق أصحاب الشجاعة والبلاء من جنوده ، وتسمى هذه الزيادة « النفل » ، ولكن الخلفاء اختلفوا فيما اذا كان هذا النفل يؤخذ من أصل الغنيمة بكاملها أو من أصل سهم بيت المال [4] •

هذا بالنسبة للغنائم ، وأما بالنسبة للفيء – وهو ما يؤخذ عفوا بدون

---

(١) سورة الانفال – ٤١

(٢) من الطبيعي أن توزع الغنائم على من حضر المعركة فقط وذلك بموجب حكم الآية : « لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما » (سورة النساء – ٩٥) •

(٣) جاء في كتاب « السياسة الشرعية » لمؤلفه ابن تيمية (ص ١٦) : « العدل في القسمة أن يقسم للراجل سهم واحد وللفارس ذي الفرس العربي ثلاثة أسهم ، سهم له وسهمان لفرسه » • ومن الفقهاء ، من يجعل للفارس سهمين فقط ، سهم له وسهم لفرسه ، كأبي حنيفة وتلميذه أبي يوسف رضي الله عنهما •

(٤) المرجع السابق – ص ١٦ – أيضا •

قتال ـ فكان حقا للدولة نزولا عند حكم الآية الكريمة : « وما أفاء الله على رسوله منهم ، فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء » [1] . وكان الفيء يدخل عادة بيت المال ليصرف منه على الفقراء والمحتاجين .

★ ★ ★

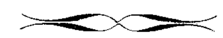
والآن ، وبعد أن ذكرنا أهم مبادىء شريعة الحرب وآدابها عند العرب المسلمين ، بوسعنا أن نقارن بينها وبين شرائع الحرب عند الامم الاخرى في ذلك الوقت كالفرس والمغول والفرنج ، وسنرى الفارق الكبير بلا ريب بين الروح الانسانية التي تنبض في مبادىءشريعتنا السمحاء ، وبين الاعمال الهمجية التي كانت تتصف بها حروب بقية الامم [2] .

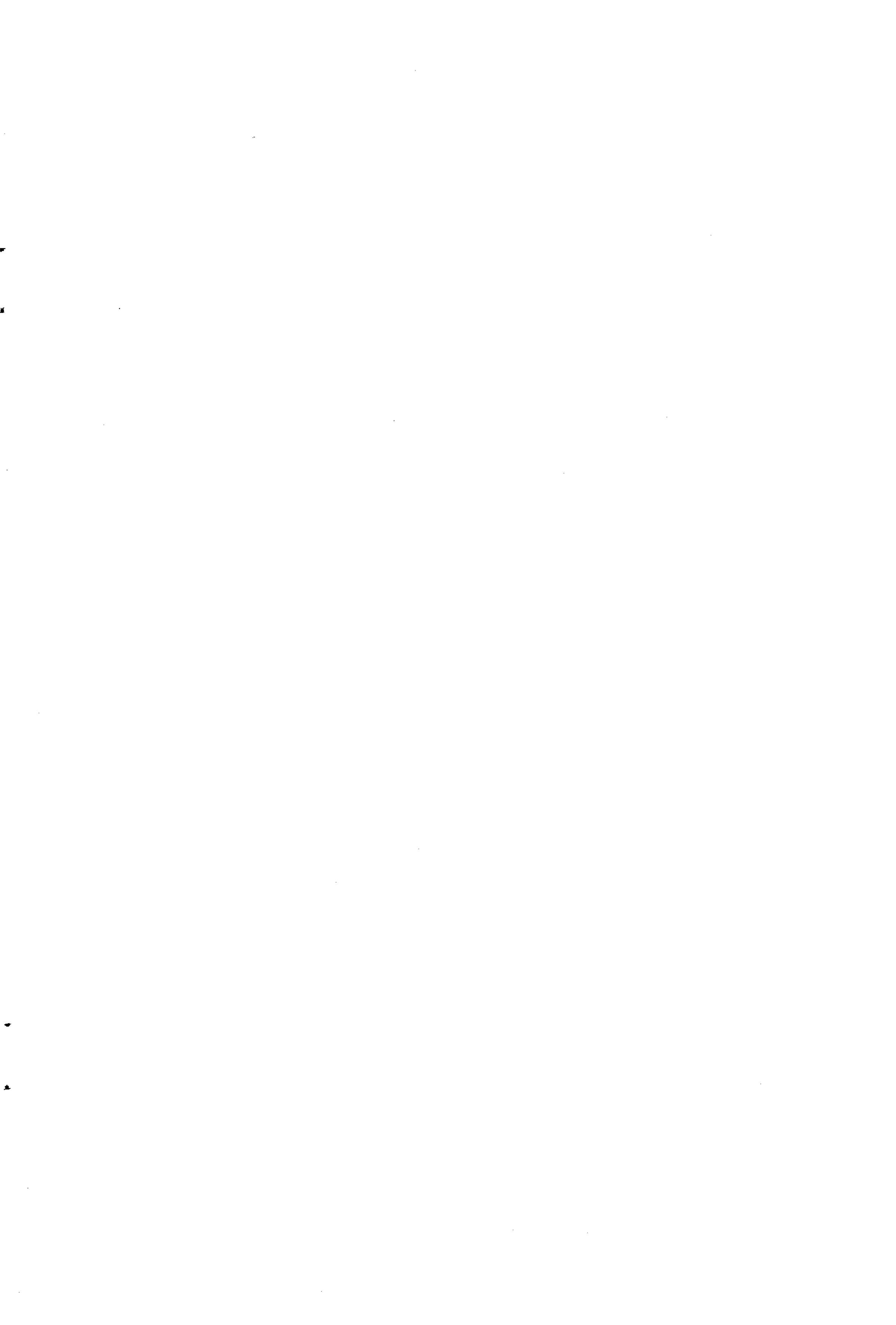
---

(١) سورة الحشر ـ ٦

(٢) ان التاريخ مليء بحوادث الهمجية التي ارتكبتها بقية الامم الاخرى لما احتلت بلاد العرب ، ويكفي أن نعلم أن الفرس كانوا يدوسون الاسرى المسلمين بقوائم فيلتهم ، وان المغول سببوا نكسة للحضارة العربية الاسلامية مقدارها مائة سنة أو أكثر بما فعله هولاكو عندما فتح بغداد سنة (٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م) ، والسور الذي بناه من جماجم أهلها ، أو بما فعله تيمورلنك عندما اكتسح دمشق ، أو عندما خرج منها سنة (٨٠٤ هـ ـ ١٤٠١ م) ، ثم أخيرا ما فعلته محاكم التفتيش في اسبانيا بعد اخراج العرب منها سنة ١٤٩٢ م (٨٩٨ هـ) ، حيث أجبر من بقي منالعرب هناك على التنصر ، ولما اكتشف أن أكثرهم تظاهروا بذلك ولم يتنصروا حكم عليهم جميعهم بالموت ، وحكم بالحرق بعد التعذيب حتى على من كان جده عربيا .

وقد رأيت خلال رحلتي لاسبانية سنة ١٩٥٣ سلاسل معلقة على جدران سور مدينة طليطلة ، ولما سألت الدايلة التي رافقتني عن هذه السلاسل أجابت ـ بدون أن تعلم أني عربي مسلم ـ : « كانت تستعمل لتعذيب العرب المسلمين » .





الفصل الحادي عشر

التدابير الدفاعية الدائمة عند العرب

ارتكزت الدولة العربية ، وخاصة في عصر ازدهارها ، على عـدد من التدابير الدفاعية التي يمكن اعتبارها ذروة من ذرى العبقرية العسـكرية ، والفن الحربي المستمد من عقيدة قتالية صحيحة لا تزال قواعدها تدرس في الكليات العسكرية حتى الآن ..

وسندرس الآن بشكل موجز أهم هذه التدابير :

آ ـ حفظ السر :

كان العرب بطبعهم يحبون الكتمان وكأنهم فطروا عليه ، ومما قالـه حكماؤهم في هذا الصدد :

ـ صدرك أوسع لسرك من صدر غيرك [1] .

ـ سرك من دمك فانظر أين تريقه .

ـ ما كنت كاتمه عن عدوك فلا تطلع عليه صديقك .

ولذا لم يجد قادتهم صعوبة كبيرة في تعويدهم على عـدم البـوح بأيـة معلومات يمكن أن يستفيد منها العدو .

---

(١) هناك بيت شعر يؤدي هذا المعنى نفسه ، وهو :

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسـه فصدر الذي يستودع السـر أضيق

ويجب أن لا ننسى فضل الرسـول (ص) في صـقل هـذه النظرة وتوجيهها الوجهة الصحيحة ، فلقد كان يوصي صحابته دوما : « واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » [1] .

وقد اعطى الرسول قادته عدة أمثلة على فائدة كتمان السر في الغزوات حيث كان اذا أراد بلدا أوهم أعداءه أنه يقصد غـيره ، وذلك كما حدث في غزوة « حنين » ، اذ نرى الرسول يسأل عن طريق نجد ومياهها ومقدار ما يوجد فيها من العدو ، ولم يسأل مطلقا عن « حنين » التي هي هدفـه الحقيقي .

كما أن الرسول أوصى « بالاخفاء » في سبيل المحافظة على السر ، حيث نراه عندما سير « ابن سلمة » لقتال بني أسد ، أمره بأن يختفي بقواته نهارا ويسير ليلا ، وأن يسلك في سيره الطرق المهجورة اذا أمكن . وقد حدث في معركة « ذات السلاسل » أن أراد بعض المسلمين ايقاد نار يستدفئون عليها ، ولكن عمرو بن العاص لم يسمح لهم بذلك ، وبرر عمله لما شكوه للرسول بقوله « كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم فيعود اليهم » [2] كما نجد أبا بكر يوصي الامراء الذين سيرهم لفتح الشام ، بأن يكرموا رسل العدو اذا قدموا اليهم ، وبأن يقللوا ما أمكن بقاءهم في معسكر المسلمين حتى يخرجوا منه وهم جاهلون ، لم يطلعوا على شيء من الخلل ، وألا يسمحوا لجندهم بالحديث مع الرسل ، لئلا يفوهوا لهم بما يمكن أن يكون فيه ضرر للمسلمين .

وكان عمرو بن العاص يقول دوما لجنده ، في معرض وصيته لهـم بحفظ السر حتى عن ذويهم وأقربائهم : « ما استودعت رجلا سرا فأفشـاه فلمته ، لاني كنت أضيق صدرا منه حين استودعته اياه حتى أفشاه » .

ويقول « الهرثمي » ، في مخطوطه « مختصر فهي سياسة الحروب » ،

---

(١) « السلام والحرب في الاسلام » ـ ص ١١٥

(٢) المرجع السابق ـ ص ١١٧

مؤكداً أهمية الاحتفاظ بالسر : « قالوا ما استطعت أن تحترس في كتمان سرك في حربك من ثقاتك فافعل ، فان في ذلك باذن الله امضاء تدبيرك، وقطع مكيدة من يكيدك ، واكفف لسانك عن فلتة كل منطق ينكشف به ما تضمر من أمرك ، أو تخفيه من سرك ، واعلم أنه قد يستدل بلحن المنطق على مصون السر ومكنون الضمير ، ولا تستهينن في اظهار سرك بصغير لصغره ، ولا بأعجمي لعجمته ، فرب سر مصون قد أذاعوه وأطلعوا عليه »[1] •

ومن كل هذا يتبين لنا ان العرب كانوا على درجة كبرى من حب الكتمان ، والمحافظة على الاسرار ، وهو الامر الذي جلب لهم كثيرا من الفوائد في الحروب وغيرها •

ب ـ وسائط الاشارة (٢) :

وسائط الاشارة هي الوسائل التي يمكن بها ايصال الاخبار والتعليمات من مكان الى آخر ، وقد عرف العرب جميع وسائط الاشارة التي كانت تستخدم في ذلك الوقت ، بل انهم زادوا عليها وحسنوا فيها ، وخاصة في فترة الحروب الصليبية ، حين أصبح نقل المعلومات من مكان الى آخر على درجة كبيرة من الضرورة • ويعرفنا صالح بن يحي ، صاحب كتاب « تاريخ بيروت»[3]، في معرض حديثه عن التدابير التي اتخذها أهالي بيروت للاتصال بدمشق زمن الحروب الصليبية ، بأهم وسائط الاشارة التي كانت تتبع في ذلك الوقت ، وذلك بقوله : « وقرروا ـ يعني المسلمين ـ أيضا نارا تصل الى دمشق في ليلة • فكانوا من ظاهر بيروت يشعلونها فتجاوبها نار في رأس بيروت العتيقة • ومنه الى جبل بوارش ومنه الى جبل يبوس ومنه الى جبل

---

(١) « مختصر في سياسة الحروب » ـ ورقة ١١ ، وقد أورد هذا النص منه الاستاذ عبد الرؤوف عون في كتابه « الفن الحربي في صدر الاسلام » ص ٢١٢ ـ ٢١٣ •

(٢) لم يكن هذا التعبير معروفا بذلك الوقت وانما هو تعبير حديث وجدناه مناسبا كعنوان •

(٣) تاريخ بيروت ـ ص ٤٠ ـ ٤١

الصالحية ومنه الى قلعة دمشق • والنار للحوادث في الليل ، وحمام البطاقة للحوادث في النهار والبريد للاخبار » •

ويتبين لنا من هذه الاسطر أن وسائط الاشارة التي استخدمها العرب في تلك الفترة هي :

البريد ـ حمام البطاقة ـ النار التي تشعل في المناظر [1] •

وسنذكر فيما يلي كلمة موجزة عن تاريخ استخدام كل من هـــذه الوسائط لدى العرب :

١ ـ البريـد :

عرف الفرس والروم مصلحة البريد قبل العرب بزمن طويل ، ولكن العرب طوروا هذه المصلحة ونظموها أدق تنظيم •

وأول من نظم البريد في الاسلام هو الخليفة الاموي معاوية بن أبي سفيان ، رغبة منه بتأمين ايصال الاخبار والتعليمات بسرعة بين مقر الخلافة في دمشق والولاة في مصر والعراق وفارس •

وكان للبريد طرق تتشعب من مركز الخلافة الى أطراف الدولة ، حتى تصل بطرق الدول المجاورة ، وكانت كل طريق تنقسم الى محطات ومواقف، يستريح فيها عامل البريد قليلا ويستبدل فرسه أو هجينه بآخر قبل أن ينطلق باتجاه المحطة التاليـــة • وكانوا يعلقون في أعنـــاق دواب البـــريد جـــلاجل وأجراس تسمع لها قرقعة مميزة عن بعد ، وتسمى « قعقعة البريد » •

وقد بلغت النفقات السنوية على البريد في عهد بني أمية أربعة ملايين درهم ، وبلغ عدد السكك التي يسير عليها حوالي تسعمائة سكة متفرقة في شتى أصقاع الدولة العربية ، هذا بالاضافة الى دروب خاصة كـــان يســـير عليها السعاة [2] •

---

(١) المناظر (ج منظرة) هي الامكنة المشرفة العالية التي كان يقف فوقها الحراس •

(٢) السعاة هم رجال خفاف تعودوا الجري والصبر على السير الطويل •

ولما اتى العباسيون الى الحكم ، اهتموا اهتماما فائقا بالبريد ، حيث بلغت نفقات الدواب وأثمانها في احدى السنين (١٥٩ر١٠٠) دينار [1] ، وأصبح عدد السكك / ٩٣٠ / سكة أشهرها ثمان تصل بين بغداد وكل من المقاطعات التالية : حلب ـ دمشق ـ مصر ـ الحجاز ـ اليمن ـ أرمينية ـ حدود فارس ـ بقية مدن العراق [2] .

وكان لكل من هذه السكك مراقب يطلق عليه اسم « فرنوق » لمراقبة سير السعاة والهجانة وحالة المحطات . وكانت تبنى على طول طرقات البريد في زمن العباسيين :

ـ علامات المراحل : التي كانت تحمل أرقاما ، لتدل المسافر على الطريق من جهة ، وعلى المرحلة التي اجتازها والمرحلة التي بقيت عليه من جهة ثانية .

ـ المناور : وهي الامكنة التي تنار في الليل لكي يأمن بها المسافرون من الضلال في الفيافي .

ـ المصانع : وهي أحواض تبني وتملأ من مياه الامطار شتاء ، ليكون الاستقاء سهلا على المسافرين في الصيف .

كما واهتم الايوبيون والمماليك بالبريد في مصر والشام وخاصة في فترة الحروب الصليبية ، حيث تروي المصادر أن الملك الظاهر بيبرس كان يحرص على موافاته بأخبار الاعداء من تتر وفرنج ، وقد قال مرة لكاتب رسائله ، شرف الدين عبد الوهاب : « ان قدرت أن لا تبيتني كل ليلة الا على خبر ولا تصبحني الا على خبر فافعل » .

أما المماليك فيعود اليهم فضل بناء الخانات في كل طرف من أطراف المملكة ، وذلك لمبيت المسافرين ودوابهم بها . وقد افتتحت في عهدهم مراكز خاصة لشراء الخيول الاصيلة ، وختمها بالخاتم السلطاني ، ثم

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ـ ج ١ ـ ص ٢٢٢

(٢) الجندية في الدولة العباسية ـ ص ٤٥

استخدامها في محطات البريد دوريا ، وقد دعيت هذه الخيل « خيل الشهارة » لانها كانت تبدل كل شهر •

وينبغي هنا أن ننوه بأنه قد طرأ على أعمال البريد تطور مهم في أيام العباسيين ، حيث أصبح من جملة واجبات صاحب البريد موافاة الخليفة بأخبار الولاية التي يقيم فيها ، وحفظ الطرق وصيانتها من اللصوص والجواسيس ، كما عليه أن يتلقى كتب أصحاب الثغور وولاة الاطراف ويوصلها الى الخليفة بأسرع وقت ممكن •

وكانت مسؤولية صاحب البريد تمتد لتشمل مراقبة الوالي نفسه في بعض الاحيان ، وذلك كما حصل عندما قطع طاهر الخطبة للمأمون على منبر خراسان ، فعاتبه صاحب البريد فاعتذر انه سهو وقع منه ، ورجاه ألا يكتب الى الخليفة به ، فنزل صاحب البريد عند رجائه ، ولكن لما تكرر هذا الاهمال من طاهر ثلاث مرات كتب صاحب البريد الى الخليفة بعد أن قال لطاهر : « ان كتب التجار لا تنقطع عن بغداد ، وان اتصل هذا الخبر بأمير المؤمنين من غيرنا لم آمن أن يكون سبب زوال نعمتي » •

وكان لصاحب البريد حظوة كبرى عند الخليفة ، لانه كان يتصل به مباشرة وفي أية ساعة من ساعات الليل والنهار ، وكان لا يطلع أحدا على الخبر قبل أن يبلغه الى الخليفة ، الذي يأمره باشاعته أو بكتمانه حسبما تقتضيه مصلحة الدولة •

وقد يجعل الملوك والامراء بينهم وبين أصحاب بريدهم علامات سرية تشبه « الشيفرة » ، فلا يعتمد أحدهم كتاب صاحب بريده الا اذا كان يحوي تلك العلامة حتى لو كان الكتاب بخط صاحب البريد نفسه وخاتمه ، اذ قد يكتبه ويختمه مرغما ، وذلك كما فعل أبو مسلم الخراساني لما دعاه المنصور اليه من خراسان، حيث خاف أبو مسلم عاقبة هذه الدعوة، فاستخلف أبا نصر مالك بن الهيثم على عسكره ، وقال له :

« أقم حتى يأتيك كتابي ، فان أتاك مختوما بنصف خاتم فانا ختمته ، وان أتاك بالخاتم كله فلم أختمه » ، فلما جاء أبو مسلم الى المنصور ، وكان ما كان من قتله ، كتب المنصور الى أبي نصر على لسان أبي مسلم بأن يقدم اليه ، وختم الكتاب بخاتم ابي مسلم ، فلما رأى أبو نصر الخاتم تاما ، علم أن أبا مسلم لم يكتب هذا الكتاب ، فرفض الامتثال لامر الخليفة واتخذ احتياطاته [1] .

٢ ـ حمام البطاقة :

يقال ان أول من استخدم حمام البطاقة ـ أو الحمام الزاجل كما يقال له الآن ـ هم الصينيون ونقلته عنهم بقية الامم الاخرى ..

وأول من استخدمه من العرب هم أهل الموصل في أوائل القرن الثالث للهجرة ، حيث وجدوا فيه في ذلك الوقت أسرع واسطة لايصال أخبار العدو من الثغور الرومية الى الموصل ، ومنها الى مركز الخلافة . فمثلا كانت توجد بين مدينتي الاسكندرونة وبغداد مخابرات متواصلة عن طريق حلب ـ الموصل بحمام بطاقة كانوا يطلقون عليه اسم « حمام حلب » ، وقد اشتهر هذا الحمام بسرعته لانه كان يجتاز هذه المسافة الشاسعة بأقل من اسبوع واحد .

ولما اتى الايوبيون الى الحكم ، بالغوا في الاهتمام به حتى أنهم أفردوا له ديوانا خاصا لتسجيل انسابه وعدده وما يصرف عليه من مال ، وبنوا له أبراجا عديدة في قلعة القاهرة لتدريبه وتوليده ، حتى أصبح تعداده في هذه المدينة فقط حوالي (٢٠٠٠) طائر ، في القرن السابع الهجري .

وقد استخدمه الايوبيون خاصة في زمن الحروب الصليبية ، فجعلوا

---

(١) آثار الاول في ترتيب الدول ـ ص ٩٠ .

له مراكز خاصة لاطلاقه ، تنتشر من أسوان في أقصى الجنوب حتى الثغور في أطراف الشمال [1] .

٣ ـ المناظر :

المناظر هي قباب مرتفعة ، تبنى على رؤوس الجبال بحيث يشرف بعضها على بعض ، ويقيم فيها النظارة والديادب ليلا ونهارا ، لمراقبة حركات العدو واعلام مراكز القيادة بها ، وذلك باشعال النار فيها ليلا أو الدخان نهارا ، فينتقل الخبر من منظرة الى منظرة حتى يبلغ المكان المطلوب [2] .

واول من استخدم المناظر في الاسلام هو الحجاج بن يوسف الثقفي ، حيث اتخذ المناظر بين واسط وبلاد قزوين لتصله أخبار هذه البلاد بوقت قصير .

٤ ـ طرق أخرى للمخابرة :

ومن طرق المخابرة الاخرى عند العرب المواصلات النهرية ، حيث كان ينقل البريد في نهري الدجلة والفرات في العراق ، والنيل في مصر .

كما انهم استخدموا الانهار لنقل الاخبار من بلدة الى أخرى اذا كانتا تقعان على النهر نفسه ، وذلك بجعل الرسالة داخل قصبة ، وغرس هذه القصب في باقة من الحشيش تلقى في الماء ، فتظل جارية بمجرى النهر حتى يراها المرسل اليه . وقد أمكن بهذه الطريقة ايصال رسائل مهمة بوساطة نهري الدجلة والفرات ، لانهما يتجهان من خارج أراضي الدولة الى داخلها . .

كما واستخدمت السهام لنقل رسالة من مكان الى آخر على مسافة صغيرة منه ، وذلك اما بربط الرسالة بالسهم ، أو بالكتابة على السهم نفسه .

---

(١) لزيادة التوسع في بحث الحمام الزاجل يمكن مراجعة : « المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد ٢ ـ العدد الاول ـ مايو ١٩٤٩ » ، حيث يوجد فيها مقال للدكتور ابراهيم أحمد العدوي بعنوان « الحمام الزاجل في العصور الوسطى » .

(٢) انظر « معجم البلدان » لياقوت الحموي ـ ج ٨ ـ ص ١٦٥ ، وكتاب « الجندية في الدولة العباسية » ص ٤٠ .

جـ ـ تسليح الجيش :

اهتم الرسول وخلفاؤه الراشدون من بعده بتسليح الجيش كل الاهتمام ، وصرفوا أموالا ضخمة في هذا السبيل ، وقد سار بنو أمية والعباس على الخطة نفسها ، حتى أصبح الجيش العربي أقوى جيوش ذلك العصر اعدادا وتسليحا •

وقد انشيء لهذه الغاية ديوان خاص باسم « ديوان خزائن السلاح » ، كانت تسجل فيه كميات السلاح المسلمة لكل فرقة من فرق الجيش ، ومقدار الاحتياط المتبقي في المسالح [1] ، وفي عاصمة الدولة •

وقد ذكر القاضي ابن الرشيد في كتابه « العجائب والظرف » أنه كان في خزانة السلاح أيام السفاح « خمسون الف درع ، وخمسون الف سيف ، وثلاثون الف جوشن ، ومائة الف رمح » [2] ، وقد كانت هذه الأسلحة تكفي لجيش تعداده (١٠٠٫٠٠٠) رجل ، عدا الاسلحة الموجودة في أيدي الجيش النظامي وأبناء الشعب • ولما ولي الامين الخلافة في سنة ١٩٣ هـ (٨٠٨ م) ، ضم ديوان خزائن السلاح لديه : « عشرة آلاف سيف محلاة بالذهب ، وخمسين ألفا للشاكرية والغلمان ، ومائة وخمسين ألف رمح ، ومائة ألف قوس ، وألف درع خاصة محلاة ، وألف درع عامة ، وعشرين الف بيضة ، وعشرين الف جوشن ، ومائة وخمسين ألف ترس ، وأربعة آلاف سرج محلاة خاصة ، وثلاثين الف سرج عامة » [3] • وكانت هذه الاسلحة توزع على ثغور الخلافة ورباطاتها ، حيث تحفظ في أماكن خاصة يطلق عليها اسم « مسالح » ، وذلك لامداد الجيش المتمركز على مقربة منها بما يحتاجه عند اللزوم • كما أن الخلفاء الفاطميين والايوبيين

---

(١) المسالح هي أماكن محصنة في المدن التي تقع قرب الحدود ، كانت توضع الاسلحة والتجهيزات فيها لكي يتم توزيعها على فرق الجند عند اللزوم •

(٢) انظر كتاب « الجندية في الدول العباسية » ـ ص ١٠١ •

(٣) انظر كتاب « مطالع البدور في منازل السرور » لعلاء الدين الغزولي ـ ج ٢ ص ١٦٢ •

لم يألوا جهدا في تقوية جيوشهم وتسليحها ، وقد أسسوا لذلك « السلاح خانات » ، التي كانت تحوي أنواع السلاح جميعها ، من السيوف والقسي العربية والنشاب والرماح والدروع المتخذة من الزرد المانع وغير ذلك ...

ولما أتى المماليك وسعوا « السلاح خانات » التي كانت قائمة ، وزودوها بالعمال والصناع المهرة ، الذين كانوا يطلق على الواحد منهم اسم « زردكاش [1] » . وفي كل سنة كان انتاج هذه « السلاح خانات » يجمع ويزف بيوم مشهود على رؤوس الحمالين الى القلعة ، وذلك رغبة في اذكاء الروح المعنوية بين أوساط الشعب .

د ـ نظام الثغور والرباطات :

الثغور هي المواقع الحصينة أو القلاع التي تقع على حدود الدولة الاسلامية ، وذلك اما لدفع العدو وصد غاراته ، أو لاتخاذها كقاعدة انطلاق لمهاجمة العدو وفتح بلاده .

واهم هذه الثغور هي التي كان يطلق عليها اسم « الثغور الرومية » ، وتقع على حدود الدولة العربية مع الامبراطورية البيزنطية ، والثغور « الهندية » التي تضم مدينة « جنيزة » في بلاد الران ، و « اسفيجاب » على امتدادها ، و « طراز » على حدود تركستان ، و « نزاوة » قرب بلاد الديلم .

والثغور الرومية ، التي كانت تفصل بين الدولة الاسلامية والامبراطورية البيزنطية ، تضم سلسلتين :

ـ سلسلة الثغور الشامية وتضم : طرسوس ، أذنة ، المصيصة ، الكنيسة السوداء ، الهارونية ، وعدة ثغور أخرى ثانوية .

ـ سلسلة الثغور الجزرية وتضم : مرعش ، الحدث ، شميشاط ، ملاطية .

---

(١) الزردكاش هو صانع الزرد ، أو صانع السلاح بشكل عام .

وسنذكر كلمة موجزة عن ثغور كل من هاتين السلسلتين [1] :

أولا ـ الثغور الشامية :

سميت كذلك لوقوعها على حدود بلاد الشام واهمها :

١ ـ طرسوس :

اهتم العرب باتخاذها كثغر لاهميتها السوقية الكبرى ، لانها تقع على المدخل الجنوبي للمضيق الذي يخترق جبال طوروس ، والذي يطلق عليه اسم « باب كيليكيا » [2] . بدىء ببنائها في زمن الخليفة المهدي ، بناء على تقرير تقدم به القائد الحسن بن قحطبة الطائي ، وانتهى بناؤها زمن الخليفة الرشيد سنة **١٧٢** هـ (**٧٨٨** م) . وقد أحيطت بسور له خمسة أبواب : باب الجهاد ، باب الصفصاف ، باب الشام ، باب البحر ، الباب المسدود . توفي الخليفة المأمون فيها ، ودفن في جامعها سنة **٢١٨** هـ (**٨٣٣** م) .

٢ ـ اضنة :

تقع على نهر سيحان ، على بعد **١٨** ميلا من طرسوس ، بناها أبو سليم فرج الخادم سنة **١٩٣** هـ (**٨٠٨** م) ، في عهد الخليفة العباسي محمد الامين، محاطة بسور له ثمانية أبواب وخندق .

٣ ـ المصيصة :

تقع على نهر جيحان ، وهي معروفة باسم « ميسيس » اليوم ، بناها الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٨٤ هـ (**٧٠٣** م) ، ووضع فيها (**٣٠٠**) رجل من شجعان العرب . وفي سنة **١٣٩** هـ (**٧٥٦** م) ، أمر الخليفة المنصور بعمرانها ، ووضع فيها حامية تعدادها **٢٠٠٠** رجل سيرها من انطاكية ، ثم لما جاء المعتصم الى كرسي الخلافة ، بنى حولها سورا وحصنها .

---

(١) عن « معجم البلدان » لياقوت الحموي ـ ج ٣ ـ ص ١٦ ، و « الجندية في الدولة العباسية » لمؤلفه نعمان ثابت ـ ص ٥٢ ـ ٥٥ .

(٢) كان العرب يطلقون على هذا المضيق اسم « الدرب » ، وهو الذي قال فيه امرؤ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

٤ ـ الكنيسة السوداء :

وتقع على بعد **٢٧** ساعة شمال غربي حلب ، وكانت تتحكم في الطريق الى الاسكندرونة الذي يمر من شعب « **بيلان** » .

ثانيا ـ الثغور الجزرية :

وقد سميت كذلك لوقوعها على حدود « الجزيرة » ، وأهمها :

١ ـ مرعش :

بناها أول الخلفاء الامويين معاوية بن ابي سفيان ، وحصنها آخر خلفائهم مروان بن محمد ، فجعل لها سورين وخندقا وحصنا في وسطها سمي باسمه « الحصن المرواني » ، وقد زاد الخليفة العباسي المهدي في عدد حاميتها ، ثم أحدث الخليفة هارون الرشيد من بعده سائر المدينة .

٢ ـ الحدث :

بناها الخليفة معاوية ، ثم قام الروم باحتلالها وتهديمها في عهد مروان ابن محمد ، ولكن تم استرجاعها منهم في عهد الخليفة العباسي المهدي سنة **١٦٩** هـ (**٧٨٥** م) ، ولما جاء الرشيد الى كرسي الخلافة حصنها ووضع فيها ستة آلاف مقاتل .

٣ ـ شميشاط :

تقع في طرف بلاد الروم على شاطىء الفرات ، فتحت من قبل الجيش العربي أثناء ولاية معاوية على الشام ، في عهد الخليفة عثمان بن عفان .

٤ ـ ملاطية :

تقع على الضفة اليسرى من الفرات الاعلى ، على بعد سبع مراحل [1] شمال شرقي حلب ، فتحها حبيب بن مسلمة الفهري في ولاية معاوية على الشام والجزيرة ، وقد أمر الخليفة المنصور **بتعميرها سنة ١٣٩ هـ (٧٥٦ م)**،

---

(١) تعادل المرحلة ما يمكن ان تسيره القافلة في يوم واحد (٣٠ ـ ٣٥ كم تقريبا) .

وأسكنها ٤٠٠٠ جندي من أهل الجزيرة ، بزيادة عشرة دنانير لكل واحد منهم عن أعطيات الجند في داخل البلاد .

وقد عزل الخليفة هرون الرشيد جميع هذه الثغور ، من شامية وجزرية ، عن الجزيرة وقنسرين سنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) وسماها « عواصم » ، وجعل لها موازنة خاصة تنفق في ترميمها وتحصينها ، وفي دفع نفقات جنود حاميتها ، الذين كانوا يتقاضون أعطيات تفوق ما يتقاضاه أمثالهم في داخل البلاد ، وذلك تعويضا لهم عن المشاق والاخطار التي يتعرضون لها .

وكان المثاغرون ــ أي سكان الثغور ــ هم من أهالي البلاد الاصليين ، ومن الجنود الذين يشكلون حامية الثغر ، مع عائلاتهم . وكان الخلفاء يمرون بأنفسهم دوريا على هذه الثغور ليفتشوها ، وكانوا يأمرون بعد انهاء التفتيش بانشاء ما يلزم من تحصينات وحصون وجسور وخنادق .. الخ ..

وكان سكان الثغور يشكلون خط « المخافر الامامية » للدولة ، فيتناوبون مراقبة العدو والتصدي له في حال تعديه على أراضي الدولة العربية. وكانوا يتبعون سياسة « الارض المحروقة » في حالة احتلال العدو لجزء من اراضيهم ، وكان احراق الارض يتم بطريقة مبتكرة لا تخلو من طرافة ، وهي أن يأتوا ببعض الثعالب الوحشية والكلاب الشرسة ، ثم يعلقون بعض الخرق المبلولة بقليل من النفط في اذناب الثعالب ، قبل أن يطلقوها هي والكلاب معا ، فتجد الثعالب في الهرب ، وتحرق العشب في الاماكن التي تمر فيها ، وتنتقل النار بالتالي الى الامكنة المجاورة ، وخاصة في حالة وجود ريح شديدة كما كان يحدث غالبا .

هذا فيما يتعلق **بالثغور** ، وأما **الرباطات** فهي الاماكن التي يرابط فيها المسلمون جهادا في سبيل الله ، بدون أي أجر أو نفع مادي ، ولذا فهي لا تسكن من قبل الجند وعائلاتهم فقط ، وانما من قبل مواطنين يمتهنون شتى

الصناعات • وعلى عكس الثغور كانت الرباطات على الاغلب تقع على ساحل البحر ، ويخدم فيها المرابطون بصورة طوعية ولمدة محدودة ، فترى فيهـــا الطبيب والجندي والعالم وصانع الاســلحة والمعماري والمعــلم •• الخ •• وتجمع كل هؤلاء الرغبة في الجهاد ابتغاء لمرضاة الله •

وكان المرابطون يتناوبون مراقبة البحر جماعة بعد جماعة ، الواحـــد منهم يراقب والبقية يزاولون صناعاتهم اليومية ، حتى اذا لاحت سفن العدو نفر الجميع ووقفوا صفا واحدا بوجه العدو بعد أن ينذروا مراكز القيادة في داخل الدولة •

وكانت أهم الرباطات هي التي تمتد من الاســكندرونة في الزاويــة الشمالية الشرقية من البحر الابيض المتوسط ، وحتى الصويرة (موغادور) على شاطيء المحيط الاطلسي ، وبين هذين الرباطين كان يوجد الف رباط تمتد على شاطيء طوله ستة آلاف كيلو متر ، بمعدل رباط واحد كل ستة كيلومترات ، ولا يزال كثير من هذه الرباطات قائما على الشــاطيء الجنوبي للبحر الابيض المتوسط •

هـ ـ الصوائف والشواتي :

آمن العرب منذ أوائل عهد الامويين بأن الهجوم هو خير وســــــائل الدفاع ، وذلك كما قال صاحب كتاب « آثار الاول »[1] : « اذا حضر الحرب ولم يكن منها بد فالمبادرة اليها أولى من الاشتغال بالدفع ، ومن استقرأ أحوال الماضين وحروب المتقدمين علم أن البدرة لمن بدر في أغلب الاحوال » • ولذا فقد حاول المسلمون عدة مرات فتح القسطنطينية عاصمة بيزنطية ، ولما لم يتمكنوا من ذلك أصبحوا يكتفون بالتوغل داخل الاراضي الرومية الى أقصى حد ممكن ، ثم يعودون الى قواعدهم بعد أن يكونوا قد ملأوا قلب عــدوهم رعبا ، بشكل يحطم معنوياته ، ويمنعه من التفكير بالقيام بأي غزو من جهته •

---

(١) راجع كتاب « آثار الاول في ترتيب الدول » ص ١٧٢ •

وعلى هذا فالغاية من هذه الغزوات لم تكن السلب والنهب كما ذكر الدكتور « اومان » في كتابه [1] ، وانما كانت من قبيل ما يسمى « بالحرب الوقائيـة » Guerre Préventive من جهة ، وكمناورات موسمية للجيش الاسلامي من جهة أخرى .

وكانت الغزوات التي يسيرها العرب الى بلاد الروم على نوعين :

– نوع يتم في الصيف ويسمى « الصوائف » ، وكانت الصائفة تبدأ في أوائل شهر تموز من كل سنة عادة وتدوم حتى قدوم الشتاء [2] .

– ونوع آخر يتم في الشتاء ويسمى « الشواتي » ، وكانت الشاتية تبدأ في اواخر شهر شباط ، وتدوم لمدة شهر واحد على الاكثر ، لان العرب لم يكن لهم صبر على برد بلاد الروم . وقد كانت صوائف العرب أكثر من شواتيهم ، لانهم لم يكونوا يقتصرون على الغزو مرة واحدة في الصيف ، بل كانوا يغزون في بعض الاحيان صائفتين يسمونهما الصائفة اليمنى والصائفة اليسرى .

وأشهر غزوات الصوائف والشواتي ، كانت تلك التي قادها الخليفة المهدي سنة ١٦٣ هـ (٧٧٩ م) ، والتي قام بها ابنه الرشيد بمائة ألف رجل سنة ١٦٥ هـ (٧٨١م) .

وقد كان القائمون بالصوائف والشواتي خليطا من « الجند النظامي » ، ممن سجلت أسماؤهم في دواوين الجنـد ، ومن « المتطوعة » ، وهم من يتطوعون للاشتراك في احدى الغزوات فقط ، بدون أن يدخلوا نهائيا في سلك الجند النظامي ، مما يجعلهم يشبهون أفراد « المقاومة الشعبية » في وقتنا هذا . وكان « المتطوعة » يستخدمون في القتال على احد شكلين :

١ – أن يجعلوهم في جناحي القوة الرئيسية دون أن يدخلوهم في

---

(١) A History Of The Art Of War In The Middle Ages P. — 210

(٢) تشبه بالنسبة لتوقيتها « مناورات الخريف » حاليا .

تشكيل الجند النظاميين ، وذلك حفظا على انضباط القتال وحسن التنسيق بين الصنفين .

وكان هؤلاء المتطوعون يعطون في هذه الحالة مهمة الاحاطة بجناحي العدو ، ومنعه من القيام بحركة التفاف حول أحد جناحي الجيش العربي .

٢ ـ أن توكل اليهم ، قبل البدء بالحرب الفعلية ، مهمة الاغارة على العدو لازعاجه في مناطق تحشده . كما ويمكن أن يبقوا كاحتياط ، ليكلفوا عند تقهقر العدو بالمطاردة واستثمار الظفر ، وعندها تبرز أهميتهم وفوائدهم في هذه المرحلة من القتال .

وبالاضافة الى غزوات الصوائف والشواتي هذه ، كانت مراكب المسلمين تغزو بلاد الروم مرة كل سنتين تقريبا ، تحت قيادة صاحب مراكب الثغور الشامية ، وكانت أغلب هذه الغزوات تستهدف مدينة القسطنطينية التي كادت تسقط عدة مرات في أيدي العرب .

ولم تنقطع الصوائف طيلة مائتي عام **٣٥ ـ ٢٣٥ هـ (٦٥٥ م ـ ٨٤٩ م)** الا في فترة حكم الخليفة الناسك المسالم عمر بن عبد العزيز ، لكنها قلت كثيرا بعد وفاة المعتصم ، لتنقطع تقريبا منذ أوائل القرن الرابع للهجرة .

★ ★ ★

والآن ، بعد أن استعرضنا أهم التدابير الدفاعية التي تضمنتها العقيدة القتالية عند العرب ، يتبين لنا بكل وضوح ان هذه المبادىء بنيت على أسس ستراتيجية مدروسة ، لا تقل عن الاسس التي تأخذ بها الدول الكبرى في أيامنا هذه .

الفصل الثاني عشر

التدابير التحضيرية للقتال الهجومي

درسنا في الفصل السابق التدابير التي كانت متخذة بشكل دائم للدفاع عن حدود الدولة العربية ، وسنتعرض في هذا الفصل لدراسة التدابير التي كان العرب يتخذونها في الفترة التحضيرية التي تسبق اشتباكهم مع العدو .

وسنبحث في هذه التدابير التحضيرية حسب تسلسلها الزمني ، اي بالترتيب التالي :

حشد القوى ـ المسير للقتال ـ حياة المعسكر ـ دراسة أحوال العدو ـ وضع الخطة ـ توزيع الواجبات . أما الحديث عن المعركة الهجومية بحد ذاتها فسنتركه للفصل القادم .

آ ـ حشد القوى :

لقد أجبرت الظروف السياسية العرب على أن تكون فترات السلام عندهم فترات استعداد لحروب مقبلة ، لذا فقد كان الجيش العربي مستعدا دوما لخوض حرب جديدة ، في سبيل الدفاع عن حدوده ، والحفاظ على مصالح الدعوة الاسلامية .

وكان يكفي أن تغرس راية الحرب أمام المسجد ، أو أن يدعو داعي الجهاد له ، لكي يتدفق المتطوعون من كل حدب وصوب ، طالبين تجنيدهم للخدمة في سبيل الله ، مع اخوانهم أفراد الجيش النظامي .

وكلما كانت الظروف تدعو للقيام بغزوة جديدة ، كان الخليفة - أو ممثله - يأمر الوعاظ على المنابر ، والقادة في الثكن ، والرؤساء في احياء المدن ، أن يشرحوا الظروف التي تمر فيها الدولة وتستلزم القيام بغزوة جديدة ، ثم يقوم قادة الجيش النظامي بتجميعه وتدريبه ، ويبدأ المتطوعون بالازدلاف الى أماكن الحشد ، لتسجيل أسمائهم وسوقهم الى مراكز التجمع .

وفي مراكز التجمع كان الوعاظ والخطباء والقراء يتعاقبون لاعداد الشعب والجيش اعدادا معنويا يكفل كسب المعركة الجديدة .

ب - المسير للقتال :

ولما تنتهي مرحلة « حشد القوى والاعداد المعنوي » ، كان الخليفة يسير الجيوش للقيام بمهمتها الجديدة ، بعد أن يزود قادتها بعدة نصائح تجمع أهم المباديء التي يجب الاخذ بها ، سواء فيما يتعلق بالتنظيم التعبوي للقوات أو بشريعة الحرب وآدابها .

وأصدق مثال على قيمة هذه النصائح ، تلك الرسالة التي وجهها الخليفة عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص لما أمره بفتح بقية أراضي العراق، ووصية علي بن أبي طالب الى قادته وجنده في يوم صفين [1] .

ثم بعد أن يستعرض كل قائد وحدته لتلافي الخلل المحتمل وجوده فيها ، كان القائد العام يأمر بالمسير على بركة الله ، فينطلق الجيش الى مهمته الجديدة ، على دقات الطبول وأهازيج الحداة .

---

(١) يضم الملحق رقم ١٨ مقتطفات من رسالة عمر ووصية علي المشار اليهما أعلاه (ترى جزءا من وصية علي في كتاب « الجندية في الدولة العباسية » ص ٢٤٦ ، وترى مفصلا لوصية عمر في « العقد الفريد » لابن عبد ربه ج ١ - باب وصايا أمراء الجيوش) .

وكان الجيش العربي يجتاز بصورة عادية مرحلة كاملة يوميا (أي حوالي ٣٥ كم) ، أما اذا دعت الظروف للاسراع ، فقد كان يجتاز ضعف هذه المسافة تقريبا ، وذلك كما فعل خالد بن الوليد حين اجتاز بجيشه البادية التي تفصل بين العراق والشام لكي يقود الجيوش الاسلامية على ضفاف اليوموك .

وقد وصف لنا المؤرخ الهندي « سيد امير علي » ترتيب الجيش العربي أثناء مسيره ، وذلك بقوله :

« ومما لا شك فيه أن منظر الجيش العربي ، وهو يشق طريقه في صفوف لا نهاية لها في بلاد الاعداء ، كان بالغا حد العظمة والبهاء ، فكانت الخيالة تسير في المقدمة ، وعلى جناحيها النبالة ، ثم يأتي بعدهم الرجالة الذين كانوا يسيرون في صفوف كثيفة بانتظام عجيب ، ويليهم صفوف الجمال المحملة بالعدد والخيم والعتاد ، ثم يجيء بعدهم المستوصفات الصحية والنقالات لحمل المرضى والجرحى ، ثم آلات الحرب كالمنجنيقات والعرادات محملة على ظهور الجمال والخيول والبغال وهي تسير في المؤخرة » [1] .

وينبغي أن نشير الى أن هذا النظام ، الذي وصفه « امير علي » ، يتخذ عندما تكون قوات العدو لا تزال بعيدة عن منطقة مرور الجيش العربي ، بشكل لا يحتمل تدخلها به ، وأما في حالة وجود خطر من تدخل هذه القوات ، فقد كان الجيش العربي يسير حسب نظام خاص بالمسير ضمن الاراضي الخطرة ، وهو « نظام الخميس » [2] .

وقد اهتدى القادة العرب الى هذا النظام عند انطلاق جيوشهم الى خارج الجزيرة العربية ، حيث وجدوا أنهم اذا رتبوا جيوشهم أثناء المسير بالارتال

---

(١) سيد أمير علي في كتابه « تاريخ العرب والتمدن الاسلامي » ، وقد نقلنا نحن النص عن كتاب « عبقرية الاسلام في أصول الحكم » – ص ٢٨٧ .

(٢) الخميس ، كما قلنا في بحث « تشكيلات الجيش العربي » ، هو التشكيلة التي تضم خمس فرق : ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة وقلب .

المتعاقبة او المتجانبة ، أصبح من المتعذر السيطرة عليهـــا وتبليغها التعليمات والاوامر ، واذا تركوها على شكل كتلة فانهم لا يأمنون مفاجأة قوات العدو أو كمائنه ودورياته ، ولذا قسموها الى خمسة أقسام :

١ ـ القلب : وهو القسم الرئيسي لانه مقر القائد العام وراية الاسلام، ومكانه في الوسط .

٢ ـ الميمنة : تكون على يمين القلب ، وتكلف بحماية الجناح الايمن لمجموع التشكيل .

٣ ـ الميسرة : تكون على يسار القلب ، وتكلف بحماية الجنـــاح الأيسر لمجموع التشكيل .

٤ ـ المقدمة : تسير أمام القلب ، وتكلف بصد هجمات العدو الجبهية من جهة ، وباستطلاع الارض ومكامن القوات المعادية من جهة ثانية ، وذلك بوساطة مفرزة « الطلائع » .

والطلائع ـ أو الطلايع ـ هي وحدات صغيرة تضم أصـحاب الخيول السبق الماهرين في الرمي والطراد ، وعليها أن تتقدم الجيش وتتعرف على الطريق وترتاد المواضع وتحدد أماكن القوات المعادية في حال وجودها .

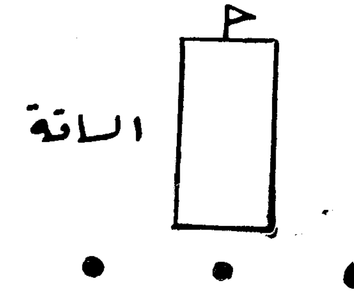
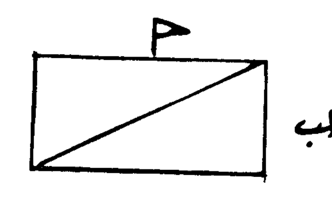
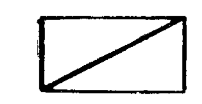
٥ ـ الساقة : تسير خلف القلب ، وتضم عناصر الشؤون الادارية في الجيش ، ومفرزة للحماية من الخلف كان يطلق عليها اسم الروعة » [١] .

وقد استخدم « نظام الخميس » في حـــالات المسـير طوال العهـود الاسلامية ، لانه يقلل الى أدنى حد ممكن الخسائر في حالة مفاجاة العـــدو للجيش العربي في مسيره . كما واستخدم هذا النظام أيضا من قبل القادة العرب في حالات الدفاع الدائروي ، عند تطويق قوات العدو للقوات العربية من جميع الجهات ، وذلك بمركزة القلب في الوسط ، ونشر بقية القوات كل

---

(١) يبين المخطط رقم ٢ نظام الخميس أثناء المسير .

المخطط رقم ٢ : تشكيلة الخميس


على حدة لتشكيل نقطة استناد مغلقة مركزها القلب ، ثم بث مفارز الرصد والحماية والديارين [1] لتشكيل نطاق أمن يحيط بنقطة الاستناد بكاملها .

وقد اتصف هذا النظام الدفاعي بدرجة كبيرة من المرونة ، اذ أنه يترك في وسع القائد امكانية القيام بهجوم معاكس ، بوساطة القوات المتمركزة في الجوانب غير المهددة [2] .

جـ ـ حياة المعسكر :

وعند وصول قوات الجيش العربي الى المكان المطلوب ، كان القائد يأمر جنده بالنزول لتخطيط المعسكر وتحصينه .

وقد وصف لنا « سيد امير علي » الحياة في المعسكر الاسلامي أفضل وصف حين قال :

« وكانت الطليعة حالما تصل الى الموقع المقصود ، تأخذ بحفر الخنادق ، اذ كان نظام الجيش يقضي بألا يعسكر الجنود قبل أخذ الحيطة من الهجوم المفاجيء ، فاذا ما وصل الجيش الرئيسي نصب الخيام في نظام بديع ، وأقيمت الشوارع والاسواق والميادين كما لو كان المعسكر مدينة عامرة [3] ، وكانت توزع الارزاق فتوقد المطابخ وتنصب عليها القدور ، وبعد تناول العشاء ، كان الخليفة او قاضي العسكر يؤم الجند في الصلاة ، ومن ثم يجلس الجميع في حلقات ، يستمعون الى أقاصيص الحروب والمخاطرات ، أو الى القصائد الحماسية المصحوبة بصوت الناي ، وكانوا لا ينامون الا بعد الهزيع الاول من الليل » [4] .

وبالاضافة الى الخنادق التي جاء «سيد أمير علي» على ذكرها ، كان القادة العرب يتخذون عدة تدابير اخرى للاحتراس من مفاجأة العدو ، حيث كانوا

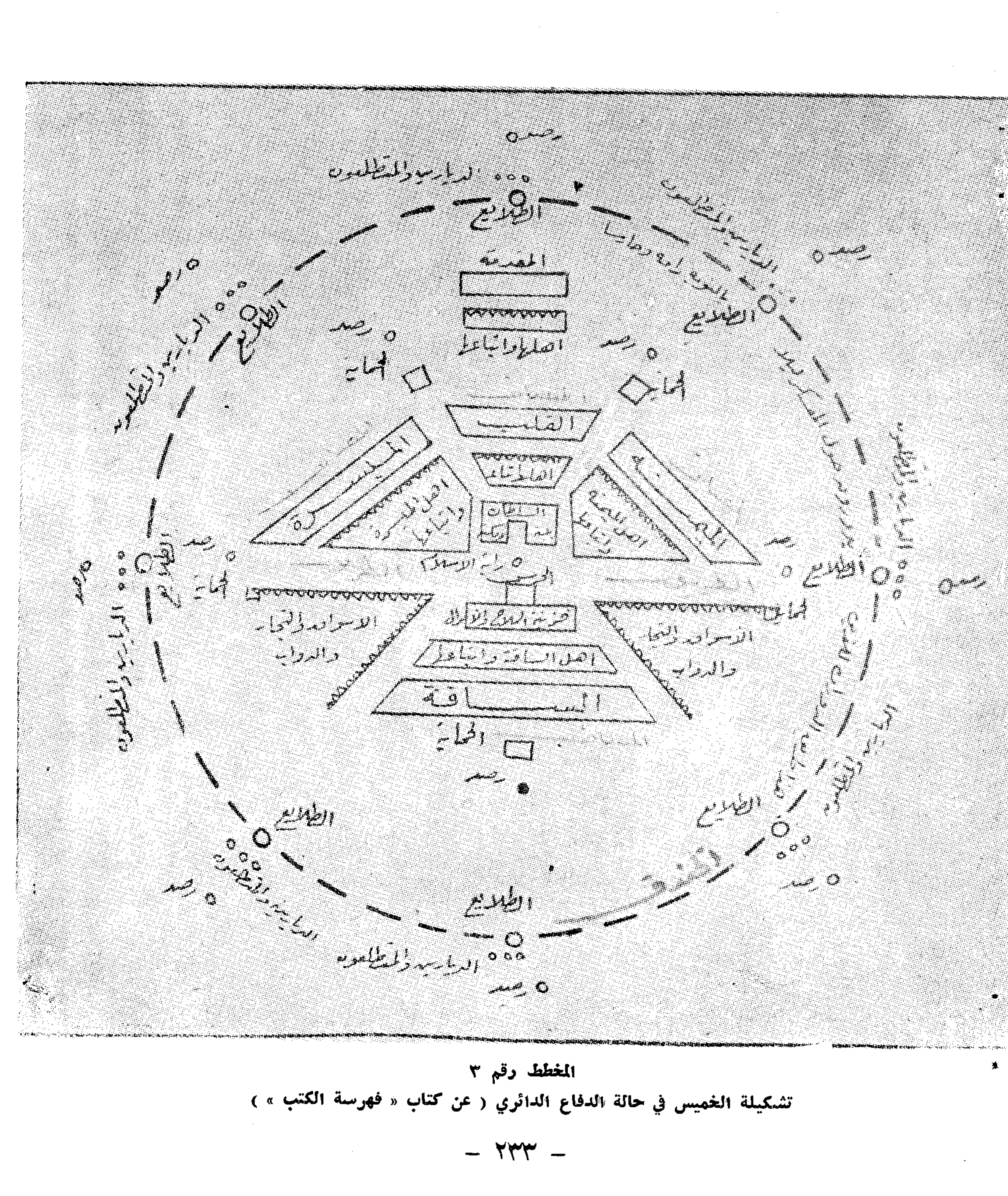
---

(١) كان العرب القدماء يطلقون على « الدوريات » اسم « الديارين » .

(٢) يعطينا المخطط رقم ٣ صورة لتشكيلة الخميس في حالة الدفاع الدائرى .

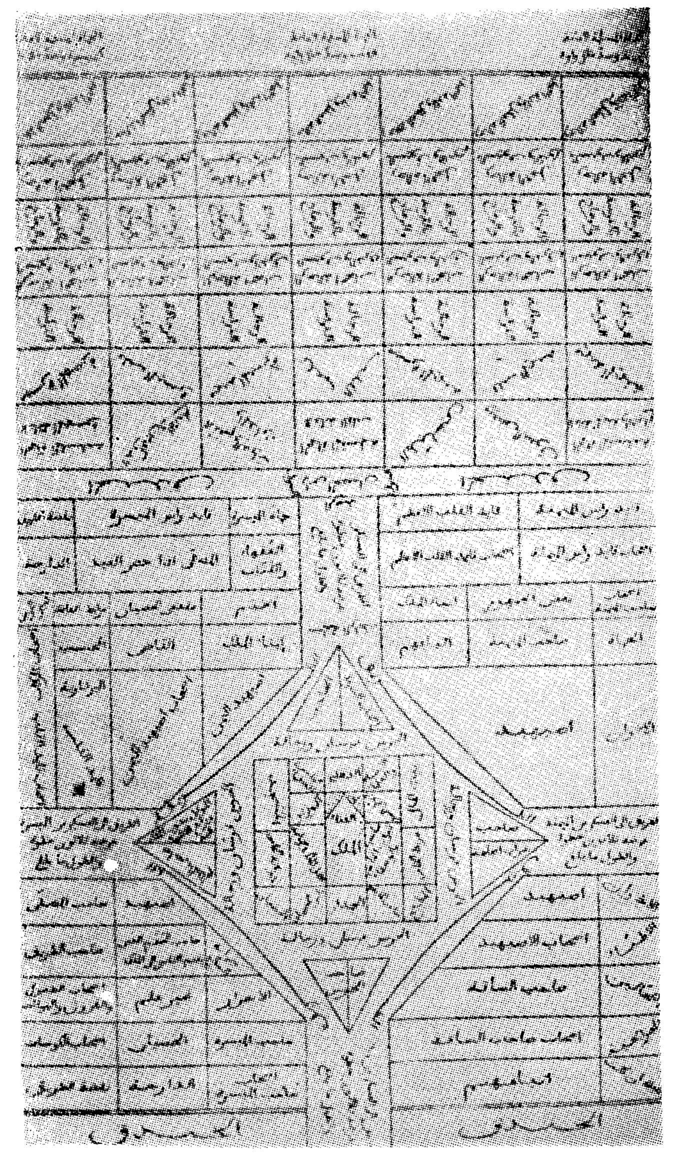
(٣) يعطينا المخطط رقم ٤ صورة للمعسكر الاسلامي في القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد) .

(٤) نقلا عن كتاب « عبقرية الاسلام في أصول الحكم » ـ ص ٢٨٨ .



المخطط رقم ٣

تشكيلة الخميس في حالة الدفاع الدائري (عن كتاب « فهرسة الكتب »)



المخطط رقم ٤

مخطط لمعسكر اسلامي في القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد)

يبنون مفارز الرصد والدوريات المتحركة حولهم ، ويقسمون الجند الى عدة نوبات بحيث يظل قسم منهم جاهزا دوما على ظهور الخيل ، لمشاغلة العدو ريثما يستعد الباقون • ويضاف الى كل ذلك أفراد الحرس الداخلي ، الذين كانوا يفاجأون في محارسهم ليلا للتأكد من يقظتهم ، وكان هؤلاء يستلمون الحراسة بالمناوبة، وكانت نوبة حرس أول الليل أطول من نوبة آخره عادة •

وقد وصف لنا عبد الحميد الكاتب برسالته ، على لسان الخليفة مروان ابن محمد الى ولي عهده عبد الله بن مروان ، ما يجب أن يقوم به الجند عند تعرضهم ليلا لهجوم من العدو فقال :

« وان طرقهم طارق أو فاجأهم عدو في الليل ، ليشرعوا رماحهم ناشبين بها في وجوههم ، ويرشقونهم بالنبل مكتنين بترسهم ، لازمين لمراكزهم غير مزيلي قدم عن موضعها ولا متجاوزين الى غير مراكزهم ، وليكبروا ثلاث تكبيرات متواليات وسائر الجند هادون لتعرف موضع عدوك من معسكرك ، فتمد أهل تلك الناحية بالرجال من أعوانك وشرطتك » [1] •

د ـ دراسة أحوال العدو :

فطن العرب منذ عهد الرسول لاهمية التجسس والحصول على معلومات عن العدو في كسب المعركة ، ولذا نرى أن الرسول كان يهتم بتقصي أخبار العدو ، وبث العيون لاستطلاع خباياه ومعرفة أسراره ، وذلك كما فعل سنة اثنين للهجرة ، حين دفع الى عبد الله بن جحش كتابا ، وأمره بألا ينظر فيه الا بعد مضي يومين ، فلما مضى اليومان ، فتحه عبد الله ونظر فيه فاذا به يحوي الكلمات التالية :

« اذا نظرت كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد لنا عير قريش ، وتعلم لنا من أخبارهم » [2] •

---

(١) يحوي الملحق رقم ١٩ أهم فقرات رسالة عبد الحميد الكاتب هذه ، وهي أثمن ما كتب من قبل العرب في فنون القتال •

(٢) راجع « الفن الحربي في صدر الاسلام » ص ٢١٢ •

وكـان الرســول يحب أن يعرف عن عدوه أكبر قدر ممكن من المعلومات ، وهذا ما جعله يطلب من زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود قراءة وكتابة فتعلمها • كما أنه ـ أي الرسول ـ كان يحرص على استجواب الاسرى بنفسه ، في سبيل الحصول على معلومات عن عدوه ، وذلك كمـا فعل في يوم بدر ، حين أرسل عليا وسعدا والزبير ليأتوه بأخبـار قريش فجاؤوه بعبدين لهم وهو قائم يصلي ، فلما انهى صـلاته سـألهما عن قريش فقالا :

ـ هم وراء هذا الكثيب في العدوة القصوى • فقال لهما :

ـ كم القوم ؟

ـ والله كثير عددهم شديد بأسهم •

ـ ما عددهم ؟

ـ لا علم لنا •

ـ كم ينحرون كل يوم ؟

ـ يوما عشرا ويوما تسعا • فالتفت الرسول الى قومه وقال :

ـ القوم بين تسعمائة وألف [١] •

وقد استنتج الرســول العدد من عدد الذبائح يوميا ، حيث أن البعير الواحد كان يكفي لاطعام مائة شخص تقريبا •

وجريا على ســنة الرسول كان القادة يحاولون جمع المعلومات عن العدو قبل وضع خطتهم ، بل ان بعضهم لم يكتف بما يأتيه به الجواسيس من معلومات ، بل قام بنفسه بالاستطلاع ، وذلك كما فعل عمرو بن العاص حين دخل الى حصن رومي منتحلا صفة رسول ، وقابل هناك « ارطبون » قائد الروم ، ثم عاد بمعلومات وافرة عن نقـاط الضـعف في الحصـن ، وقد ساعدته هذه المعلومات على اقتحام الحصن وطرد الروم منه [٢] •

---

(١) انظر « السلام والحرب في الاسلام » ـ ص ١١٣ •

(٢) انظر تفاصيل هذه المغامرة الجريئة في كتاب : « السـلام والحـرب في الاسـلام » ـ ص ١٨٥ ـ ١٩٢ •

كما عرف العرب بعد الرسول أهميـــة « الطابور الخامس » في ربح الحرب ، حيث نرى خالد بن الوليد في معركة اليرموك قد أوعز لرجل من حمص اسمه «أبوجعيد» بالانضمام الى صفوف الروم وبث التفرقة فيما بينهم، فقام هذا باقناع قسم من جندهم باستخدام مخاضة عميقة المياه ، في انسحابهم أمام المسلمين ، مما سبب هلاك عدد كبير منهم [1] • وما أوشكت بدايـــة القرن الثالث ، حتى أصبح لدى المسلمين عمال استخبارات على درجة كبيرة من المهارة • وقد صار القادة يبالغون في كتمان أسماء الجواسيس ، حتى أنهم لم يكونوا يعرفون بعضهم بعضا ، اذ كان لكل جاسوس رجل معين يتصل به ، بل توصلوا الى اكثر من ذلك في هذا الفن ، اذ أخذ بعض القادة يعمدون لتزويد جواسيس العدو ، عن قصد ، بمعلومات مزيفة ، وهـذا ما يشبه الطريقة المتبعة في استخبارات الجيوش الحديثة اليوم [2] •

وكما اهتم العرب بالتجسس في ذلك العصر ، فقد اهتموا بالاستطلاع أيضا ، حيث كان الجند اذا ألقوا القبض على أسير خطير الشأن يسيرونه الى آمرهم ، فيسأله هذا عن بلاده وطرقها ووجوه القتال فيها • ومن جهـــة أخرى نرى العرب قد عرفوا أيضا ارسال مفارز الكشافة ، الذين أصبحوا يسمون « الكوهبانية » منذ أواسط العهد العباسي ، وذلك لتنظيم المخططات والخرائط وموافاة قيادة الجيش بها ، وذلك كما ذكر المؤرخ « سيد أمير علي » في كتابه [3] :

« أما الكشافة فقد كانت معروفة عندهم أيضا ، ويقـال أن قتيبـــة لم يستخدم فرقة الكشافة في الاستطلاع فحسب ، بل اسـتخدمها أيضـــا في

---

(١) انظر « فتوح الشام » للواقدي ـ ج ١ ـ ص ١٤٦ •

(٢) انظر مخطوط « مختصر في سياسة الحروب » للهرثمي الشعراني ـ ورقة ١٣ •

(٣) عن كتابه « تاريخ العرب والتمدن الاسلامي » باللغة الانكليزية ، وقد أخذنا نحن هذه الفقرة من كتاب « عبقرية الاسلام في أصول الحكم » للدكتور منير العجلاني ـ ص ٢٨٧•

استحضار خرائط الاقاليم التي كان ينوي غزوها ، وقد جرت العادة منذ ذلك الحين أن يطلب القائد امداد الخرائط اما بواسطة فرق الكشافة أو مركز القيادة العامة » .

ومن أمثلة استخدام الكشافة ما فعله السلطان صلاح الدين الايوبي ، عندما قرر استرجاع « بيت المقدس » ، حيث ارسل كشافته لاستطلاع سور المدينة لمعرفة النقط الضعيفة ، فقام هؤلاء لمدة خمسة أيام بتفتيش السور حتى توصل بعضهم لاكتشاف بعض الثغرات في الجهة الشمالية ، وعادوا الى السلطان فأخبروه بما شاهدوا ، فأمر بتكثيف الرمي على هذه الجهة بالذات قبل أن يأمر جنوده باقتحام السور منها وفتح المدينة [1] .

وهكذا يمكن ان نقول باختصار ان دراسة احوال العدو كانت تبنى على نوعين من المعلومات :

ـ النوع الاول يأتي من مراكز القيادة العربية ، ويكون قد وصل اليها في وقت سابق بواسطة الجواسيس ، وهذه المعلومات تكون ذات طابع عام ودائم .

ـ والنوع الثاني تؤمنه قيادة القوات السائرة الى الغزو بنفسها ، وذلك بواسطة « فرق الكشافة » ، أو باستجواب الاسرى ، وهذه المعلومات ذات طابع خاص ووقتي على الاغلب ، ولكنها تفيد في وضع الخطة أكثر من المعلومات الاولى .

هـ ـ وضع الخطة :

وبالاستناد الى المعلومات التي وصلت الى القائد عن تعداد جيش العدو وتشكيله وتسليحه ، يقوم القائد بوضع خطة المعركة آخذا بعين الاعتبار شكل أرض المعركة وتضاريسها وعدد قواته مع تسليحها .

---

(١) عن « السلام والحرب في الاسلام » ـ ص ١١٤ .

وكانت خطة المعركة الناجحة تؤمن على الاغلب العوامل التالية :

١ ـ عامل السيطرة :

ويتطلب هذا العامل سيطرة القائد في كل لحظة من لحظات المعركة على جنوده ، وقدرته على ايصال أوامره الى أدنى المستويات ، وذلك عن طريق الصوت (التكبير) ، أو بالاشارة (هز الراية) ، أو بالرقاع الكتابية والاوامر الشفوية •

٢ ـ عامل المفاجأة :

وكان القادة العرب يهتمون بعامل المفاجأة في الحرب كل الاهتمام ، وذلك ليوقعوا البلبلة في صفوف أعدائهم ، فيصبح الانتصار عليهم أقرب منالا • وقد جاء في كتاب « الاحكام السلطانية » : « والرابع ـ أي رابع واجب على أمير الجيش ـ أن يعرف أخبار عدوه حتى يقف عليها ويتصفح أحواله حتى يخبرها فيسلم من مكره ، ويلتمس الغرة ـ أي المفاجأة ـ في الهجوم عليه » [1] •

ومن أمثلة استخدام العرب لمبدأ المفاجأة ، فتح خالد بن الوليد حصن « الانبار » في العراق ، حيث أن « شيرزاذ » قائد الفرس بنى خطته على عدم امكانية اجتياز القوات العربية للخندق المحيط بالحصن ، ولكن خالد أمر بنحر الابل الضعيفة وألقى بجثثها في أضيق مكان في الخندق فمرت قواته فوقها ، فأسقط في يد القوات الفارسية ولم تجد بدا من تسليم الحصن [2] •

وفي سبيل تأمين « عامل المفاجأة » ، كان العرب يتبعون خطة معينة كانت كثيرا ما تنجح معهم ، وهي أن يقسموا جيشهم الى قسمين ، وينزلوا بأحد هذين القسمين مع ابقاء القسم الآخر مختبئا حتى يتعب جنود العدو ، فيعطون الامر الى هذا القسم المختبيء بالنزول الى ساحة المعركة • وقد استخدم عمرو بن العاص هذه الخطة في معركة « عين شمس » في مصر اذ قسم جنوده الى قسمين :

---

(١) انظر « الاحكام السلطانية » لابي حسن الماوردي ـ ص ٤١ •

(٢) انظر الطبري ج ٤ ص ٢٠ ، والكامل لابن الاثير ـ ج ٢ ـ ص ١٦٥ •

- القسم الاكبر يسير تحت قيادته لملاقاة الروم بعد خروجهم من الحصن •
- القسم الباقي وجعله في فرقتين : احداهما تتمركز في أم دنين (موقع الازبكية اليوم) ، والثانية في مكان مرتفع يقع على مقربة من مؤخرة الروم • وأمر هاتين الفرقتين ألا تتدخلا في القتال الا بايعاز منه •

وكانوا اذا أرادوا أن يفاجئوا قوما ركبوا سرا ، فلا يضربون طبلا ولا ينشرون علما حتى لا يفتضح أمرهم ، كما كانوا يكثرون من الكمائن ، ومن أقوالهم في ذلك « اذا حاربتم وكنتم ثلاثة فاجعلوا واحدا كمينا » •

٣ ـ عامل الخدعة :

قال الرسول موضحا أهمية الخدعة في الحرب : « الحرب خدعة » ، وقال المهلب لبنيه : « عليكم بالمكيدة في الحرب فانها أبلغ من النجدة » ، وكان العرب يقولون : « رب حيلة أنفع من قبيلة » • وفي هذه الامثلة الثلاثة دليل واضح على الاهمية التي كان القادة العرب يعلقونها على عامل الخديعة في معاركهم مع أعدائهم •

ومن أمثلة المعارك التي استخدم فيها القادة العرب عامل الخدعة بنجاح ، ما قام به القعقاع بن عمرو لما جاءه الامر بأن يتوجه من الشام الى العراق بالف من جنوده ، فوصل الى العراق ومعركة القادسية في ثاني أيامها ، ولذا أحب أن يضعف من معنويات الفرس ويقوي معنويات العرب ، وذلك بالتظاهر بأنه يقود نجدة تفوق العشرة آلاف رجل ، فقسم جماعته عشرة أقسام ، وكلف كل جماعة منهم بأن يحدثوا أكبر قدر ممكن من الضجة ، وأن يكبروا ويحملوا على العدو فور وصولهم الى ساحة المعمعة • وكان كلما بلغ قسم منهم مد البصر أرسل في اثرهم قسما ثانيا ، مما أوهم الفرس بتتابع الامداد فضعفوا ، وقويت معنويات المسلمين الى أقصى حد • ومن ضروب استخدام القادة العرب لفنون الحيلة والخديعة في الحرب ، أنهم كانوا يوهمون العدو بأن الهجوم عليه سيكون من جانب معين ، ثم يقومون بالهجوم فعليا من جانب آخر • كما كانوا كثيرا ما يتظاهرون بالهرب

لأستدراج العدو ، حتى اذا بعد عن حصونه كانوا يكرون عليه مرة واحدة ويهزمونه ، وذلك كما فعل « النعمان بن المقرن » في معركة نهاوند سنة ٢١ هـ ، حين أوعز للقعقاع بن عمرو بأن يتظاهر بالفرار أمام الفرس ليطمعهم فيه ، ويخرجهم من خنادقهم فيمكن القضاء عليهم بهجوم عام من بقية القوات • ومما قاله المؤرخ « نورمان بيرنز » عن العرب بهذا الخصوص[1]:

« فالهرب المصطنع والمباغتات ، والهجمات الليلية والكمائن ، والمفاوضات التي لا يقصد بها الا كسب الوقت ، كل هذه وغيرها كانت وسائل مقبولة في الحرب عندهم ، وكان الجندي الذي يعتمد على القوة ، حيث كان الدهاء كافيا لكسب النصر ، لا يعتبر الا مغفلا » •

٤ ــ عامل الحذر :

وكان العرب يحرصون دوما على تأمين طريق لانسحابهم في حالة فشل هجومهم أو غزوتهم بكاملها ، وغالبا ما كانوا يجعلون الصحراء من خلفهم كملجأ لهم عند اللزوم ، وذلك لدرايتهم بها وتعودهم على قساوتها ، بعكس جند العدو • وقد قال المثنى للمسلمين الذين سيحاربون في العراق : « قاتلوا الفرس على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب ، ولا تقاتلوهم بعقر دارهم فان يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم ، وان كانت الاخرى رجعوا الى فيئة ، ثم يكونون اعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضيتهم الى أن يرد الله الكثرة عليهم » •

ولم يقتصر حذرهم على مرحلة القتال فقط ، بل تعداه الى المراحل التي تسبقه ، وخاصة مرحلة المسير ، حيث نجدهم كلما جاوزوا مضيقا تركوا عليه من يحفظونه ومعهم الاعلام السوداء ، فان رأوا شيئا يخافونه حركوا الاعلام دلالة على الخطر • ومحافظة منهم على الحذر كان قادتهم كثيرا ما يضعون خطتين للمعركة الواحدة من معاركهم ، تنفذ الواحدة في حالة نجاح الهجوم ، وتنفذ الثانية في حالة الفشل •

---

(١) في كتابه « الامبراطورية البيزنطية » •

و ـ توزيع الواجبات :

وبعد ان يضع القائد الخطة ، كان يوزع الواجبات على مرؤوسيه ، ويتأكد من أن كلا منهم قد فهم ما يجب أن يقوم به في المعركة بكل دقة . ومن أمثلة تقسيم الواجبات في المعارك العربية ما فعله الرسول عند تقدمه الى فتح مكة ، حيث قسم قواته في وادي « ذي طوى » الى أربع فرق وحدد لكل فرقة واجبا معينا وذلك حسبما يلي [1] :

- الفرقة الاولى : يقودها الزبير بن العوام ، وتدخل مكة من شمالها .
- الفرقة الثانية : يقودها خالد بن الوليد ، وتدخل مكة من أسفلها .
- جماعة الانصار : يقودهم سعد بن عبادة ، ويدخلون مكة من جنوبها الغربي .
- جماعة المهاجرين : يقودهم أبو عبيدة بن الجراح ، ويدخلون مكة من اعلاها .

وفي غزوة تبوك ، قسم الرسول جيشه الى خمسة ألوية ، وجعل على كل قسم واحدا من كبار رجالات الاسلام [2] :

- لواء الجيش :يتولاه أبو بكر
- لواء المهاجرين : يتولاه الزبير بن العوام .
- لواء الاوس : يتولاه أسيد بن خير .
- لواء الخزرج : يتولاه الحباب بن المنذر .
- لواء الفرسان : ويتولاه خالد بن الوليد .

وفي حصار دمشق من قبل أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد ، تم وضع الخطة على أساس حصار دمشق بالقسم الاكبر من الجيش ، على أن يقوم القسم المتبقي منه بمنع أية قوات للروم من الوصول الى المدينة سواء من الشمال أو من الجنوب ، وقد تم تنفيذ هذه الخطة على الشكل التالي [3] :

---

(١) و (٢) « السلام والحرب في الاسلام » ـ ص ١٠٩ .

(٣) انظر « فتوح الشام » للواقدي ـ ج ١ ـ ص ٤٢ وما بعدها .

١ ـ اوكلت مهمة حصار دمشق من جهة « باب الجابية » الى أبي عبيدة بن الجراح ، ومن جهة « باب توما » الى شرحبيل بن حسنة ، ومن جهة « باب الصغير » الى يزيد بن أبي سفيان ، ومن جهة « باب الفراديس » الى عمرو ابن العاص ، وبقي خالد بن الوليد مرابطا تجاه « الباب الشرقي » •

٢ ـ اعطي ضرار بن الازور مهمة التطواف بين باب وآخر برفقة ألفي فارس •

٣ ـ كلف « ذو الكلاع الحميري » بقطع طريق دمشق ـ حمص ، وأسندت الى علقمة بن حكيم ومسروق العبسي مهمة قطع طريق دمشق ـ فلسطين •

وفي معركة « البويب » بالعراق نجد أن المثنى بن حارثة قسم قواته على الشكل التالي [١] :

ـ ميمنة : ويقودها بشر بن الخصاصية •

ـ ميسرة : ويقودها بشر بن أبي رهم•

ـ قلب : ويتولى المثنى قيادة قواته بنفسه •

ـ الخيل : ويقودها المعني بن حارثة •

ـ المشاة : ويقودها مسعود بن حارثة •

وهكذا نرى أن طريقة توزيع الواجبات قد اختلفت بين معركة واخرى ، وهذا طبيعي لان الخطة قد اختلفت في معركة عنها في أخرى •

وبعد توزيع الواجبات لا يبقى على القائد الا اعطاء الامر لقواته بالهجوم ، وخوض المعركة مع العدو حسب الخطة التي رسمها لذلك •

---

(١) انظر « السلام والحرب في الاسلام » ـ ص ١١١ •

الفصل الثالث عشر

المعركة الهجومية عند العرب

ـ لعله من الافضل أن نذكر شيئا عن سير المعركة الهجومية عند العرب قبل أن نبدأ في تحليلها وشرح فنونها •

ـ بعد أن يضع القائد العربي الخطة ، كان يقيم في خيمة أو في عريش فوق مكان مرتفع من الارض ليراقب منه سير المعركة ، ويأمر بسد كل خلل يراه ، وكان لا يشترك في القتال الا عند الضرورة ، بل يكتفي بالقاء الاوامر، التي ينقلها السعاة الى مرؤوسيه شفهيا أو تحريريا •

ـ فاذا ظهر العدو للمسلمين ، أمر القائد بقرع الطبول ، لاخذ الحذر وبث الحماس في نفوس جنوده ، قبل أن تبدأ المعركة فعليا [1] •

ـ وكانت المعركة الفعلية تبدأ بالمبارزات الفردية ، ثم تزداد هذه المبارزات الفردية حتى تصبح شبه جماعية ، ويعقب ذلك كله مرحلة الالتحام • وفي مرحلة الالتحام كان العرب يحملون على أعدائهم وهم يكبرون ، وكانوا في هذه المرحلة يستخدمون أولا سهامهم ، ثم رماحهم ، ثم السيوف ، وذلك حسب درجة اقتراب العدو منهم وبعده عنهم ، وكانوا يردون الضربات بدروعهم وأتراسهم •

---

(١) Von Kremer — Page 333

ـ وبعد انتهاء المعركة كان العرب يلتفتون للعناية بجرحاهم ، ودفن موتاهم ، واحصاء خسائرهم ، وجمع الغنائم من ساحة المعركة •

ونعتقد بأن دراستنا للمعركة الهجومية عند العرب يجب أن تشمل العناصر التاليـة :

ـ أنظمة التعبئة لدى العرب •

ـ تعبئة الوحدات الصغرى •

ـ تعاون مختلف الصنوف في معارك العرب •

أولا ـ أنظمة التعبئة لدى العرب :

ان نظام التعبئة في أحد الجيوش ، وهو ما يقال له في اللغة العسكرية (التكتيك Tactique) ، يختلف باختلاف العقيدة القتالية لهذا الجيش ، وبحسب عدده ، وتسليحه ، والظروف التي يعمـل فيها ، وغـير ذلك من العوامل •• وقـد تطورت أنظمـــة التعبئة عند العرب متأثرة بجميع هذه العـوامل ، حيث نرى الجيش العربي يأخـذ باديء ذي بدء بنظام « الكر والفر » ، ثم تركه الى « نظام الصف » ، فنظام « الكراديس » ، وأخـيرا « نظام الانفتاحات » •

آ ـ نظـام الكر والفر :

يقال « كر الفارس » اذا فر للجولان ثم عاد للقتال ، و « فر الفارس» اذا أوسع الجولان بالانعطاف • لذا فنظام « الكر والفر » معناه أن يحمل المقاتلون على العدو بكل قوتهم ، فاذا انهزم أمامهم طاردوه وانتهت المعركة ، أما اذا صمد وأحسوا بالضعف فانهم ينسحبون الى الخلف لينظموا صفوفهم، ثم يعيدون الهجوم على العدو ثانية • وهكذا يعيدون الحملة بعد الحملة حتى يكون نصيبهم النصر او الفشل • وهذا النظام هو أقدم أنظمة التعبئة عند العرب ، اذ هو معروف منذ ما قبل « حرب البسوس » في الجاهلية • وكان هذا النظام يستوجب لديهم في كثير من الاحيان اللجوء الى طريقة معينة

تجبرهم على عدم الهرب نهائيا من ساحة المعركة ، وتسمى هذه الطريقة « اتخاذ المجبوذة » [1] • ومعنى « اتخاذ المجبوذة » هو أن يترك العرب ابلهم وظعائنهم خلفهم ، ليعودوا اليها عند كل كرة ، ويروا عيالهم وصبيانهم ونوقهم ، فتلتهب حماستهم من جديد ويعيدون الحملة على العدو • وقد عرف بعض المؤرخين العرب القدماء هذا النظام تحت اسم « ضرب المصاف »، حيث نجد ابن خلدون يقول مثلا في مقدمته بهذا الخصوص [2] :

« ومن مذاهب أهل الكر والفر في الحروب ضرب المصاف وراء عسكرهم من الجمادات والحيوانات العجم فيتخذونها ملجأ للخيالة في كرهم وفرهم يطلبون به ثبات المقاتلة ليكون أدوم للحرب وأقرب للغلب » • وقد اتخذ العرب « المجبوذه » في أغلب حروب الجاهلية وعهد الرسول ، فنراهم قد استخدموها مثلا في معركة « ذي قار » سنة ٥٨٤ م ، حيث بادر قائدهم الاعلى « حنظلة بن ثعلبة العجلي » وقطع احزمة الهوادج ، فسقطت على الارض ، وقال : « ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته » ، ثم ضرب قبة على نفسه وأقسم أن لا يفر حتى تفر القبة [3] ، وحذا بقية رفاقه حذوه ، فتشكل شبه معسكر ضخم خلف جيش القبائل العربية ، والتجأت الى هذا المعسكر النساء العربيات اللواتي كن يرددن مع امرأة من بني عجل الاهزوجة التالية ، كلما شاهدن رجالهن قد تراجعوا :

ان تهزموا نعانق ... ونفرش النمارق
أو تهزموا نفارق ... فراق غير وابق

وكان من الطبيعي أن يكر فرسان العرب باتجاه العدو لما كانوا يصلون الى مكان ظعنهم ، ويسمعون أصوات نساءهم وهن يهزجن لهم [4] •

---

(١) « الجندية في الدولة العباسية » لنعمان ثابت ـ ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ •
(٢) مقدمة ابن خلدون ـ ص ٣٢٠ وما بعدها •
(٣) لزيادة التوسع في بحث « معركة ذي قار » : راجع كتاب « المثنى بن حارثة » لمؤلفه عبد الستار القرغولي •
(٤) يرينا الشكل رقم ٥٣ لوحة تخيلها أحد رسامينا المحدثين لمعركة ذي قار •

وهكذا نرى أن « المجبوذة » كانت ذات أهمية كبرى في حروب العرب الاولى التي كانت تعتمد على نظام الكر والفر بشكل خاص •



الشـــكل رقم ٥٣

معركة ذي قار ، أول معركة انتصف فيها العرب من العجم (عن لوحة في متحف دمشق الحربي)

ب ـ نظـام الصف :

ولما أنزل القرآن حوى بين آياته الكريمة الآية التالية :

« ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » [١]
فابتدأ المسلمون بتطبيق هذا النظام ونبـذ نظام الكر والفر منذ وقعـة بدر سنة ٢ هـ (٦٢٣ م) وحتى أواسط العهد الراشدي تقريبا •

ولتطبيق هذا النظام كان الرسول يأمر جنده بأن يجتمعوا في صفين او ثلاثة كصفوف الصلاة ، حيث كان يجعل في الصف الاول حـاملي الرمـاح لصد هجمات الفرسان ، ثم يليهم حاملو السهام والسيوف في الصفين الثاني والثالث ، ويقف الفرسان على ميمنة الجيش وميسرته • فاذا التقى الجمعان،

---

(١) سورة الصف ـ ٤

بعد عدد من المبارزات الفردية ، زحفت صفوف المسلمين قدما واحدة واصطدمت بالعدو بدون كر ولا فر ، ولذا دعي هذا النظام باسم آخر وهو « نظام الزحف » [1] .

ولما تكاثر المسلمون وتنوعت أسلحتهم وازدهر فنهم الحربي ، صاروا يجعلون الجند على صفوف يختلف عددها باختلاف تسليحها ، مع مراعاة ابقاء الدارعين امام الحاسرين ، ومع التمسك بعادة « ضرب المصاف أو اتخاذ المجبوذة » لتكون بمثابة دافع يدعوهم للاستماتة في القتال ، والثبات بوجه العدو .

فقد ذكر الطبري في « تاريخه » [2] مثلا ، أن كل قسم من أقسام جيش القادسية ضم ثلاثة صفوف :

- الصف الاول : وقف فيه الفرسان .
- الصف الثاني : وقف فيه المشاة أصحاب الرماح والسيوف .
- والصف الثالث : خصص للرماة من حملة الاقواس .

هذا بالنسبة لترتيب الصفوف ، وأما بالنسبة لشكل هذه الصفوف فقد وضحه لنا « الهرثمي » صاحب مخطوط : « مختصر في سياسة الحروب » [3] ، حيث حدد لنا شكل هذه الصفوف بثلاثة أنواع :

١ ـ الصف المستوي : وهو الذي يكون فيه الجناحان والقلب على خط مستقيم ، وتبقى الساقة والمصاف في الخلف ، وهذا ما يجعله يشبه التشكيلة الحديثة التي تسمى (على شكل حرف T) اليوم .

٢ ـ الصف الهلالي : وهو الصف الذي يشبه الهلال أو حرف (ب) ، ويكون القلب فيه متأخرا عن الميمنة والميسرة .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ـ ص ٣٢٢ .
(٢) تاريخ الامم والملوك ـ ج ٤ ـ ص ١٣٠ .
(٣) مخطوط « مختصر في سياسة الحروب » ـ الورقات ٢٠ ـ ٢٥ .

٣ ـ الصف المعطوف : وهو الصف الخارج القلب الداخل الجناحين ، وتكون وراءه الساقة والمصاف مما يجعل هذه التشكيلة تشبه «تشكيلة المروحة» التي تستخدم في قتال الجماعة اليوم [١] .

وكان لاخذ الجيش الاسلامي بنظام « الصف » فوائد شتى ، حتى ان بعض المؤرخين اعتبره من جملة أسباب انتصار المسلمين في معارك العهد النبوي والراشدي . وقد حدد ابن خلدون فوائد هذا النظام بثلاث [٢] :

١ ـ « تكون الصفوف أثبت عند المصارع وأصدق في القتال » .

٢ ـ « أرهب للعدو لانه كالحائط الممتد والقصر المشيد الذي لا يطمع في ازالته » .

٣ ـ « وان المقصود منه حفظ النظام » .

ولو حاولنا أن نشرح هذه الفوائد الثلاث التي ذكرها ابن خلدون بلغة عسكرية ، حسب التعبيرات التي تستخدم عندنا في الوقت الحاضر ، لقلنا :

١ ـ يتلاءم هذا النظام مع متطلبات الترتيب العمقي ، مما لا يدع مجالا لقيام العدو بعملية خرق جبهة .

٢ ـ يترك بوسع القائد امكانية الاحتفاظ بالصف الاخير ، كاحتياط يزجه في المكان المناسب عند الحاجة ، او بتكليفه بمهمة الهجمات المعاكسة .

٣ ـ يؤمن تحقيق مبدأ السيطرة أكثر من نظام الكر والفر .

جـ ـ نظام الكراديس :

ولاحظ خالد بن الوليد ، أثناء حروبه في العراق ، انه كلما ازداد عدد المسلمين في جيشه ، كلما ازدادت بالتالي صعوبة السيطرة عليهم في القتال حسب نظام الصفوف السابق الذكر .

---

(١) انظر صورة هذه الصفوف في المخطط رقم ٥ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ـ ص ٣١٩ .

المخطط رقم ٥ . اشكال الصف عند العرب

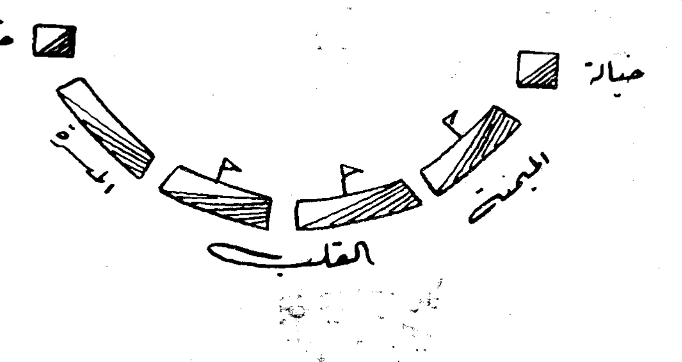
الميسرة القلب الميمنة

خيالة خيالة

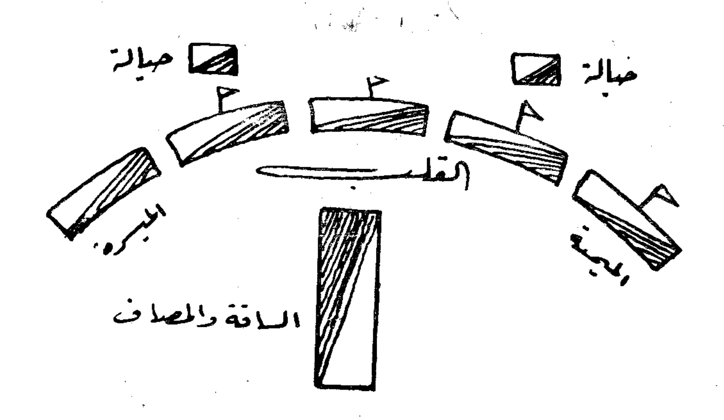
الصف المستوي

الساقة والمصاف

الصف هلالي



الصف المطوف



ولما سار من العراق الى دمشق ، ولاحظ نجاح « نظام الخميس » في حالات المسير ، أيقن أنه يجب تقسيم الجيش الى عدد من الكتل تمكنه من تأمين السيطرة على مجموع جيشه في وقت واحد .

وبعد الاشتباكات الاولى مع الروم ، في جبهات دمشق وبصرى ، لاحظ خالد أن الجيش الرومي يتبع نظاما يشبه نظام الكتل الذي كان يفكر فيه اذ يضم عدة تشكيلات تسمى (كورتيس Koortis) ولذا فقد صمم على محاربة الروم بنظام تعبئة جديد يشبه نظامهم .

وقد نفذ خالد فكرته في مرحلة التحشد لهذه المعركة ، وذلك بأن قسم جيشه ، الذي كان تعداده / ٤٠ر٠٠٠ / مقاتل ، الى أربعين كتلة تعداد كل منها حوالي ألف رجل ، وأطلق على الواحدة من هذه الكتل اسم « كردوس » تحريفا عن كلمة « كورتيس » اليونانية . وقد جعل خالد عدد الكردوس حوالي ألف رجل ، ليتمكن من أن يقاتل منفردا اذا لزم الامر ، واختار رجال الكردوس الواحد من المتعارفين بعضهم الى بعض ، وممن يعودون بأصلهم الى قبيلة واحدة أو أكثر ، وانتقى أمير الكردوس من رؤساء القبائل المشتركة فيه . وقد استتبع هذا النظام تقسيم الكردوس الى عدة وحدات اصغر منه ، وتسليم قيادتها الى رجال معروفين بالشجاعة في الحرب ، والكلمة النافذة في القبيلة .

ولم يكتف خالد بذلك بل قام ، رغبة منه في تحقيق قدر اكبر من السيطرة على قواته ، بجمع الكراديس الى بعضها حسب نظام الخميس ، بحيث جعل كل عشرة منها في تعبئة واحدة ، وذلك على الشكل التالي :

- امير التعبئة الاولى : ابو عبيدة بن الجراح ، على كردوس القلب .

- أمير التعبئة الثانية : عمرو بن العاص ، ويساعده شرحبيل بن حسنة ، على كراديس الميمنة .

- أمير التعبئة الثالثة : يزيد بن ابي سفيان ، على كردوس الميسرة .

ووزع الكراديس العشرة الباقية على « الطلائع » و « الساقة » .

وقد حقق هذا التنظيم للجيش العربي نصرا كبيرا تجلت فيه عبقرية خالد بن الوليد العسكرية ، وخاصة فيما يتعلق بالتنظيم والسيطرة أثناء القتال.

ولكن رغم نجاح هذا النظام ـ أي نظام الكراديس ـ فان العرب لم يجعلوه قاعدة حروبهم الا في سنة ١٢٨ هـ (٧٤٥ م) ، وذلك في عهد آخر خلفاء الامويين ، مروان بن محمد ، الذي أبطل نظام الصف نهائيا ، وحارب جميع أعدائه ، مثل الضحاك الخارجي الجبيري ، بنظام الكراديس الجديد . على أن بعض المتدينين ، من أهل البيت ، اعتبروا العدول عن نظام الصف الى نظام الكراديس بدعة في الاسلام ، فظلوا يرتبون جندهم في الحرب حسب نظام الصف مهما كانت النتيجة ، وذلك كما فعل ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عندما التقى بجيش الخليفة المنصور بامرة عيسى بن موسى ، حيث أشار بعض أصحاب ابراهيم عليه أن ينظم جنده على شكل (كراديس) ، وذلك « لان الكراديس أثبت في الحرب فاذا انهزم كردوس ثبت كردوس ، أما الصف فاذا انهزم بعضه تداعى سائره » ، فقال ابراهيم : « لا نصف الا صف أهل الاسلام » ، وكان أن خسر المعركة [1] .

د ـ نظام الانفتاحات :

ولما اتقن العرب أساليب الحرب ، وتمرسوا في فنونها ، أخذ قادتهم يدخلون التعديلات التي تقتضيها الضرورة على النظم السابقة ، وذلك بالاستناد الى تجاربهم الشخصية في الحروب التي خاضوها ، أو اقتباسا عن المؤلفات العسكرية التي كتبها علماء العرب او ترجموها عن اللغات الاجنبية [2] .

وقد خرجوا من كل ذلك بنظام يقتضي انفتاح الوحدات عن بعضها

---

(١) انظر كتاب « السلام والحرب في الاسلام » ـ ص ١٠٨ .

(٢) راجع الملحق الخاص الذي يبين ما ترجمه العرب أو ألفوه من الكتب العسكرية .

بالجبهة والعمق حسب التشكيلات الهندسية المعروفة ، ولذا اطلق عليه اسم « نظام الانفتاحات » [1] .

وقد طبق العرب هذا النظام بعدة تشكيلات مثل :

ـ الهلال المركب : وتشبه تشكيلة « الصف الهلالي » التي ألمعنا اليها آنفا ، مع اضافة هلالين صغيرين الى جانب الهلال الاصلي ، ليكونا بمثابة جناحين له .

ـ المربع

ـ المستطيل

ـ المعين

ـ شبه المنحرف

ـ المثلث

ـ الدائرة أو الدائرة المزدوجة .

وقد حددت الكتب التي ألفها العرب في « الفنون الحربية » ، بمعرض بحثها في « أشكال التعبئة » ، الاحوال التي يجب اتخاذ كل واحدة من هذه الانفتاحات فيها ، وذلك حسب عدد العدو وتسليحه ، وعدد الصديق وتسليحه ، وطبيعة الارض . فمثلا تشكيلة « المربع » كانت تؤخذ في حال نقص عنصر الخيالة في الجيش ، وذلك بجعل المشاة يشكلون أضلاعه ، وابقاء الخيالة في الوسط ليدعموا الجناح المهدد فقط . وتشكيلة « الدائرة » كانت تؤخذ عندما يكون عدد العدو يفوق عدد الصديق بشكل ملحوظ ، وفي حالات الدفاع الدائروي .

---

(١) انظر « تاريخ التمدن الاسلامي » لجرجي زيدان ـ ج ١ ص ١٨٧ ـ ١٨٨ ، وكتاب « الجندية في الدولة العباسية » لمؤلفه الرئيس الركن نعمان ثابت ـ ص ٢٥٩ ، والمجلة العسكرية العراقية ـ السنة الثانية ـ ج ١ ـ ص ٤٩ .

وقد ذكرت هذه الكتب نفسها بعض « الأيعازات » ، التي كان القادة ينطقون بها لينفذ الجند احدى هذه « الانفتاحات » ، أو لينتقلوا من احداها الى أخرى ، وها هي بعضها كما ذكرها صاحب كتاب «التمدن الاسلامي»[1] :

ـ الميل ـ الانقلاب ـ الانفتال •

ـ استدارة كبرى ـ استدارة صغرى ـ تسوية الانفتال •

ـ استدارة مطلقة ـ تقاطر ـ اقتران

ـ رجوع الى الاستقبال ـ اضعاف ـ رادفة

ـ اتباع الميسرة ـ اتباع الميمنة ـ ترتيب بعد تريب •

ـ حشو ـ رض ـ تقدم •

ـ جيش مستقيم ـ جيش منحرف ـ جيش مورب •

وكان اتخاذ احدى هذه التشكيلات يتم عند سماع الايعاز من فم القائد المباشر ، أو بقرع الطبول ونفخ الابواق ، أو بهز الراية هزا خاصا ، أو باعطاء اشارات معينة بواسطة الايدي وغير ذلك ••

وبمناسبة الحديث عن الايعازات ، لا يسعنا الا أن نذكر أن العرب عرفوا ، منذ السنوات الاولى في صدر الاسلام ، نداءات خاصة كانوا يحركون بها جندهم مثل [2] :

ـ السلاح السلاح : ويطلب فيها أن يتهيأ الجيش للقتال •

ـ النفير النفير : ويقصد بها القيام بالهجوم •

ـ الرجعة الرجعة : ويقصد بها الانسحاب أو التراجع •

ـ الخيل الخيل : ويقصد بها امتطاء الخيول لاجراء الهجوم الراكب •

ـ الارض الارض : ويقصد بها الترجل والانتشار على الارض •

وقد بقيت هذه النداءات مرعية لمدة طويلة ، وأضيف اليها ما دعت الحاجة لظهوره على مر العصور •

---

(١) « التمدن الاسلامي » لجرجي زيدان ـ ج ١ ـ ص ١٩٠ •

(٢) انظر : « الجندية في الدولة العباسية » ـ ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ ، وكتاب « السلام والحرب في الاسلام » ـ ص ١٠٨ •

ثانيا – تعبئة الوحدات الصغرى :

ان الوحـدات الصغيرة (الزمرة ، الجماعة ، الفصيلة ، السرية) لا تقاتل منفردة عادة ، بل ضمن الوحدات الكبرى التي تدخل في تشكيلها ، ويكون ترتيبها حينذاك متناسبا طبعا مع ترتيب الوحدة الاكبر .

وقد ذكر القاضي أحمد بن محمد الحموي ، في كتابه : « النفحات المسكية في صناعة الفروسية ، بعض التعبئات التي يصح أن تأخذها الوحدات الصغيرة منفصلة ، وذلك حسب التشكيل التالي :

١ – تشكيل الزمرة :

يقول القاضي الحموي : « وان أردت أن ترتب خمسـة نفر فعـلى هذا الترتيب » [١] :

وهي تشكيلة تشبه تشكيلة « مثلث القاعدة الى الامام » حاليا .

٢ – تشكيل الجماعة :

أما الجماعة التي يبلغ عدد أفرادها تسـعة رجال ، فقـد أوصى لها بالتشكيلة التالية [٢] :

وهي تشكيلة « مثلث الرأس الى الامام » كما تسمى حاليا .

٣ – تشكيل الفصيلة :

كما أنه اقترح للفصيلة ، التي يبلغ أفرادها حوالي عشرين رجلا ، التشكيلة التالية [٣] :

وهي تشكيلة «شبه المنحرف القاعدة الكبرى الى الامام» كماتسمى الآن .

٤ – تشكيل السرية :

كما ذكر « الحموي » تحت اسم « الوقفة الوفقية » ، تشكيلة تصلح لسرية ، وذلـك بقوله في الصفحة الخامسة والثمانين من كتـــابه الملمع اليه آنفـا :

« كان ملوك الاسلام قديما يعتمدون عليها ، جملة رجالها أو فرسانها خمسة وأربعون (٠٠٠٠) فليتقدم بحول الله وقوته فارس واحد ، ثم بعده

---

(١) و (٢) و (٣) : انظر كتاب « النغمات المسكية في صناعة الفروسية » للقاضي الحموي – ص ٨٩ . وأما صور التشكيلات فتراها في المخطط رقم ٦ .

المخطط رقم ٦ : تعبئة الوحدات الصغيرة كما نصح بها القاضي الحموي

+ + +

+ +

١ ـ تشكيلة الزمرة

+ + +

+ + + + + +

٢ ـ تشكيلة الجماعة

+ + + + + + + + + +

↑

+ القائد ● +

+ +

+ + + + +

٣ ـ تشكيلة الفصيلة

فارسان على شماله ، ثم يتقدم ثلاثة على يساره ، ثم أربعة على يساره ، ثم خمسة فوارس على يمينه ، ثم ستة على يساره ، ثم سبعة على يمينه ، ثم سبعة بعدهم ، ثم تسعة فوارس وراء الجمع المنصور • فاذا أرادوا رميا بالسهام ، فليرم الواحد مستعينا بالله تعالى ، ثم الاثنان ، ثم الثلاثة ، ثم الاربعة، ثم الخمسة، ثم الستة، ثم السبعة، ثم الثمانية، ثم التسعة، ويكون رمي كل طائفة معا كرمي رجل واحد دائما ، ويكونون قد ألفوا هذا الترتيب المبارك ، وعلموه وعلموه (••••) • فان كانوا رماحة تباعدوا عن رفقتهم بقدر تفريق الرماح ، فاذا حملوا حملوا دفعة واحدة معا ، لا خروج لكل عدد من رفقته » [١] •

٥ ـ تشكيل الكتيبة [٢]

ولا بأس هنا أن نذكر تشكيلة أوصى بها القاضي الحموي بالنسبة لكتيبة تتألف من **٣٢٥** رجلا ، وذلك على شكل خمسة صفوف : الصف الاول **٧٥** رجلا ، والصف الثاني **٦٥** رجلا ، وكذلك الصف الثالث، والصف الرابع **٦٠** رجلا ، وكذلك الصف الخامس •

أما الارتال فيتراوح عدد الواحد منها أيضا بين **٥٥** و **٧٠** رجلا ، وذلك حسبما هو مبين أدناه :

٣١	٢٣	٨	٦	٧	=	٧٥
١	١٤	٩	١٦	٢٥	=	٦٥
٢	١٥	١٣	١١	٢٤	=	٦٥
٢٢	١٥	٧	١٢	٤	=	٦٠
٩	٣	١٨	٢٥	٥	=	٦٠
=	=	=	=	=		
٦٥	٧٠	٥٥	٧٠	٦٥	=	٣٢٥

(١) و (٢) أوصى القاضي الحموي بهاتين التشكيلتين لملاءمتهما من حيث الحظ وحساب الارقام أيضا ، ولكننا وجدناهما معقولتين تعبويا فذكرناهما •

وقد اشترط القاضي الحموي ، في تشكيل الوحدات الصغيرة ، أن يوضع الرجال القصار أمام الطوال ، وان يكون جميع أفراد التعبئة الواحدة من المتعارفين الذين ينتسبون في أصولهم الى قبيلة واحدة ، وان يكون قائدهم من قبيلتهم نفسها ، لكي تنشأ بين الافراد وقائدهم ، وبين الافراد أنفسهم « روح العصبة » ، وقد قال في ذلك :

« ومن لوازم التعابي في الحروب أن يكون القصار من الرجال أمام الطوال ، ليتمكن القصار من النظر ، ولئلا تسترهم الطوال عن ذلك .... وهذه وصية يجب العمل بها ولا يعدل عنها لغيرها ، وذلك أن يكون حين التعبئة كل قبيلة مع أختها وكل جنس مع جنسه ، لئلا يحصل التنازع ، وكذلك فليكن مقدم كل طائفة منها ، ومن فعل غير ذلك في التعابي من أمراء الجيوش فقد أتعب نفسه ، وأضعف عساكره فيما لا فائدة فيه » [1] .

ثالثا ـ تعاون مختلف الصنوف :

كانت الصفوف ترتب حسب الخطة الموضوعة مسبقا للمعركة ، ففي بعض المعارك نرى الرجالة أمام الخيالة ، وفي أخرى نرى العكس ، ولكن يمكن ان نقول بشكل عام ان المشاة وقسما من النبالة كانوا يشكلون عنصر القلب الرئيسي ، بينما يشكل الخيالة وقسم آخر من النبالة عنصري الميمنة والميسرة . وكان الاحتياط يشكل من جميع الصنوف ، أما الشؤون الادارية فتبقى في المصاف مع بعض النبالة للحماية [2] . ولا بأس أن نذكر هنا شيئا عن ترتيب الصفوف في بعض المعارك :

يقول المؤرخ العربي الشهير « الطبري » في تاريخه [3] ان جيش القادسية نظم في ثلاثة صفوف : في الاول وقف الفرسان ، وفي الثاني وقف الرجالة أصحاب السيوف والرماح ، وفي الثالث وقف الرماة . أما في معركة

---

(١) « النفحات المسكية في صناعة الفروسية » ، ص ٨٧ ـ ٨٨ .

(٢) أنظر المخطط رقم ٧ .

(٣) ج ٤ ـ ص ١٣٠ .

المخطط رقم ٧ :

مخطط ترتيب الصفوف في معارك العرب

خيالة

مشاة مع نبالة

خيالة

نبالة

نبالة

احتياط من جميع الصفوف

المصاف

ش.١ ونبالة

اليرموك فقد نظم أبو عبيدة كراديسه في ثلاثة صفوف أيضا ، وجعل الخيالة في مجنبات الصفوف .

وقد ذكر « الطرسوسي » نظاما لترتيب الصفوف يقضي بوضع المشاة أمام الخيالة ، ووضع النبالة ضمن الفرج بين المشاة ، وذلك بقوله :

« يجعل الراجل أمام الفارس ليكون له له كالحصن المانع ، وينصب أمام كل رجل منهم جنوية أو طارقة أو ستارة تكف عنه شر من يرومه بسيف أو رمح أو سهم واقع ، وليجعل بين كل راجلين من هؤلاء الرجالة رام اما بقوس أو جرخ أو نبالة ، ليرمي اذا لاحت له فرصة في الاعداء أو تبين له من الجمع العاضد اختلالة »[1] .

هذا بالنسبة لترتيب الصنوف ، وأما بالنسبة لتعاون هذه الصنوف بين بعضها فقد كان يتم حسبما يلي :

آ ـ في استخدام النبالة :

قام النبالة بأدوار مشرفة دوما في المعارك التي خاضها العرب ، ففي معركة أحد كان عدد النبالة المسلمين خمسين رجلا بقيادة عبد الله بن جبير، وفي معركة اليرموك قسم خالد بن الوليد الرماة فجعل ٥٠٠ في الميمنة و ٥٠٠ في الميسرة و ٥٠٠ في القلب .

وبينما كانت قوة الرمي في الجيوش الاخرى التي سبقت العرب تقاتل بدون وجود خطة منسقة ، حيث يختار النبال أو الزراق أو المنجنيقي هدفه ثم يرمي عليه بنفسه ، نجد العرب قد أدخلوا مبدأ السيطرة على الرمي ، وتنسيق قوة الرمي مع القوى الاخرى ، وذلك بتحديد الاهداف للنبالة ، ثم الايعاز بالرمي عليها حسب الخطة الكاملة للمعركة . وان ادخال مبدأ السيطرة على الرمي سبب حدوث تطورات مهمة في معارك ذلك الوقت ، وأهم هذه التطورات هي :

---

(١) انظر : Bulletin d'Etudes Orientales - Tome X 11 - Page 126

ـ امكان تكثيف الرمي فوق بقعة معينة •
ـ امكان نقل الرمي من بقعة الى أخرى في ساحة المعركة •
ـ امكان دعم تقدم المشاة الصديقة في هجومها على العدو ، أو حماية تراجعها وانسحابها •
ـ امكان حماية المجنبات بالرمي فقط ، وذلك بتركيز الرمي على المجنبة المهددة •

ب ـ في استخدام الخيالة (١) :

تبوأت الخيالة مكان الصدارة في حروب العرب ، حتى كاد جيشهم أن يكون كله من الخيالة في معركتي اليرموك والقادسية • أما المكان الذي كان يعطى للخيالة ضمن صف المعركة فهو غالبا في الاجنحة أو المقدمات •

وكان الخيالة العرب يقومون بخمسة واجبات أثناء المعركة عادة وهي :
١ ـ الاستطلاع والريادة •
٢ ـ مهاجمة خيالة العدو بالذات وابعادهم عن المعركة ، ومنعهم من تطويق القوات الصديقة بشكل خاص •
٣ ـ مهاجمة بقية صنوف العدو من مشاة ونبالة ، وذلك بالاشتراك مع المشاة العرب •
٥ ـ مطاردة فلول العدو •

وتجري المرحلة الاولى في تنفيذ هذه الواجبات بتكثيف رمي النبالة على فرسان العدو في البقعة المراد مهاجمتها فيها ، قبل ان يقوم الخيالة العرب بهجوم صاعق عليهم ، مستخدمين الرماح والسيوف وغيرها ، حتى يردوهم عن أماكنهم • وبعد أن يتغلبوا على خيالة العدو ، كانوا يقومون بهجوم راكب على مشاته ، بالاشتراك مع المشاة العرب طبعا ، ، وذلك كما حدث في معركتي اليرموك والقادسية• وبعد اندحار العدو يتولى الخيالة ، أو قسم معين

(١) انظر أيضا الفقرة الخاصة بصنف الخيالة في الفصل الثامن من كتابنا هذا •

منهم يركب الخيول السريعة ويزود بالسهام الخفيفة ، مطاردة العدو من مشاة وخيالة وانزال اكبر الخسائر في قواته •

ج ـ في استخدام المشاة :

كان المشاة العرب يشكلون قوة الصدمة الرئيسية في الجيش العربي ، ولذا فقد كانوا يؤلفون القوات الرئيسية في قلب التشكيل •

وكان تسليحهم مختلف الانواع والاحجام ، ولذا كانوا يقسمون الى عدة صفوف ، كل صف يحمل نوعا معينا من السلاح •

وكان العرب يضعون الجنود المدربين تدريبا عاليا، والمسلحين بالاسلحة القوية في الصفوف الاولى ، وبهذا خالفوا من سبقهم من الامم ، كالرومان مثلا الذين كانوا يعمدون الى وضع الجنود الضعاف التدريب والتسليح في الامام ، وابقاء الجنود المدربين في الصفوف الخلفية [1] •

د ـ في استخدام الاحتياط :

كان العرب يقدرون أهمية وجود احتياط ، ولذا فقد كانوا لا يزجون كل قوتهم في المعركة مباشرة ، بل يبقون جزءا منها كاحتياط مهما كانت هذه القوة صغيرة ، ومن أقوالهم في ذلك : اذا حاربتم وكنتم ثلاثة فاجعلوا واحدا مددا « أي احتياطا » [2] •

وبصورة عامة يمكن أن نقول ان القادة العرب كانوا يحتفظون دوما بما يعادل حوالي ثلث قوتهم تقريبا من الخيالة والمشاة كاحتياط ، وذلك لان المعركة حسب عقيدة القائد العربي كانت عبارة عن عدد من الضربات المتلاحقة التي ينبغي ان توجه الى القوة الرئيسية في جيش العدو ، كلما فشلت ضربة وجه الثانية بقسم من الاحتياط ، حتى يتم له النصر • ولهذا السبب دامت

---

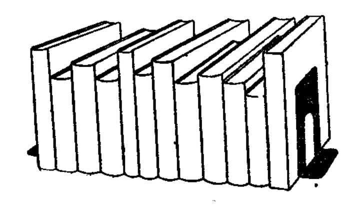
(١) اذا أحب القارىء التوسع في معرفة تشكيل وتنظيم الجيش الروماني ، فليتفضل بمراجعة البحث الذي كتبناه في « المجلة العسكرية » ، عدد كانون الثاني ١٩٦٣ ، حول هذا الموضوع •

(٢) رسائل الجاحظ ـ الرسالة الثانية ـ ص ٣٤ •

معركة القادسية ثلاثة أيام وليلة (يوم أرماث ـ يوم أغواث ـ يوم أعماس ـ ليلة الهدير) ، ودامت معركة اليرموك المدة نفسها تقريبا •

★ ★ ★

وبعد أن أطلعنا على موجز بتحليل المعارك الهجومية عند العرب ، سوف لا ينتابنا العجب اذا قلنا ، ان « تكتيك » هذه المعارك لا يزال يدرس في أرقى كليات الاركان والمدارس الحربية في العالم اليوم •



الفصل الرابع عشر
قادة الحرب العرب

من المعروف ان القيادة الناجحة في الحروب تقود الجيوش الى أهدافها، وتؤدي دائما الى النصر ، وقد فطن العرب لاهمية القيادة وشخصية القائد ، فقالوا منذ قديم الزمن : « أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد » [1] .

وقد ربح العرب كثيرا من المعارك الحاسمة ، التي كان لها أثر كبير في التاريخ [2] ، بفضل قادتهم العسكريين ، اولئك القادة الذين قفزت أسماؤهم الى مصاف القادة المثاليين ، لما امتازوا به من صفات القيادة العسكرية الناجحة .

صفات القادة العرب :

لقد كان القادة العرب يتميزون بصفات كانت من أهم عوامل انتصارهم على اعدائهم ، وأهم هذه الصفات :

١ ـ الايمان :

فلقد كانوا يؤمنون بالله وبرسوله ، وبعدالة القضية التي يحاربون من

---

(١) كتاب « سراج الملوك » للطرطوشي ـ ص ١٤١ .

(٢) انظر أهم هذه المعارك في الملحق رقم ٢٠ .

أجلها ، ولذا كانوا يجاهدون لا طمعا في الدنيا ، ولكن حبا في نصرة العقيدة الاسلامية ، وأملا بدخول الجنة ، التي وعد الله بها عباده الصالحين • ويستتبع هذ االشرط توفر شرط آخر وهو «التقوى» ، فقد كان يشترط في القائد ان يكون على درجة كبرى من التدين والورع وتقوى الله ، وذلك لكي يكون قدوة حسنة لجنده ، يقتدون به في مسيرهم ونزولهم وقتالهم •

٢ ـ الثقة :

وكان القادة يثقون بأنفسهم وبجندهم وبقيادتهم كل الثقة ، وقد تغلبوا بفضل ثقتهم هذه على جميع العقبات التي اعترضت طريق فتوحاتهم •

فلولا ثقة عمرو بن العاص بنفسه وبقيادته العليا لما توجه لفتح مصر بأربعة آلاف مقاتل فقط ، ولولا ثقة طارق بن زياد بجنده وبنفسه لما أمر بحرق الاسطول العربي الذي قدم به الى بلاد الاندلس •

٣ ـ الشخصية القوية :

ولقد كان القائد العربي ينتقى دوما من ذوي الشخصيةالقوية ، والكلمة المسموعة ، ليستطيع قيادة جنده في شتى مراحل المعركة • ومن أمثلة القادة ذوي الشخصية القوية خالد بن الوليد ، الذي يدلنا الحادث التالي على مقدار اعتزازه برأيه وسيطرته على جنده :

بعد ان انتهى خالد من محاربة المرتدين ، قرر المسير الى البطاح ليلاقي مالك بن نويرة ، فتردد من معه من الانصار وقالوا له :

« ما هذا بعهد الخليفة الينا ، انما عهده ان نحن فرغنا واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى يكتب الينا » ، فرد عليهم خالد بجواب حاسم حيث قال :

« ان يكن عهد اليكم هذا ، فقد عهد الي أن أمضي وأنا الامير ، والي تنتهي الاخبار ، ولو أنه لم يأتني كتاب ولا أمر ثم رأيت فرصة ان أعلنته بها فاتتني لم أعلمه حتى أنتهزها »[1] •

---

(١) انظر « السلام والحرب في الاسلام » ـ ص ١٢٢ •

٤ ـ الشجاعة :

ولقد كانت شجاعة القادة العرب مضرب الامثال دوما ، ويكفي أن نذكر في هذا الصدد ان شجاعة خالد بن الوليد مثلا كانت أروع من أن توصف حتى أن أبا بكر قال عندما فكر بايفاده لمحاربة الروم « والله لانسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد » ، كما قال عمر : « ان في سيف خالد بن الوليد رهقا » .

وكان مشاهير القادة العرب ، مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص ، ينتصرون بأسمائهم كما كانوا ينتصرون بسيوفهم ، وذلك لان أعداءهم كانوا يعرفونهم في مواقع سابقة ، ولذا كان يكفي أن يسمعوا بأسمائهم من جديد حتى يعمل الرعب في قلوبهم وتضعف قواهم المعنوية .

ومن الامثلة على شجاعة القادة العرب ، ما فعله المثنى بن حارثة في وقعة « بابل » ، حين لاحظ تفرق جماعته لما أنزل الفرس فيلتهم الى ساحة المعركة، فما كان من المثنى الا أن تقدم ناحية أول فيل وانهال عليه برمحه حتى صرعه، فقويت معنويات جنده ، وكروا على الروم كالجبال الراسيات فكان لهم النصر .

٥ ـ المهارة الحربية :

ولقد كان القادة العرب ، ابتداء من الرسول وحتى صلاح الدين ، على درجة من المهارة الحربية تصل في مستواها الى القيادات التي يفخر بها تاريخ الحرب ، فلقد كانت خططهم الحربية التي يصنعونها قلما تفشل .

ويكفي هنا أن نذكر وصف الماريشال الالماني « فون دركولتز » [١] لخطة خالد بن الوليد في اليرموك حيث يقول : « ان خطة خالد بن الوليد

---

(١) فون دركولتز هو ضابط ألماني كبير ، حارب في عدة جبهات خلال الحرب العالمية الاولى ، وخاض معارك العراق سنة ١٩١٧ ضد الانكليز . وقد مكنته اقامته في الاراضي العربية من الاطلاع على التاريخ الحربي للعرب والتعمق فيه .

في معركة اليرموك كانت خطة ما عرف التاريخ الحربي أروع منها ولا أوفى، ولم يستطع أحد لا من قبله ولا من بعده مجاراته في مثلها قط » .

٦ ـ صفات أخرى :

كما جمع هؤلاء القادة بأشخاصهم أغلب الصفات التي يجب توفرها في القائد الناجح ، كاليقظة والحذر ، والحكمة ، والذكاء ، وبعد النظر ، وصدق الحس ، والثبات ، ومضاء العزيمة ، والحنكة ، وحسن المنظر ، وقوة التحمل ، والتواضع ، والنزاهة ، والعدل ، وحب المساواة .. وغير ذلك من الصفات التي ساعدت على تحقيق أعظم الفتوحات ، لا في التاريخ الاسلامي فحسب ، بل في تاريخ البشرية بأسرها .

واجبات القائد العربي :

كان رسول الله (ص) يقود الجند بنفسه في معظم الاحيان ، ولكن خلفاءه لم يتيسر لهم أن يقودوا جميع الجيوش المرسلة الى البلدان المختلفة، ولذا فقد اختاروا لهذه الجيوش قوادا ممن توفرت بهم جميع صفات القيادة الناجحة التي عرضناها سابقا أو أغلبها .

وكانت طاعة هؤلاء القادة في الحرب واجبة كطاعة الخليفة سواء بسواء ، وبعد انتهاء الفتح ووقف القتال ، كان سلطانهم يقتصر على النظر في أحوال الجنود ، وتحسين معداتهم وأسلحتهم وتدريبهم .

وكان القائد ينوب عن الخليفة في اقامة الصلاة ، واذا ما اجتمع اكثر من قائد في مكان واحد ، فان الخليفة يعين أحدهم للصلاة بالجند ، فيكون هذا التعيين بمثابة كتاب بتوليته القيادة ، ويصبح « القائد العام » لجميع الجيوش الاسلامية الموجودة في منطقته . أما واجبات القائد فقد كانت تنحصر بما يلي :

١ ـ يجب عليه ان يتصفح الجيش (أي يستعرضه ويفتشه) قبل انطلاقه للمعركة ، وذلك لكي يصلح الخلل الذي يحتمل وجوده فيه .

٢ ـ حراسة جنده من غرة (مفاجأة) يظفر بها العدو منهم ، وذلك بأن يحيط معسكرهم بحرس كاف يأمنون به على نفوسهم ليسكنوا في وقت الراحة ، وبأن يأمر بحفر الخنادق وبث الدوريات وطرح الحسك عند اللزوم ٠

٣ ـ أن يتخير لهم مواضع نزولهم لمحاربة عدوهم ، وذلك بأن تكون هذه المواضع كثيرة الماء والكلأ ، وان تتوفر بها شروط المنعة الطبيعية والتحصين ، لكي تكون أقوى للجند على المرابطة ٠

٤ ـ اعداد ما يحتاج الجند اليه من زاد وعلوفة ومعدات وأسلحة ، ليكونوا أقدر على منازلة العدو ٠

٥ ـ ان يستطلع أحوال العدو، ويجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن قواته ، لكي يعد خطة ناجحة تكفل له الانتصار عليه ٠

٦ ـ ترتيب الجيش في مصاف الحرب ، وتفقد صفوفه ، وتقوية القطاعات الضعيفة بالعون ٠

٧ ـ وعلى القائد أن يقوي من معنويات جنده ، وذلك بالقول والفعل :

ومن أمثلة تقوية معنويات الجند بالقول ، ما فعله المثنى بن حارثة في احدى معارك العراق لما لاحظ ضعفا ووهنا في صفوف بني عجل ، حيث أرسل ساعيا قال لهم : « ان الامير يقرئكم السلام ويقول لا تفضحوا المسلمين اليوم » ٠

وأما تقوية الجند بالفعل ، فتتمثل بما فعله عمرو بن العاص في معركة اليرموك ، لما لاحظ أن جنده قد تراجعوا وانكشف حامل رايتهم منهزما بعد حملة هائلة من الروم ، فما كان من عمرو الا أن أسرع وأخذ الراية منه ، وقاتل بها ، مما ألهب مشاعر جنده حماسا ، فكروا من جديد على قوات العدو وهزموها ٠

٨ - وعلى القائد أن يشاور أصحابه فيما أعضل عليه حله ، وعلى هؤلاء ان يمحضوه النصح ، ويتركوا له الاخذ بنصائحهم أو التمسك برأيه فهو القائد ، وهو المسؤول .

٩ - وعليه كذلك أن يأخذ الجند بما اوجبه الله تعالى من حقوقه ، وأمر به من حدوده ، حتى لا يكون بينهم تجاوز في دين ، ولا تحيف في حق ..

وقد قال عمر بن الخطاب في وصيته لاحد قادته :

« واما بعد فاني آمرك بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وآمرك ومن معك ان تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لان عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم فان استوينا في المعصية كان الفضل لهم علينا في القوة ، واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم » .

١٠ - وأخيرا يجب على القائد أن لا يمكن أحدا من الاشتغال بالتجارة او الزراعة ، لئلا يصرفه ذلك عن صدق الجهاد .

قادة الفتوحات العربية :

ولا بد لنا ، وفاء لذكرى هؤلاء الذين دوخوا بفتوحاتهم الارض ، من أن نعرف القراء بهم ولو بأسطر قليلة .

لقد كان هؤلاء القادة على درجة من الايمان والاندفاع والمهارة الحربية جعلتهم يصلون في حدود الدولة العربية الواحدة الى أصقاع تشكل حاليا ما ما يزيد عن ثلاثين دولة ، فلقد ضمت الدولة العربية ، في أوائل القرن الثاني للهجرة ، ما يسمى الآن جزيرة العرب وبلاد الشام بكاملها ، وقسما من تركيا ، والعراق ، وايران ، والباكستان ، وأفغانستان ، وقسما من بلاد الهند ،

وعدة جمهوريات من الاتحاد السوفييتي حاليا ، ومصر ، وليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب ، وموريتانيا ، وقبرص ، ورودوس ، وصقلية ، وكريت ، وسردينيا ، وكورسيكا ، ومالطة ، وجزر الباليار ، واسبانيا ، وقسما من فرنسا ، وقسما من شواطيء ايطاليا الجنوبية [1] .

ونظرا لان هذه الفتوحات كانت بكاملها في العهدين الراشدي والاموي، لذا سنكتفي بذكر مشاهير القواد في هذين العهدين فقط وأهم هؤلاء هم [2] :

١ ـ الزبير بن العوام :

هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي أحد أجداد النبي (ص) ، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ، وهو ابن أخ خديجة بنت خويلد أم المؤمنين .

ولد سنة **٥٩٣** م ، فهو أصغر من الرسول باثنين وعشرين عاما ، وقد ظهرت عليه أمارات النجابة والشجاعة منذ صغره ، وشهد معارك الرسول كلها ، وكان يقول دوما « اني أهب نفسي لله ، وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين » .

قاد نجدة تعدادها اثنا عشر ألف مقاتل أرسلها عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص في مصر ، وقد اثبت مهارة حربية في قيادة هذه النجدة من المدينة الى الفسطاط ، كما أثبت شجاعة فائقة في معركة احتلال حصن بابليون ، حيث أسند السلم الى سور الحصن ، وكان أول من صعد ، فرفع سيفه في الهواء وكبر ، ورد عليه جماعته ، فخاف الروم وهربوا الى جزيرة « الروضة » ، بعد أن دافعوا داخل الحصن لمدة سبعة أشهر .

---

(١) يرينا المخطط رقم ١ ، المربوط بالصفحة السادسة عشرة من كتابنا هذا ، خارطة الدولة العربية في أقصى اتساعها .

(٢) نجد من الواجب علينا أن ننوه بأننا استقينا أغلب هذه التراجم من كتاب « قادة الحرب العرب » لمؤلفه السيد المقدم محمد فرج .

وقد قتل الزبير غدرا من قبل ابن جرمون في وادي السباع يوم الخميس ١٠ جماد الاولى سنة ٣٦ هـ (٦٥٦) ، وعمره ست وستون سنة .

٢ - علي بن أبي طالب :

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وامه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، وهو ابن عم رسول الله ، وزوج ابنته فاطمة .

ولد في سنة ٦٠١ م ، أي بعد ميلاد الرسول بثلاثين سنة ، وأسلم وعمره عشر سنين ، فهو أول من أسلم بعد خديجة .

وقد كان علي من أشجع شجعان العرب ، واشترك في معظم الغزوات والفتوحات التي تمت في عهد النبي . وأشهر الحوادث التي تدل على شجاعته مبارزته لعمرو بن عبد ود في يوم الخندق ، فقد كان عمرو أشجع من عرفتهم جزيرة العرب ، وجاء مع قريش لمحاصرة النبي ، وعبر الخندق من أضيق مكان فيه ، ودعا للقتال مرارا فلم يقم اليه أحد ، فلما أكثر من النداء قال علي للرسول : « أنا أقاتله يا رسول الله » ، فأمره الرسول بالجلوس خوفا على حياته ، وعندها قال عمرو ، والمسلمون كأن على رؤسهم الطير :

« أيها الناس ، انكم تزعمون أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار ، أفلا يحب أحدكم أن يقدم على الجنة ، أو يقدم عدوا له الى النار » ، فلم يقم أحد الا علي ، ولكن الرسول أمره بالجلوس ثانية ، وجال عمرو بفرسه مقبلا مدبرا يتحدى المسلمين وهو ينشد :

ولقد بححت من النداء بجمعهم هل من مبارز
ووقفت مذ جبن المشيع موقف القرن المناجز
اني كذلك لم أزل متسرعا قبل الهزاهز
ان الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقام علي للمرة الثالثة، وقال : « يا رسول الله ، ائذن لي في مبارزته » ،

فأجابه الرسول الى طلبه ، وقال له « ادن مني » ، حتى اذا دنا منه قلده سيفه، وعممه بعمامته ، وقال : « امض لشأنك » .

ولما انصرف علي لمبارزة عمرو ، التفت الرسول الى صحابته وقال : « برز الايمان كله الى الشرك كله » ، ثم رفع يديه الى السماء ودعا ربه قائلا :

« اللهم انك أخذت مني عبيدة يوم بدر ، وحمزة يوم أحد ، فاحفظ لي عليا ، رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين » .

أما علي فقد انطلق مسرعا نحو عمر بن عبد ود ، وأجابه على شعره :

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة يرجو بذاك نجاة فائز
اني لآمل أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة فوهاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

وعندما رأى عمرو عليا قال له :
ـ من أنت ؟ فأجاب علي :
ـ أنا علي بن أبي طالب .
ـ أجل ، لقد كنت صديقا ونديما لابيك ، فارجع فاني لا أحب قتلك.
ـ ولكني أحب أن أقتلك .
ـ يا ابن أخي ، اني لاكره أن أقاتل الرجل الكريم مثلك .
ـ اني أدعوك الى الاسلام .
ـ دع عنك هذا ..
ـ اني أدعوك أن ترجع بمن تبعك من قريش الى « مكة » ..
ـ اذا تتحدث عني نساء قريش أن غلاما خدعني .
ـ اني أدعوك الى القتال ..
ـ ما كنت أظن أن أحدا يرومها مني .

ثم تقاتل الاثنان فثارت لهما غبرة حجبتهما عن العيون ، الى أن سمع الناس التكبير فعلموا أن عليا قتله ، وعندها قال الرسول :

« ذهبت ريح أعدائنا ، ولا يغزوننا بعد اليوم ، ونحن نغزوهم ان شاء الله تعالى » .

واستشهد علي غدرا بيد ابن ملجم ، يوم ١٩ رمضان سنة ٤٠ هـ ، وقال بكر بن حسان الباهري في رثائه :

قل لابن ملجم والاقدار غالبة
هدمت للدين والاسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم
وأعظم الناس اسلاما وايمانا
صهر النبي ومولاه وناصره
أضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له
ما كان هارون من موسى بن عمرانا

٣ ـ خالد بن الوليد :

هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة بن مرة أحد أجداد النبي ، وامه لبابة الكبرى بنت الحارث بن خزن الهلالي ، وهي اخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي .

وكان خالد في الجاهلية أحد أشراف قريش ، وكان المقدم على خيولهم في غزوة أحد قبل أن يسلم في السنة السابعة للهجرة . وحاز خالد النصر في كل الوقائع التي خاضها ، ولذا فقد لقبه النبي « سيف الله » . وقد كلف خالد بتأديب المرتدين في عهد أبي بكر ، وبعد اخضاعهم والقضاء على فتنتهم، أمره الخليفة بالتوجه الى العراق لفتحها ، فتوجه الى هناك وواقع الفرس في معارك « الحفير » ، و « الثني » ، و « الولجة » ، و « الليث » ، و « برقلي »

وغيرها ، وفتح الحيرة عاصمة العراق ، والأنبار ، وعين التمر ، ودومة الجندل •

وبعد نجاحه في معارك العراق ، أمره الخليفة أبو بكر بالسير مع جيشه الى الشام ، ليقود جند المسلمين في معركة اليرموك ، فقام بمهمته خير قيام بشكل يمكن اعتبار خطته في هذه المعركة خطة مثلى يصح أن تدرس كنموذج في الكليات والمدارس العسكرية •

ولما انتهت وقعة اليرموك ، سار خالد بجنده لحصار دمشق ، وفي أثناء حصارها جاء البريد من المدينة بنعي أبي بكر واستخلاف عمر وعزل خالد عن قيادة الجيش لتسليمها الى أبي عبيدة بن الجراح ، فكتم خالد الخبر حتى تم فتح دمشق ، وعندها سلم القيادة لابي عبيدة بعد أن أذاع موت أبي بكر •

ولقد قال بعضهم لخالد بعد موقفه هذا : « كيف تجد في فتح بلدان الشام والفتح منسوب الى ابي عبيدة لا لك ، وقد صنع عمر بك ذلك » ؟ فأجاب : « انما أفتح الشام لله لا لعمر ، ولا أبالي بأن يقال الفاتح أبو عبيدة أم خالد ، انما يهمني فتح الشام وقد فتحت » • وكان لا يهتم بشيء قدر اهتمامه بالفتوحات والتدريب العسكري ، حتى أن المؤرخ أوجست مولر قال عنه في كتابه « الاسلام » : « لقد كان خالد بن الوليد من اولئك الذين كانت عبقريتهم الحربية هي كل حياتهم الفكرية مثل نابليون ، فانه لم يعن بشيء غير الحرب » [1] •

وقد مرض خالد سنة ٢٣ هـ (٦٤٣ م) مرضا شديدا ، وقال وهو على فراش الموت : « قد دق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، وقد شهدت مائة زحف أو نحوها ، وما في بدني موضع شبر الا وبه ضربة أو طعنة أو رمية وها أنذا أموت على فراشي كما تموت العير فلا نامت أعين الجبناء » • وقد

---

(١) عن كتاب « أبي بكر الصديق » لمحمد رضا ــ ص ١٤٢ •

أبدع المقدم « سيد فرج » في ذكر مفاخر خالد حين قال [1] : « بلغ خالد في معركة اليرموك قمته العليا التي لا مرتقى بعدها لراق ، قمع فتنة الردة ، وضرب دولة الاكاسرة ، ووحد قيادة المسلمين ، وهزم الرومان ، وكان صاحب دور تاريخي يضعه بين عظماء القادة .

وهو قائد لم تعوزه قط صفة من صفات القائد الكبير المفطور على النضال ، وهي الشجاعة والنشاط والجلد وحضور البديهة واليقظة وسرعة الملاحظة وقوة التأثير . وقد نفذ خالد مبادىء الحرب قبل أن يعرفها القادة في عهود المدنية الحديثة ، فاذا ذكرتم اسماء الاسكندر وهانيبال وقيصر ونابليون فارجعوا الى تاريخ العرب واذكروا مع هؤلاء ..... او قبل هؤلاء ..... خالد بن الوليد » ...

٤ ـ عمرو بن العاص :

كان عمرو بن العاص أحد ثلاثة اشتهروا بين العرب بالدهاء ـ والاثنان الآخران هما المغيرة بن شبعة ومعاوية بن أبي سفيان ـ ولذا فقد ارسلته قريش ، قبل اسلامه ، كسفير لدى النجاشي لمفاوضته في تسليم من لجأ اليه من المسلمين .

وبعد اسلامه ، قاد معركة « ذات السلاسل » في عهد الرسول ، كما اشترك ، مع عدة قادة مسلمين آخرين ، في معركة اليرموك وفي فتح بلاد الشام .

ثم خاض معركة « اجنادين » فانتصر فيها على « أرطبون » ، قائد الروم ، وكان انتصاره فيها مفتاحا أمن له دخول بيت المقدس واكمال فتح فلسطين .

وفي سنة ١٨ هـ (٦٣٩ م) سار لفتح مصر ، ففتح رفح والعريش والفرما والقنطرة والصالحية وبلبيس ، قبل ان يتوجه شمالا الى حصن

---

(١) في كتاب « قادة الحرب العرب » ـ ص ٢٠ .

« بابليون » مقر جيوش الروم في مصر [1] ، ثم كانت المعركة الفاصلة حول هذا الحصن ، الذي ظل يقاوم لمدة سبعة أشهر ، قبل أن يسقط بيد العرب بخدعة حربية رائعة دبرها عمرو ، وبعمل من أعمال البطولة الخارقة قام به الزبير بن العوام •

وتم لعمرو فتح مصر بكاملها ، فبنى الفسطاط عاصمة له ، ونظم القضاء والتقسيمات الادارية ، وأشاع الحرية والعدالة ، حتى ذاع صيته كجندي شجاع ، وسياسي أريب ، وداهية من دهاة العرب •

٥ ـ سعد بن أبي وقاص :

هو سعد بن ابي وقاص بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ابن مرة أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم • ولقد ولد سنة **٥٩٥** م ، أي بعد ميلاد الرسول بأربع وعشرين سنة •

وسعد هو قائد معركة القادسية ، التي انتصر بها على جيش رستم الفارسي رغم ان القوات العربية كانت أقل من الفارسية باثنين وسبعين ألف مقاتل • ولقد قاد سعد هذه المعركة وهو منبطح على صدره ، لانه لم يكن يستطيع الجلوس على عجيزته لمرض ألم به ، ولذا فقد كان يصدر أوامره لخالد بن عرفطة ، ثم يقوم هذا بايصال الاوامر الى الجند •

وبعد أن أنهى سعد فتح العراق عاد الى المدينة المنورة ، وقضى بها بقية حياته حتى مات سنة **٥٥** هـ (**٦٧٤** م) وعمره اثنتان وثمانون سنة هجرية •

٦ ـ أبو عبيدة بن الجراح :

هو ابو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ، ينتهي نسبه الى النضر ابن كنانة آخر بطون قريش • ولد سنة **٥٨٣** م ، أي بعد ميلاد الرسول باثنتي

---

(١) كان هذا الحصن يقع في المكان الذي توجد فيه الآن ضاحية «عين شمس» في مصر الجديدة •

عشر سنة ، وتوفي بطاعون عمواس الذي اجتاح بلاد الشام سنة ١٨ هـ (٦٣٩ م) ، وعمره ثمان وخمسون سنة هجرية .

وكان أبو عبيدة مشهورا بأمانته ووفائه ، حتى أن الرسول قال ما معناه :

« لكل أمة أمين ، وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح » . كما كان أبو عبيدة موضع ثقة عمر بن الخطاب ، ولذا فقد ولاه قيادة جند الشام بدلا من خالد بن الوليد ، وقد قام أبو عبيدة في فترة ولايته على الشام بفتح فحل وبيسان وطبريا وبعلبك وحمص وحماه وحلب وانطاكية ووادي الفرات . ورغم هذه الفتوحات كلها بقي كما كان ، جنديا بسيطا من جنود الاسلام ، حتى أن عمر لما دخل بيته لم يجد فيه الا سيفه وترسه وكسيرات من الخبز فبكى وقال :

« لقد غيرتنا الدنيا جميعا الا أبا عبيدة » [١] .

٧ ـ النعمان بن المقرن :

هو النعمان بن مقرن بن عائذ ، وينتهي نسبه الى عمرو بن اد بن طانجة المزيني ، فتح جند يسابور والسور ، فعينه الخليفة عمر بن الخطاب واليا على « كسكر » ، ولكن النعمان ، التواق الى الجهاد والقتال ، كتب الى الخليفة يرجوه أن يعينه لقيادة جيش المسلمين ، فنزل عمر عند رجائه ، وأمره على جيش المسلمين المتوجه الى «نهاوند» سنة ٢١ هـ (٦٤١ م) . وقبل دخول معركة «نهاوند» ، رفع النعمان يديه الى السماء وقال : « اللهم اني أسألك أن تقر عيني بفتح يكون فيه عز الاسلام ، واقبضني شهيدا » ، ثم دخل المعركة ، وقاد جيشه بكل مهارة ، وحاز للمسلمين نصرا ما بعده نصر ، حيث كانت خسائر الفرس في هذه المعركة (٢٠) ألف مقاتل فلم تقم لهم قائمة بعدها ، وأما المسلمون فقد كانت خسارتهم جسيمة أيضا ،

---

(١) انظر كتاب « قارة الحرب العرب » للسيد فرج ـ ص ٣٠ .

حيث رزئوا في نهاية المعركة باستشهاد قائدهم « النعمان » ، وكأن الله عز عليه أن يخيب رجاءه بطلب الاستشهاد •

ولما وصل « السائب الثقفي » ، كاتب جيش نهاوند الى المدينة ، سأله أمير المؤمنين عمر :

« ما وراءك » ؟ فأجابه السائب : « خير يا امير المؤمنين ، فتح الله عليك أعظم الفتح ، واستشهد النعمان بن المقرن » ، فبكى عمر حتى ابتل شعر لحيته ، وقال : « انا لله وانا اليه راجعون » •

٨ ـ عقبة بن نافع :

ولي على أفريقية ، فبنى مدينة « القيروان » عاصمة له ، ومن عاصمته هذه توجه غربا ففتح في بلاد المغرب ما لم يفتحه قائد غيره ، حيث وصل في فتوحه الى « طنجة » ، ثم انحدر جنوبا الى « وليلي » ، ومنها اتجه الى الغرب فاصطدم ببحر الظلمات [١] ودفع بفرسه الى الماء حتى نحره ، ورفع يديه الى السماء ، وقال عبارته المشهورة : « يا رب لولا هذا المحيط لمضيت في سبيلك ••• » • وقد خاض عقبة وقائع مشهورة مع البربر ، وكانت نهايته ان استشهد في احدى هذه الوقائع ، فرحمة الله عليه •

وقد قام ابنه عبد الرحمن باكمال رسالته، حيث غزا الروم عدة غزوات، وفتح قسما من جزيرة صقلية ، فجدد بذلك سيرة والده •

٩ ـ موسى بن نصير :

ولد في قرية من أعمال الشام سنة ١٩ هـ (٦٤٠) ، وقد اشتهر منذ صغره بأمانته وصراحته، ولا أدل على هذا من أنه يعتبر القائد الاموي الوحيد الذي أبى محاربة علي بن أبي طالب ، ولما سأله معاوية : « ما منعك من الخروج معي لحرب علي وأنا ولي نعمتك ؟ » •

فأجابه موسى : « لا أشكرك بكفر من هو أولى بشكري وهو الله عز

(١) بحر الظلمات هو الاسم العربي القديم للمحيط الاطلسي •

وجل » • ولما ولي موسى على أفريقية ، قام بفتح عدد كبير من المدن الافريقية وبلاد السوس وبلاد البربر مثل « هوارة ـ ذنابة ـ قتـامة ـ صـنهاجة ـ ساجونة ـ ارساف » ، كما ارسل ابنه عبد الله لفتح جزيرة صقلية ففتحها ، وارسل عبد الله بن مرة سنة ٨٩ هـ (٧٠٧) لفتح سردانيا ففتحها أيضا •

ولم يكتف موسى بهذا الفتوح ، بل تطلع لفتح الاندلس أيضا ، فأرسل طريف بن مالك النخعي ففتح الجزيرة التي سميت باسمه سنة ٩٢ هـ (٧١٠م) ولما نجح طريف في مهمته ، قام موسى بارسال حملة تعدادها /١٢٫٠٠٠/ مقاتل بقيادة مولاه طارق بن زياد لفتح جنوب الاندلس ، وقد استولى طارق، بعد موقعة « وادي بكة » الشهيرة ، على عدة مدن أندلسية مثل : شريش ، ملقة ، قرطبة ، طليطلة ••• وغيرها • وبعد نجاح حملة طارق ، أبحـر موسى الى الاندلس بجيش تعداده ١٨٫٠٠٠ مقاتل، وسلك طريقا غير الطريق الذي سلكه طارق بن زياد ، وفتح مدنا أخرى مثل اشبيلية ، وماريده ، وبرشلونة ، وسرقسطة ، وبلنسية ، ودانيـة ، وجميـع مدن الوادي الكبير ووادي كنـديانة ، كما فتـح قرقشـونة ، وأربونـة في جنـوبي فرنسة [1] • ولم تقف آمال هذا القائد الكبير عند هـذا الحـد ، فقد قال جوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » ما نصه : « وقد عزم موسى بن نصير بعد فتح اسـبانية على العودة الى سورية من بلاد الغـول وألمانيـة والقسطنطينية ، أي بعد أن يكون قد أخضع العالم القديم الى أحكام القرآن ، ولم ينثن عن عزمه العظيم الا طاعة لامر الخليفة الذي استدعاه الى دمشق » •

وفي دمشق ، عاش موسى بن نصير بقية حياته حتى توفي سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م) ، وعمره ثمانية وسبعون عاما هجريا •

١٠ ـ قتيبة بن مسلم الباهلي :

هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن اسـيد الخير الباهلي • ولاه الحجاج بن يوسف الثقفي خراسان ، فمكث واليا عليها

---

(١) تسميان حاليا (كاركاسون Carcassonne و ناربون Narbonne)

عشر سنين ، وكان شجاعا مقداما لا يرده شيء عن قصده ، ففتح بلاد الطالقان وبلخ ، وبيكند ، ولم يعد الى مقر ولايته الا بعد أن فتح جميع بلاد الصغد وأمر عليها أخاه صالح بن مسلم .

وبعد ان استراح قليلا في مرو ، استخلف عليها اخاه بشار بن مسلم، وعاد الى الفتح ، ففتح كاشان ، وأوشت ، وأخشيك ، ثم بخارى سنة ٩٠ هـ [١] ، وتابع فتوحاته حتى وصل سمرقند سنة ٩٣ هـ (٧١١ م) فبنى فيها مسجدا ، وخطب فيه بنفسه ، ثم استخلف عليها أخاه عبد الله بن مسلم ورجع الى مرو . وفي عام ٩٤ هـ (٧١٢ م) فتح كابول عاصمة افغانستان حاليا ، ثم تابع تقدمه حتى وصل تركستان الصينية واستولى على عاصمتها « كاشغر » . وكان يدق بيديه أبواب الصين حين أمر الخليفة الجديد « سليمان بن عبد الملك » بعزله ، فعزل وقتل بمكيدة من قبل بني تميم سنة ٩٦ هـ (٧١٤ م) وعمره سبع وأربعون سنة . وقد رثاه عبدالرحمن بن جمانة الباهلي فقال :

كأن أبا حفص قتيبة لم يسر
بجيش الى جيش ولم يعل منبرا

ولم تخفق الرايات والقوم حوله
وقوف ولم يشهد له الناس عسكرا

دعته المنايا فاستجاب لربه
وراح الى الجنات عفاً وطهرا

فما رزيء الاسلام بعد محمد
بمثل أبي فحص فبكيه عبهرا [٢]

١١ ـ محمد بن القاسم الثقفي :

هو محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم الثقفي . ولد سنة ٧٢ هـ (٦٩١ م) ، واشترك بالحرب وهو لا يزال يافعا في معارك خراسان ، وقد

---

(١) من بلدان الاتحاد السوفييتي حاليا .

(٢) احدي زوجات قتيبة .

ولاه ابن عمه الحجاج بن يوسف الثقفي على ستة آلاف جندي ، وعهد اليه بفتح السند سنة ٨٩ هـ (٧٠٧ م) وعمره لم يبلغ العشرين بعد .

وقد سار محمد بجيشه ، ففتح مركران، وقنزيور، وأرمائيل ، ثم توجه من هناك الى مرفأ « الديبل » [١] ففتحه بعد حصار بالمجانيق دام عدة أيام ، ثم عبر نهر « مهران » وفتح سربيدس ، وسبهبان ، وراور ، وبغرور ، وساوندري ، وبسمير ، ثم اجتاز نهر « مبايس » الى الملتان في بلاد الهند ، ومن هناك اتجه الى فتح بلاد البيلمان والكرج .

ومن المؤسف ان تنتهي حياة هذا القائد قتلا ، بأمر الخليفة سليمان ابن عبد الملك ، الذي أمر بأن يحمل اليه محمد بن القاسم مقيدا بالسلاسل ، انتقاما من ابن عمه الحجاج ـ الذي كان قد توفي ـ في شخصه .

وحمل محمد بن القاسم الى واسط حيث قتل هناك ، وقد قال قبل قتله :

فلئن ثويت بواسط وبأرضها
رهن الحديد مكبلا مغلولا
فلرب فتية فارس قد رعتها
ولرب قرن قد تركت قتيلا

١٢ ـ خالد بن عبد الله القسري :

اشتهر بحروبه في بلاد ما وراء النهر ، وقد هابه أهل البلاد هناك هيبة لم يهابوها قائدا قبله ، حتى أنهم سموه « ملك العرب » . وقد نال أخوه أسد بن عبد الله القسري ، الشهرة نفسها التي نالها خالد ، بشجاعته ودهائه .

* * *

ان أسماء هؤلاء القادة أوردناها على سبيل الذكر لا الحصر ، فقد كان

(١) تقوم مقام مرفأ « الديبل » مدينة كراتشي عاصمة الباكستان اليوم .

غير هؤلاء كثيرون يستحقوق الاشارة اليهم ، والاشادة بفضـــلهم ، مثل شرحبيل بن حسنة ، ويزيد بن أبي سفيان في العهد الراشدي • والمهلب بن أبي صفرة ، وابنه يزيد ، والجراح بن عبد الله الحكمي في العهد الاموي • ومعن بن زائدة الشيباني ، وعيسى بن موسى ، وعمرو بن العلاء ، وخازم بن خزيمة، وقحطبة الطائي، ويزيد بن مزيد الشباني فيالعهد العباسي• وجوهر الصقلي في العهد الفاطمي • وصلاح الدين الايوبي ، ونور الدين محمود في العهد الايوبي • والامير قطز ، والامير فرج في العهـد المملوكي ••• وغير هؤلاء وأولئك كثيرون • فرحمة الله عليهم جميعا ، اعترافا بما قدموا لهذه الامة من خدمات ، ونرجو من الله أن يرزقنا بأمثالهم في الحاضر والمستقبل، لكي تعود الامة العربية فتأخذ مكانها في الطليعة من جديد •

★ ★ ★



وبعد أن قدمنا هذا التأريخ الموجز للحياة العسكرية عند العرب، لا يسع القاريء العربي كما نأمل ، الا أن يعتز بذلك التقدم الذي كان عليه أجداده في فنون الحرب ، وأن يكون على ثقة من أن أمة لها مثل هذا الماضي سيكون لها مستقبل أنصع باذن الله .

ونعتقد بأن أفضل ما ننهي به كتابنا هذا ، هو أن ندعو جماهير الكتاب العرب ، وخاصة العسكريين منهم ، للاستزادة من دراسة هذا التراث، وتقديم أفضل نتاج منه ، لان ما كتبه السلف هو خير نبراس للخلف ، ورحم الله ذلك الشاعر الذي قال :

ومن شـــرف الاوطـــان ألايفوتهـــا
حســـام معـــز أو يراع مهـــذب



الملحق رقم ١ : تعريف بأهم أجناس السيوف حسب رسالة الكندي

(ببعض الاختصار والتصرف عن مجلة كلية الآداب لجامعة القاهرة ـ المجلد ١٤ ـ الجزء الثاني ـ ديسمبر ١٩٥٢)

لقد أعطانا الفيلسوف « الكندي » في رسالته القيمة عن السيوف وأجناسها » ، التي قدمها الى الخليفة العباسي « المعتصم » ، تعريفا لبعض أجناس السيوف ، وها نحن نذكر هذه التعاريف فيما يلي ، مع بعض الاختصار والتصرف :

١ ـ اليمانية :

جوهرها مستطيل معوج ، ذو عقد بيضاء متساوية يتلو بعضها بعضا في مثال « الدود » ، وأرضيتها ذات لون أحمر ، ولكنها تميل للخضرة قبل الطرح [١] ، ولا تكاد السيوف اليمانية تسلم من العروق [٢] ، ولكن قد ترسم بعض التماثيل أو تكتب بعض الاسماء فوق هذه العروق لكي تخفي آثارها .

وأغلب هذه السيوف يكون عرضها ثلاث أصابع تامة ، فيطلق عليها

(١) الطرح : هو عملية اضافة بعض الادوية والعقاقير على حديد السيف كي يظهر له جوهر.

(٢) العروق : هي السواد في السيف .

اسم (العراض) ، ويكون طولها ثلاثة أشبار ونصف ، ووزنها ما بين الرطلين والنصف الى الثلاثة أرطال والربع •

والبقية من هذه السيوف يكون عرضها اصبعين ونصف فقط ، وتسمى (الخفاف) ، وتختلف هذه الخفاف في الطول ما بين الثلاثة أشبار وأربع أصابع الى الاربعة أشبار ، وأما وزنها فيكون ما بين الرطلين والرطلين والربع ، وتكون عادة « سواذج » ، أي لا توجد عليها أية رسوم •

واليمانية العتق التيصنعت في الجاهلية تمتاز بثقبين فيسنبل السيلان [1] وهذان الثقبان اوسع في احدى الجهتين منهما في الجهة الاخرى •

٢ ـ القلعية :

ويكون طولها ما بين الاربعة أشبار الى الخمسة الا ما قصر ، وقدودها قدود مستوية ، اعاليها واسافلها واحدة ، وجوهرها ذو عقد أصغر من عقد اليمانية ، ولكن هذه العقد تكون أكثر تداخلا وأشد حمرة في القلعية منها في اليمانية •

ومكاسر هذه السيوف كمكاسر اليمانية تقريبا، تضرب للبياض، ولكن اذا وضعت تحت المصقلة فان توبالها [2] يخرج أسود مثل الرماد •

٣ ـ الهندية :

جوهرها شبيه بجوهر اليماني ، الا أنه يضرب قليلا الى السواد ، وكذلك مكاسرها ، وهي أكثر تعجدا [3] من القلعية ، ويختلف الحديد فيها في أول الفرند (الجوهر) عنه في آخره ، كما وتجد حد السيف الهندية خشنا لما تمر بيدك عليه •

---

(١) السيلان : هو قائم السيف او ما نحوه ، كما مر معنا في بحث أجزاء السيف •
(٢) التوبال : هو ما يتساقط من الحديد والنحاس عند الطرق •
(٣) التعجد : هو تداخل عقد الجوهر بعضها في بعض •

٤ ـ السلمانية :

وهي ما حمل حديدها مسبوكا من أرض سلمان الى ما وراء النهر من خراسان فطبعت هناك ، وهي على ثلاثة أنواع :

ـ السلمانية الصغار : وهي سيوف لطاف العرض ، قصار الفرند ، طويلة النصال ، وفيها بعض التعجد الشبيه بتعجد القلعية ، كما ان قدودها تساوي قدود دقائق القلعية ، فرندها أحمر وخاصة اذا جلي ، والعقد منه أكبر قليلا منها في اليمانية ، وتساوي واحدة ونصفا منها في القلعية ، ويرى فرندها بعد الطلي كالانبوبة المكسورة ، غير متصل بعضها ببعض في مواضع عدة من الكبس .

ـ البهانج : وهي السلمانية العريضة التي يتراوح عرضـــها ما بين ثلاث الى أربع أصابع ، ووزنها ما بين ثلاثة أرطال الى ثلاثة ونصف ، أما طولها فيكون حوالي أربعة أشبار .

ـ الرثوث : وهي قلما توجد الا وعلى سيلانها طابع مربع فيه اسـم الصانع على قدر اصبعين مضمومتين من طرف السيلان ، طولها أربعة أشبار، وعرضها حوالي أربع أصابع ، وهي جيدة المتون ، حسان الرؤوس، عراض السيلان كسيلانات القلعية الكبار .

٥ ـ السرنديبية :

أما السيوف السرنديبية فهي ما يطبع في سرنديب وخراسان :

فأما ما يصنع منها في سرنديب فهو النيء الذي لا يحمى عليه بالنار ، وذلك انهم لا يحمون بفحم القصب بل بفحم الخشب اللين وما شابهه ، فيخرج فرنده رقيقا أصفر ، فاذا وقع مثل هذا السيف في أيدي البغداديين ، وأحبوا أن يظهروا جوهره ، وضعوه في رماد الحمام الحار حتى لا يبقى فيه من السقي الا الخفي ، ثم يجلى ويلقى عليه الدواء ، فيخرج من هذه العملية بلون كامد ضارب للصفرة ويدعى حين ذلك « الاطلس » .

وأما ما يصنع من هذه السيوف في خراسان فيطبعونه بفحم البلوط أو فحم الغضا •

ومنها ما يطبع أيضا في المنصورة ، وهي سيوف قصيرة رقيقة وعريضة، وأكثر عرضها ثلاث أصابع يشبه بعضها حـــديد اليماني ، الا أن فرنده لا يخلو من الرقة والهزال ، وقدود هذه المنصورية تساوي تقريبا قدود اليمانية العتق السواذج •

وأقطع هذه الاجناس هي التي نسبناها الى السرنديبي النيء ، وكلها تضرب الى الصفرة ، ما خلا المنصوري فهو أقلها صفرة ولكنه أضـــواها وأنبلها فرندا •

٦ ـ البيض :

اما البيض فصنفان من الســـيوف ، صـــنف طبع في فارس ويدعى « الفارسية » ، وصنف آخر طبع في الكوفة ويدعى « الكوفية » • والصنف الاخير ـ أي الكوفية ـ سيوف قصار أعرض ما يكون منها ثلاث أصابع ، وطولها ثلاثة أشبار وأربع أصابع ، سيلاناتها دقاق رقاق ، ورؤوسها أثقل من أسافلها ، ومن علاماتها كونها تحمل ثقبين مثقوبين بواسطة السنبك ، ومنها ما فرنده مشجر كله ومنها ما هو ساذج ، فان كان فيها موضع مشجر وآخر غير مشجر يكون السيف مولدا •

والبيض الكوفية أقطع من الفارسية ، وأصبر منها عـلى الكريهـة ، ولذا فبين السيف الكوفي والفارسي اذا تساويا في الوزن والقد ثلث الثمن• ويمكن تمييز الفارسي عن الكوفي ، لان الاول أطول من الثـــاني بثلاث أصابع او اكثر وسيلانه أطول باصبعين واثخن وأعرض من سيلان الكوفي بكثير ، كما ان الفارسية أعرض جوهرا من الكوفية ، الا أن جوهر الاخيرة أصفى وأنور من جوهر الاولى •

٧ ـ المولدة البصرية :

وهي ما طبع في بلدة بصرى من السيوف غير العتيقة ، جوهرها يشبه

جوهر السليمانية ، ناعم تتبين الرخاوة فيه ، مع سواد وظلمة تتبينهـا في الشمس أضعاف ما تتبينها في الظل ، حسنة الشفرة وتظهر أثار المصاقل فيها، كما ويظهر حديدها قبل الطرح معقدا بعدة عقد تذهب بعد الطرح ، مختلفة القدود من عراض ودقاق وقصار وطوال ، لم يطبعها أحد من البصريين الا رجل يقال له سليمان ، طبعها سنة ٩٥ هـ وقطع العمل سنة ١٠٩ هـ •

٨ ـ المصرية :

وهي ما يطبع في مصر مما يبرز في الطول ويشتد لاستواء قطعه ، أما حديده فهو من حديد بصرى ، أي أنها تشبه السيوف البصرية في معدنها •

٩ ـ السليمانية :

سيلاناتها تشبه سيلانات اليمانية ، واول السيف وآخره مستويان ، وليس فيه أية نقوش ، وحديدها يشبه حديد الفرنجية •

١٠ ـ الدمشقية :

والسيوف الدمشقية قواطع جدا اذا كانت على سـقايتها الاولى ، وحديدها شبيه بالبيض الا أنـه مختلف الجـوهر ، وهي أقطـع أنواع المولدة ••

١١ ـ المولدة الخراسانية :

وهي ما عمل في خراسان على قد القلعية ، وتحوي عقدا صغيرة احداها الى جانب الاخرى ، وتظهر بها هذه العقد بواسطة « المنقاش » منذ صبها ، ولا يظهر جوهرها الا بعد الطرح، وأعرض ما يكون منها اصبعان ونصف•

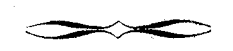
١٢ ـ الفرنجية (١) :

والسيوف الفرنجية عراض الاسـافل ، دقاق الرؤوس ، على قـد انيمانية العتاق ، وتحوي شطبة واحدة عريضة في وسطها كالنهر الظاهر ، أرضها بيضاء ونقوشها باللون الاحمر أو مذهبة •

---

(١) نعتقد بأن الكندي يقصد بتسمية « السيوف الفرنجية » السـيوف الاجنبيـة غير الاسلامية • وقد عرف العرب ـ وخاصة في العصور المتأخرة ـ عدة انواع من السيوف الاجنبية الاسلامية أيضا مثل :

- القلجوري : نسبة الى مدينة « قلجوريو Calagorrio » في الأندلس ، وهي مدينة اشتهرت بصناعة السيوف المرنة ، لدرجة أن طرفي السيف الواحد يلتقيان بدون أن ينكسر •
- الطلوار : السيف الهندي ذو التقويس الخفيف •
- الشمشير : السيف الفارسي ذو التقويس الكبير •
- القليج : هو سيف تركي ، يمتاز عن الفارسي الشمشير باتساع نصله ، وقصره ، وخفة تقويسه •
- القدارة : سيف فارسي عريض ينتهي برأس مدبب •
- القامة : مدية مستطيلة مستقيمة ذات حدين ورأس مدبب ، وهي السلاح الوطني لاهل جورجيا ، احدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي حاليا •



الملحق رقم ٢ : أسماء السيف عند العرب

اهتم العرب بالسيف اهتماما خاصا ، حتى أنك تجد له في لغتهم ما يفوق الالف اسم ، وأهم هذه الاسماء :

ـ الجنثي : وهو السيف الذي يصنع من أجود أنواع الحديد ، وقيل نسبة لاسم شخص كان يصنعها •

ـ الهندي : وهو الذي طبع في أرض الهند ، ويقال له أيضا هندواني ومهند •

ـ القلعي : نسبة الى القلعة ، وقيل أنه السيف الابيض فيكون اسم صفة له •

ـ القسوسي : نسبة الى قسوس ، وهو جبل فيه معدن الحديد اللازم لصنع السيوف (١) •

ـ المشرفي : نسبة الى المشارف ، وهي قرى من أرض العرب تقرب من الريف •

ـ سريجي : نسبة الى سريج ، وهو قين كان يصنعها •

ـ البصروي : المنسوب الى بصرى في جنوب بلاد الشام •

ـ الابيض : ويجمع على البيض ، ويقال أحيانا : « البيض الرقاق » كناية عن جميع السيوف •

---

(١) ان أغلب هذه الاسماء مأخوذة عن كتاب : « حلية الفرسان شعار الشجعان » تأليف عبد الرحمن بن هذيل الاندلسي ـ تحقيق محمد عبدالغني حسن (ص ١٩١ـ ١٩٢) • كما ان معاجم اللغة مليئة بأسماء الاسلحة القديمة ، وخاصة السيف ، وبصفاتها •

ومن أسماء صفاته :

ـ الصفيحة : السيف العريض .

ـ القضيب : السيف اللطيف المهذب .

ـ الخشيب : السيف الصقيل ، وقيل انه الذي لم يحكم عمله .

ـ المهو : السيف الرقيق .

ـ المشطب : الذي يحوي على متنه بعض الحزوز المنقوشة .

ـ المفقر : الذي يحوي بعض الفقر . وأما « ذو الفقار » فهو ما كان حادا من جانب واحد فقط .

ـ المذكر : السيف الذي يصنع من الحديد الصلب « الشابرقان » .

ـ الانيث : الذي يصنع من الحديد اللين « النرماهن » .

ـ الابريق : هو السيف ذو البريق ، ويقال له أيضا أبرق .

ـ الاصليت أو الصلت : هو السيف الذي لا يعلق به دم الضريبة لصلابته وصفائه وحسن صقله .

ـ المأثور : هو السيف الذي يحمل أثرا في متنه .

ـ الصمصام : هو السيف الصارم الذي لا يثنيه شيء .

ـ القضيم : هو السيف الذي طال العهد عليه فتكسر حده .

ـ الكهام : هو السيف الكليل عن القطع ، ويقال له كذلك « ددان » .

ـ الحسام : هو السيف السريع القطع . ويقال له أيضا اذا كان قطاعا : مقصل ، مخضل ، مخذم ، جراز ، باتر ، عضب ، قاضب ، هذام ...... الخ .

الملحق رقم ٣ : بعض ما قاله العرب شعراً في السيف

قال طرفة بن العبد في وصف السيف :

حسام اذا ما قمت منتصرا بـــه   كفى العود منه البدء ليس بمعضد
أخو ثقة لا ينثني عن ضريبـــة   اذا قلت مهلا قال حاجزه قـــد
اذا ابتدر القوم السلام وجدتني   منيعـا اذا ابتلت بقائمـــه يدي

★ ★ ★

وقال النابغة في السيف :

يقد السلوقي المضاعف نســجه   ويوقد في الصفاح نار الحباحب[1]

★ ★ ★

وقال ابن عبد ربه ، صاحب كتاب « العقد الفريد » ، في السيف :

وذي شطب تقضي المنايا بحكمه   وليس لما تقضــي المنيـــة دافع
فرند اذا ما اعتن للعـين راكد   وبرق اذا ما اهتز بالكف لامع
يسلل أرواح الكماة انســلاله   ويرتاع منه الموت والموت رائع
اذا ما التقت أمثاله في وقيعـــة   هنالك ظن النفس بالنفس واقع

★ ★ ★

(١) السلوقي هو الدرع ــ الصفاح : الحجارة ــ الحباحب : الشرر .

وقال أبو تمام :

ويهتز مثل السيف لو لم تسله يدان لسلته ظبـــاه من الغمد

★ ★ ★

وقال أبو العلاء المعري :

ولولا ما بســيفك من نحول لقلنـا أظهر الكمـد انتحـالا
سليل النــار دق ورق حتى كأن أباه أورثه الســلالا
محلى البرد تحسـبه تردى نجــوم الليل وانتعل الهلالا
مقيم النصــل في طرفي نقيض يكون تبـاين منـه اشـتكالا
تبين فوقـه ضحضـاح ماء وتبصر فيـه للنـار اشـتعالا
اذا بصـر الامير وقد نضـاه بأعلى الجـو ظن عليـه آلا
ودبت فوقـه حمـر المنـايا ولكن بعد ما مســخت نحالا
يذيب الرعب منـه كل عضـب فلولا الغمـد يمسـكه لسـالا
ومن يك ذا خليل غير سـيف يصـادف في مودته اختـلالا

★ ★ ★

وقال الهيثم بن عدي :

لما صار سيف عمر بن معد يكرب الزبيـدي ، الذي يقـال لـه الصمصامة ، الى موسى الهادي ، دعا به فوضع بين يديه فجـرد ، ثم قال لحاجبه : ايذن للشعراء ، فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا فيه ، فبدأهم انس فقال [1] :

حاز صمصامة الزبيـدي من دو ن جميـع الانام موسـى الامين
سيف عمرو وكان فيما سـمعنا خير ما أغمـدت عليـه الجفون
أخضر المتن بين حـديه نور من فرند تمتـد فيـه العيـون
اوقدت فوقه الصـواعق نارا ثم شـابت به الزعـاف المنون
واذا ما ســللته بهر الشمس ضـياء فلم تكد تسـتبين

---

(١) عن « حلية الفرسان وشعار الشجعان » ، ص ١٨٩ ـ ١٩٠ .

وكأن الفرند والرونق الجـــا ري في صـــفحته مـــاء معـين
وكأن المنـــون نيطت اليـــه فهو من كل جانبيـــه منـون
نعم مخراق ذي الحفيظة في الهيجاء يســـطو به ونعـــم القرين
ما يبـالي من انتضـــاه لضرب أشـــمال ســـطت به أم يمين

★ ★ ★

وقال السموأل بن عاديا :

ومن عجب أن السيوف لديهم تحيض دماء والسـيوف ذكور
واعجب من ذا أنهـا في أكفهم تأجـج نارا والاكف بحـــور

★ ★ ★

وقال ابن المعتز :

ولي صارم فيـــه المنايا كوامن فما ينتضـى الا لسـفك دمـــاء
ترى فوق متنيـه الفرند كأنـه بقيـــة غيم رق دون ســـماء

★ ★ ★

وقال العنوي :

كأن على افرنده موج لجـــة تقـاصر في حافاتـه وتطـــول
كان عيون الذر كسرن حوله عيون جـــراد بينهن ذحـــول
حسام غداة الروع حتى كأنـه من ألله في قبض النفوس رسول

★ ★ ★

وقال غيرهم :

ومهنـــد جـــال الفرند بمتنه فتوقدت نار الردى بغـراره [1]
فيكاد يغرق حامليه بمـــائه ويكاد يحرق منتضيه بنـاره

★ ★ ★

وقال ابن الزقاق البلنسي [2] **:**

ذو ظمأ يشـــرب ماء الطلى [3] وليس يرويه الذي هو يشرب

---

(١) غرار السيف : حده .

(٢) شاعر اندلسي ، اسمه الكامل هو : علي بن عطية اللخمي البلنسي (نسبة الى مدينة بالانسيا في الاندلس) ، توفي سنة ٥٢٨ هـ (١١٣٣ م) .

(٣) الطلي (ج طلية) وهي العنق .

تخـــاله منصـــلتنا بارقـــا وكوكبـــا أو قبســـــا يلهب

أرسل في الحرب شـــواظا له يصـلى لظاه البـــطل المحرب

تســاجل الماء لـــه صـــفحة ويوقـد النــار لـــه مضرب

كلل مـــن افرنده جـــوهرا ينهب أرواحـــــا ولا ينهب

يفتـــر عن صـــفحته غمـده كما انجـــلى عن مائه الطحلب

★ ★ ★

الملحق رقم ٤ : أسماء الرمح ونعوته

اهتم العرب بالرمح كما اهتموا بالسيف ، ووضعوا له أسماء كثيرة تختلف باختلاف مصدره وصفاته • ومن أسمائه على الترتيب :

ـ العاسل : الرمح المضطرب •

ـ العسال : الرمح الشديد الاضطراب ، ويقال له أيضا «العراص» •

ـ اللدن : الرمح اللين ، ويقال له أيضا « الذابل » و « المارن » •

ـ الزاغب : نسبة الى شخص كان يصنعها اسمه « زاغب » •

ـ السمهري : هو الرمح الشديد ، وقيل نسبة الى « سمهر » وهو شخص كان يصنعها •

ـ الصدق : هو الرمح الصلب الذي لا ينثني •

ـ الخطي : منســـوب الى « الخط » من أرض فارس ، وقيل ان « الخط » هي مرفأ في بلاد البحرين كانت تأتي منه الرماح •

ـ اليزني : منسوب الى سيف بن ذي يزن ، أحد ملوك اليمن ، او الى نوع من الشجر كانت تعمل منه الرماح •

ـ الرديني : منسوب الى ردينة ، وهي امرأة كانت تصنع الرماح ، وقيل كانت تبيعها فقط [1] •

---

(١) أغلب هذه الاسماء مأخوذة عن كتاب « حلية الفرسان وشعار الشجعان » لابن هذيل الاندلسي ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ •

ـ الاسمر : هو الرمح الاظمى ، أي المتعطش لشرب الدماء .

ـ اللهذم : هو الرمح النافذ السنان .

ـ المنجل : هو الرمح العريض السنان ، نسبة الى النجل وهو الاتساع .

ـ الثلب : هو الرمح المتثلم .

ـ المثقف : هو الرمح الذي قومت عصاه ، فاذا نبتت مستوية ولم تحتج الى تقويم سميت « صعدة » .

★ ★ ★

الملحق رقم ٥ : أشهر أقوال العرب في الرمح

لعب الرمح دورا كبيرا بالنسبة لحيــاة العربي ، لانه كان عماده في صحرائه الواسعة ، «ينشر عليه ثوبه فيستظل به اذا لفحه الهجير ، ويصيد به الوحش اذا جاع ، ويهش به أوراق الشجر على غنمه ، ويدفع به عن نفسه عدوان المعتدي ، يتخذه الفقير من فروع الشــجر والغني من نادر الخشب وكرائم العيدان » [١] .

وقد قال الرسول (ص) مبينا أهمية الرمح : « جعل رزقي تحت ظل رمحي » [٢] . وكانت العرب تقول : « الرمح رشاء المنية » .

ويقال أن اعرابيا سأل ابنين له عن أي الرماح أحب اليهما ، فقــال أحدهما : « المارن المثقف ، المقوم المخطف ، الذي اذا أهززته لم يتعطف ، وان طعنت به لم يتقصف » . فقال للآخر ، وما تقول أنت ؟ قال : « نعــم الرمح وصف ، وغير أحب الي منه » ، فقــال : وما هــو ؟ قال : « الذابل العسال ، المقوم النسال ، الماضي اذا هززته ، النافذ اذا همزته » [٣] .

---

(١) عن « الفن الحربي في صدر الاسلام » لمؤلفه عبد الرؤوف عون ـ ص ١٤٤

(٢) « صحيح البخاري » ـ ج ٥ ـ ص ١٠٠ .

(٣) عن « حلية الفرسان وشعار الشجعان » ـ ص ٢٠١

وأما أبيات الشعر التي قيلت في الرمح فكثيرة ، وأشهرها قول القاضي أبي القاسم الحسني :

وأصم ممطول الكعوب اذا اقتضى
مهج الكماة فدينه لا يمطل
متوقد حتى أقول : أذابل
بيدي منه أم ذبال مشعل
لولا التهاب النصل أينع عوده
مما يعل من الدماء وينهل
فاعجب له ان النجيع بطرفه
رمد ولا يخفى عليه مقتل

وقول أبي العلاء المعري :

وذي ظمأ وليس به حياة
تيقن طول حامله فطالا
توهم كل سابغة غدير
فرنق يطلب الحلق الدخالا
ملأت به صدورا من أناس
فلاقت عن ضغائنها اشتغالا

وقول صاحب « العقد الفريد » ابن عبد ربه :

بكل رديني كأن سنانه
شهاب بدا في ظلمة الليل ساطع
تقاصرت الآجال في طول متنه
وعادت به الآمال وهي فجائع
وساءت ظنون الحرب في حسن ظنه
فهن ظبات للقلوب قوارع

وقول أبي تمام :

مثقفـــات ســـلبن الروم زرقتهـــا
والعرب ســـمرتها والعاشـــق القضـــفا [1]

وقول شاعر آخر يصف رمحا يقارب طوله العشرة أذرع :

وأســـــمر خطيـــاً كأن كعوبـــه
نوى القسب [2] قد أربى ذراعـــا عـلى العشـــر

---

(١) القضف : النحافة

(٢) القسب : التمر . وقد ذكر هذا البيت « الجاحظ » في كتابه « البيـــان والتبيين » الجزء الثالث ـ ص ٢٥ ـ طبعة القاهرة ١٩٤٩ ـ

الملحق رقم ٦ : أحسن ما قيل في القسي شعراً

قال أحد الشعراء العرب [١] :

أنا القوس الذي لا شـــك أني
أبيـــد الاســـد في الحـــرب الزبون

أنا أقضي عـــلى الابطال قدمـــا
وفي كبـــدي ســـهام بالمنـــون

ســـــهام فوقت لي من كمـــين
فويل للكمـــــاة من الكمـــــين

اذا فوقت ســـــهمي ليس يلقى
بتـــرس لا ولا درع حصـــين

وقال آخر :

سلوا حلق الماذي عن حد أسهم
فقـــد ثلمت حـــد القنـــا والقواضب [٢]

---

(١) عن « حلية الفرسان وشعار الشجعان » ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ ، والعقـــد الفريد لابن عبد ربه .

(٢) الماذي : الدرع . القنا : الرماح . القواضب : السيوف .

تخبـــركم اني اذا الخيـــل أوجفت
شريك المنـــايا في نفوس الكتـائب
اذا ســـمع الابطـــال في الروع هزتي
رأيتهم تحت العتـــــاق الشواذب
كأن اهتـــزازي نفخـــة الصـــور كلما
أصاخوا لهـــا خروا على كـل جانب
لئن فخـــــر الخطي أن شـــبهت به
حســـان التثني من قـدود الكواعب [1]
ففي أسهم الالحـــاظ للفخر مســـرح
اذا رمتـــه ، اوفي قســـي الحـــواجب

وقال ثالث :

ســـــهامي نافـــذات في الاعـــادي
اذا الـــرامي اجـــاد بي الرمايـــة
وليس الرمح يفعل مثـــل فعـــلي
ولا الســـــيف المهنـــد في الحماية
فخرت على الســـلاح بـذا ، وفضلي
اذا فكرت ليس لـــــه نهايـــــة

ومن هذا القبيل أيضا :

عجبا من القوس الكريمـــة انهـــا
لم ترع حق حمـــائم الاغصـــان
عادت لهـــا حتفـــا وكانت مألفـــا
وكذاك حكم تصـــرف الازمـــان

---

(١) الخطي : الرمح .

وقال آخر يحض على اتقان الرماية :

أمـــا الرمـــاية لا تبغي بهـــــا بدلا
نعم الغـــلام غلام بالســـهام رمى

كما قال شاعر آخر يذكر فضل الرمي وأركانه [1] :

الرمي أفضـــل ما أوصـــي النبي بـــه
وأفضـــل النـــاس من بالـــــرمي يفتخر
أركانه خمســـــة : القبض أولهـــا
والعقـد ، والمـد ، والاطـلاق ، والنظر [2]

---

(١) ذكره ابن قيم الجوزية في كتابه « الفروسية » ، ص ١٠٨

(٢) فيما يختص بأركان الرمي : راجع الفصل السادس ـ فن استخدام القسي .

الملحق رقم ٧ : كيفية صناعة الدروع والجواشن والخوذ نقلاً عن مخطوط الطرسوسي

ورد في مجلة :

(« Bulletin d'Etudes Orientales - Tome X11 - Années » 1947 - 1948 - Page 116 »).

« تأخذ نحاتة الكيمخت فتنقعها حتى تبتل ، ثم تدقها دقا ناعما وتسحقها على صلاية ثم تلق عليها مثل نصفها نحاتة خشب وغرى الاساكفة ومثل نصفها طحال أو دم ويجاد دقها ، واتخذ قوالب طين أو خشب على قدر ما تريد من صفائح الجواشن ، وابسطها على لوح ، ولبس كل قالب قطعة خرقة أو جلد ، ثم خذ قليل برادة القسي ونحاتة الكيمخت وعقب وبرادة القرون وصيرها في قدر والق عليها لمثل نصفها غرى سمك وغرى أســـود واطبخ ذلك حتى يلين ثم الق عليه الثلاثة أخلاط الاول ودقه بهـــاون من حجر دقا ناعما ثم اسحقه على صلاية حتى يتمخط ويختلط ثم اطله على القوالب التي لبستها الجلود والخرق واشبعها ثم جففها واطل عليها بالطحال وذر عليه زجاجا مسحوقا واطله أيضا بغرى سمك وذر عليه برادة شابرقان ثم عقبه بعد ذلك وابرده وسويه وادهنه ، وان اردته عاجي فاثقبه وهـــو لين وصير في الاثقاب مسامير خشب في مواضع الوراب فاذا جف اثقبها بالمثقاب

ثم ركبه فهذا لا يعمل فيه السلاح ولا نشاب بالجملة الكافة • وكذلك تعمل الخوذ بركب الجلد على القالب وتكمل العمل على ما وصفت لك ثم تحسن وتدهن وتنفس وتذهب ، وتدهن بدهن الفراغ ثلاث دسوت على ما جرت به العادة » •

صفة عمل جواشن آخر لا تعمل فيه السيف ولا النشاب (١)

« تؤخذ جلود الابل فتنقع في اللبن والقلى الى أن يتقشر شعرها ويبيض لونها وترفع وتفصل من الجواشن وتترك ناحية ثم تعمد الى زجاج البولس (؟) فتسحق سحقا ناعما والى برادة الاسعادريه (؟) وبرادة النحاس الاحمر والسنبادج المسحوق فتؤخذ من كل واحد جزء وتعجن بالغراء ويكسا منها الجلود المفصلة وجها واثنين وثلثة واربعة ، وتترك كل وجه حتى يجف فاذا كمل ذلك فليس بالدهن ودهن الاصباغ على أي لون شئت ، وتذهب وتدهن بدهن الفراغ على ما جرت به العادة فانه لا تؤثر فيه السيف، فهذا ما قيل في هذا الفن وذكر وأمر بستره عن أولى الجهل خوفا من أن يشتهر » •

---

(١) لقد أوردنا هذا النص كما ورد في المخطوط بدون أي تنقيح لكلماته ، وكذلك في الملاحق المقبلة أيضا (المؤلف)

الملحق رقم ٨ : كيفية صنع التراس حسبما جاءت في مخطوط الطرسوسي

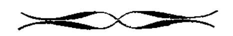
عن مجلة :

(« Bulletin d'Etudes Orientales - Tome X11 - Années » 1947 - 1948 - Page 115 »).

« تتخذ قالبا من الطين على قدر ما تريده من التراس وغيرها أو تسير الى الفاخراني فتأمره أن يهيء لك قالبا على الصفة التي تريدها ثم ألبسه أي جلد شئت ثم عقبه بالطول بالعقب والغراء وأشبعه ثم جففه وعقبه بالعرض أيضا وأشبعه بطحال مدقوق أو بدم ثم نثر عليه رخاما مدقوقا منخولا ثم جففه وعقبه أيضا بالطول والعرض كما فعلت أولا ثم اطله بغرى سمك ثم بطحال ثم انثر عليه برادة شابرقان وهو حديد الاسطام وأشبعه ثم جففه ثم عقبه بالطول والعرض ثم حزدكه بنخالة الخشب مما ينخل من النشارة ومده وجففه فان اردته محفورا فبطنه واعمل به كما تعمل بالصيني وان أردته مؤثرا فعلى نحو ما وصفت لك • وان أردت أن تلبسه صفائح الرصاص وهي التي تسمى سيمار وهي الطبقات ثم اطله بالسبك مسحوقا وهي صمغة الشيح مبلولا بالمرار ثم ادهنه بالدهن الصيني الابيض ثلاث مرات وان اردت أن تلبس ذلك جلد الكيمخت وتصبغه اما أسودا أو أخضرا بعد أن ثنيت تحته فعلت كل ذلك بحسب اختيارك فان هذه التراس لا ينفدها شيء من السهام ولا غيرها فاعلم ذلك » •

كيفية صنع التراس ذات النشاب
حسبما جاءت في مخطط الطرسوسي (انظر الشكل رقم ١١)

« تعمد الى قوس عقرب لطيف يكون طوله عرض الترس ليخفى منه ويجعل المجرى بين رزتين حديد في وسط الترس من باطنه في لولب حديد ويكون مجرى السهم محاذيا لطاقة قد فتحت في وسط الترس الى الكوبج المثبت في ظاهره ولتكن تلك الطاقة قد جعل عليها باب حديد برزتين الواحدة مثبتة فيه والاخرى في الباب ليكون ينفتح بدفع السهم وينغلق بالطبع ، فاذا لاقى حامله يحصل الوتر في قفله والسيف بيده اليمنى يلوح به يمينا وشمالا فاذا لاحت له انكشاف من خصمه ضم المفتاح بيده اليسرى ويكون السهم في مجراه فيخرج من الطاقة الى الخصم فيرديه » .



الملحق رقم ٩ : طريقة صنع بعض الاقواس كما وصفها الطرسوسي

(عن :

(« Bulletin d'Etudes Orientales - Tome X11 - Années »
1947 - 1948 - Page 109 - 111 »).

آ ـ القوس الانبوبي

« ان تتخذ مجراة خافية على مقدار القوس طولها طول السهم دفعتين وليكن في الموضع الذي يصل اليه الوتر عندما يستوفي القفل الذي يجعل فيه الوتر وهو قفل متخذ من الحديد والنحاس مقداره بمقدار النسبة من القوس على قدر كبره وصغره وهو منقوب في وسطه بالعرض وقد جعل فيه مسمار مثبت في جانبي الخرق المعمول في المجراة ليكون الكلاب يلعب في بيت المجراة طالعا ونازلا فاذا حصل المفتاح فيه منعه من الحركة واذا نزع عنه ترك القفل الى أسفل فينفلت الوتر ويدفع السهم فيخرج بمقدار جدة الوتر ويجعل فيه المفتاح وليكن المفتاح قائما ذكر في انثى • وليكن طوله خمسة أذرع أو اكثر وكلما طال سهل نزعه لانه يعود كالقبان فأيسر جذب ينزعه من الكلاب وان طال عن أن يصل اليه جعل في طرفه ميقاط يجذب به عند الحاجة الى افلات السهم ويثقب عرضا ويجعل فيل ميل من حديد يثبت في المجراة وليكن السهم بمقدار القوس وغلظه فمنه ما يكون طوله

ذراع في غلظ الرمح ونصله من رطل مصري الى ما دونه وأصغر من ذلك وأكبر على قدر القوس ويجعل السهم على المجراة في الموضع الذي يفرض له فيها مقابل الوتر » •

★ ★ ★

ب ـ القوس القدمي

« وتوتر بدفع رجلي الانسان لها مع جذب ظهره لان جرها يحوج الانسان أن يجعل في وسطه حزاما من الجلد البقري الحسن الدباغ الممرن وفي طرفيه كلابين من الحديد يجعل وتر القوس فيهما ويجعل الانسان رجليه في بطن القوس جذبا بظهره الحزام الذي فيه الكلابين الى أن يحصل الوتر في القفل الذي في المجراة وينزل المفتاح فيها ثم يأخذ القوس بيديه ويجعل النبلة في المجرى ويضم المفتاح عن القفل الى باطن المجراة فيدور القفل لانه كالبكرة اللطيفة في محور حديد مسمر في جانبي فتح المجراة فيدور القفل لانه كالبكرة اللطيفة في محور حديد مسمر في جانبي فتح المجراة فأدار الى المفتاح [1] عنه دارت البكرة وانفلت الوتر فيدفع النبلة فيخرج بحدة •

وهذه قسي الرجل تعمل من انبوبة واحدة بغير قرن ولا عقب يكون طولها (   ) [2] وغلظ وسطها ما يدور عليه الشبر ونصف وأقل وأكثر على قدرها وتهلب أولا أولا ، ويكون رقة طرفيها من نسبة قيراطين من طولها • ويكون من خشب التخش وهو أجود ما تعمل منه وهو ثلاثة أنواع أحدها القرسقي والثاني الشبراني وهو بعده والثالث الخرمطاشي وهو أدناها • وبعد التخش خشب الزبوج وهو نوعان أحدهما يجلب من بلاد المغرب والآخر من بلاد اليمن » •

---

(١) نعتقد أن الاصل « فاذا دار المفتاح » ، ووردت هكذا تصحيفا من الناسخ أو الطابع •

(٢) كلمة غير مكتوبة •

ج ـ قوس الحسبان

« وهذا المجرى يكون مجرى مسدسا كالانبوبة يشق من الناحية اليمنى من اوله الى آخره ويجعل في طرفه الذي يكون في اليـد اليمنى عندما يمد القوس ، كمثال الضفدعة وهي قطعة من قرن قد احكم عملها ويكون تملأ طرف المجرى بحيث اذا دفعها الوتر جرت فيه فدفعت السهام الموضوعـة قبالتها ، وتفرض في وجهها الاعلا فرضين ثابتين كهيئة الزرين في ارتفاعها ليحصل وتر القوس فيما بين الزرين ، ويكون في جنبها ، من خارج المجرى من جهة الشق قطعة فرضت فيها وأحكمت صنعتها بستر رأس الشق من الناحية اليمنى ليكون ماسكة للضفدعة ومانعتها أي تدور في موضعها وتزول عنه ويجعل وتر القوس فيما بين الزرين اللذين في الضـفدعة ويدخـل في رأس المجرى ويكون الوتر حينيذ [1] من تحت المجرى وفي الضـفدعة . ويفتح مما يلي الضفدعة في سطح المجرى الاعلى فتحا يسيرا بمقدار ما يسع السهم أن يدخل فيه الى المجرى اذا أحكمت ذلك ، فيجعل في رأس المجرى شرابة أو طرف وتر في نقب قد جعل فيه ، وتجعل طرفه بهذه الشرابة في الخنصر من اليد اليمنى لتمسك المجرى عند المد من أن ينزلق ، ثم تمـد القوس بالمجرى ويطلق الوتر فيدفع الضـفدعة السـهام مخرج كالجراد المنتشر فلا بد من ان يصيب من سهامها سهم وهي من القسـي المستحسنة واشتهارها يغني عن تصويرها » .

★ ★ ★

(١) أي « حينئذ » .

الملحق رقم ١٠ : طريقة صنع « قوس الزيار » كما ذكرها الطرسوسي

(عن :

(« Bulletin d'Etudes Orientales - Tome X11 - Années »
1947 - 1948 - Page 108 - 109 »).

« تبتدي بعون الله سبحانه تعمل قوسا من صفحتين من خشب السنديان طول كل صفحة منها ستة أذرع وعرضها الاكثر شبر ونصف والاوسط شبر والاصغر نصف شبر ويكون رأس هذه الصفحة مقدار قيراطين القاعدة [١] ، ويبطن هذين الصفحتين [٢] بالقرن والغراء في زمن الخريف وتحزم كما تحزم القسي ، ويترك الى أن يستوفي وقتها ويعلم أن القرن التصق بالخشب التصاقا يؤمن عليه من الانقلاع فاذا انحكم ذلك يعقب بالعقب والغراء بعد أن يحسن الخشب وتزال فواصله ويبرد وكذا القرن ويساوى بالمبرد على ما جرت به العادة وليكن التعقيب طولا وعرضا دسوتا [٣] السنديان طول كل صفحة منهما ستة أذرع وعرضها الاكثر شبر ونصف عدة بمقدارها ويترك الى أن تجف جفافا جيدا في زمان طويل ثم تحسن بالمبرد كما تحسن القسي وتبرد الى أن تزول خشونتها ويستوى هندامها فاذا كملت واستوت تكسوها بالتوز كما يكسى القسي العربية وان شيت [٤] أن تذهبها وتزوقها وتدهنها بدهن الفراغ وهو الاحسن لها فذلك اليك (٠٠٠٠)،

---

(١) أي ١٢/١ منها (المؤلف)

(٢) تكرر القول اننا راعينا عدم تصحيح الاخطاء التي ترد في النص الاصلي للملاحق ٠

(٣) دسوت : ج دست ، والدست معناه « مرة » ٠

(٤) أي ان شئت

فاذا كمل ذلك يفرض في سياتها الفرض للوتر الجاري به العـــادة وليكن بمقدار غلظ الوتر ليتمكن فيه • ثم تعمل شكلا على التربيع من أربعة أضلاع من خشب السنديان الجيد أو ما يقوم مقامه مهندمة ممسوحة بالفأرة الى أن ينتهي في الاستواء الى الغاية ، وليكن مساحة كل ضلع منها عشرة أذرع أو أو أقل أو أكثر على قدر القوس من الكبر والصغر ويجعل في وسطها ضلعا له ثخانة وعرض يثبت فيها قائما ويجعل في وســطه طاقـــة مكونة أحسن تكوين وعليها بابين صفيحة من حديد قطعة واحدة في محور في أعلاه اذا ترك الطبق عليها واذا دفعه السهم انفتح وخرج السهم منها وليكن مقدارها بمقدار سعة السهم وأوسع قليلا ، ويجعل بجانبي هذا الضـلع وترين من الخشب السنديان أيضا لاصقان به ومثبتان معه ثم ينسج على الضلع الاعلى والضلع الاسفل على مقدار الثلثي من الضلع الاوسط زيار معمل من شعر وابريسم كل حبل منها في غلظ الخنصر وكذلك الوتر الذي موترته القوس وليكن بمقدار ما يحمله القوس ان كانت قوتها قنطارا يكون وزن وترها خمسة عشر درهما وعلى ذلك ما زاد ونقص فاذا كمل نسج الزيار المذكور بأوتاد الخشب البقس أو ما جرى مجراه من الجانبين الى أن يأخذ حقه وليكن الاوتاد لها ثخانة اذا انتهى الفتل بها الى حده ورام اخراجها يكون موضعها يسع عرض صفحة القوس اذا جعل فيها • ثم تنزع تلك الاوتاد وتجعل فيها صفحتي القوس المذكورة كل صفيحة في جانب وتجعل رأسها العريض على الوتر الخشب المثبت بجانب الضلع الاوسط في مكان قد فرض لهما فيه وجعل بجانب كل رأس صنارتين من الخشب الســنديان مسمورة موثقة تحفظه من أن يزحف عن موضعه ويكون كل صــفيحة منها مقابلة لاختها على الخط المستقيم حتى يكونا كأنهما صفيحة واحدة ويجعل ســـية الصفيحتين كل واحدة منها على الضلع الطرفاني الذي يليها ويجعل فيهـــا الوتر في الفرضين اللذين فرضا في سياتهما على ما جرت به العادة ويجعل المجراة الى مناصفها قدامه ويحصل الوتر باللولب الذي سأذكره في موضعه ان شاء الله »

الملحق رقم ١١ : وصف القوس الذي يرمي قارورة النفط كما جاء في مخطوط الطرسوسي

(عن :

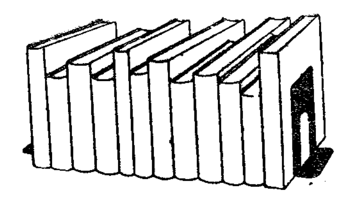
(« Bulletin d'Etudes Orientales - Tome X11 - Années »
1947 - 1948 - Page 111 »).

« ان تتخذ قوسا كقوس الرجل ولها مجراة مكملة بقفلها وجوزتها التي توضع فيها الوتر ، وتخرط آلة من الخشب الصنوبر أو غيره وليكن رأسها على مثال نصف جوزة هندية لطيفة وتجوف تجويفا تسع القارورة التي يكون فيها النفط أو البيضة [1] ، باقيها تكون قبضة لها بائنا عنها بمقدار القبضة مسطح الاسفل الذي تماس مجراة القوس ، ويثقب في الجانب المسطح المذكور ثقبين أحدهما تحت آخر الجوزة والآخر في آخر القبضة وليجعل فيهما زرين طرف ما يبرز منهما أوسع من الطرف الذي يجعل في الثقبين ليكون اذا جعلا في الحفر التي يخندق لهما لا يخرجا منه ويثبت هذين الزرين في الآلة المذكورة ويحفر لهما في المجراة نهرا على قدرهما واسع الاسفل ضيق الاعلى وليكون من جوزة المجراة الى الموضع الذي يقف الوتر فيه اذا أفلت من الجوزة ، ويدخل هذين الزرين في الحفر الذي حفر لهما من عند الجوزة ويجريا في ذلك النهر فيه جريانا سهلا لا توقف

---

(١) البيضة هنا هي قنبرة لها شكل البيضة « المؤلف »

فيه • وتنقب طرف القبضة وتجعل فيها وترا كالصـــرصرة ويربط في وتر القوس في موضع الجر حتى اذا جذب الوتر للتحصيل انجذبت الجوزة معه الى أن يضع الوتر في جوزته قفل بقفله ، فاذا أفلت الوتر جرت الجوزة مع الوتر الى حيث ينتهي وقوفه ولتبطن جوزة الآلة المحفورة بقطعة لبد ثقبت فيها • فاذا أراد الرامي الرمي بالقارورة أو البيضة وضعها في ذلك التجويف من الجوزة على اللبد الموضوع فيها وذلك بعد أن يجذب وتر القـــوس بخطاطيفه ويحصله في جوزته ويقفله بقفله ثم يفلته فان القارورة تخرج منه كالسهم بقوة قذفه وينهي الى حيث المراد فتكسرها تلاقيها من الاجسام ويحرق ما تماسه ») •



الملحق رقم ١٢ : كيفية صنع «مجموعة الاقواس» كما وصفها الطرسوسي

(عن : « Bulletin d'Etudes Orientales - Tome X11 - Page 112 »)

(« تتخذ برجا له أربع جهات وتجعل في كل جهة منه قوسا له مجراة نسع أربع نشابات لكل نشابة فرضا يسيرا نقبت فيه بحيث أن يصل اليهـــا وتر القوس فيدفعها • ويكون مقابل نصل كل نشابة في حائط البرج طاقــة تخرج النشابة منها ، وفي آخر كل مجرى قفلها الذي يحصل فيه الوتر وعلى الاربعة أقفال مفتاحا له أربعة أركان وعلى عدة القسي تكون أركانه وهو في محور مثبت في وسط القسي ويدور في ذلك المحور على الاقفال فيمسكهـا باركانه من ان تطلع أطرافها الى نوق (كلمتان غير مقروئتين) موضـــع يحصل الوتر فيها • ولهذا المفتاح عمودا قائمـــا الى فوق مع (كلمــة غير مقروءة) طوله ذراعا فيه ملوى يديره الى أن تخرج أركانه التي مسكت الاقفال عن أن يطلع الى الخواء اذا أراد أن يفلت الاوتار • فاذا حصـلت أوتار القسي الاربعة في أقفالها أدير المفتاح عليها فركب أطرافها ومنعها من الانفلات • وجعلت السهام في مجاريها فاذا أراد الرمي بها أدار المفتاح عن أطراف الاقفال الى الخواء فانخفضت بكر الاقفـال الى أســـفل وارتفعت أطرافها التي كان المفتاح عليها فانقلبت الاوتار فدفعت السهام فخرجت من طاقات البرج وهذه صورتها (انظر الشكل ٣٤) •

الملحق رقم ١٣ : كيفية صنع الستائر كما ذكرها الطرسوسي

(عن :

(« Bulletin d'Etudes Orientales - Tome X11 - Années »
1947 - 1948 - Page 121 »).

(تتخذ هذا الشكل أزيد من الشكل الذي يستره بمقدار السدس • وهو أن تتخذ أربعة أضلاع على التربيع من الخشب الجيد السنط أو ما شاكله ويطوق بضبب الحديد المثبتة فيه بالمسامير القوية وتجعل تحتها من أربع جوانبها أربعة قوائم من خشب السنديان ويضبب بصفائح الحديد وتوثق بالمسامير وليكن أرتفاعها من الارض ذراع وكسر أو أكثر • وينسج من ضلعها الايمن الى ضلعها الايسر بزيار من الشعر سعة النسج على الضلع المذكور ما يفوق على الشبر وليكن هذا النسج في مقدار شطر الضلع • ثم تتخذ أضلاعا أربعة أخر من الجشب الجيد الشوح أو الصنوبر وتجعل على مواضع التقائها ضبب الحديد المسمرة بالمسامير القوية ويكون الضلعان القائمان منها أطول من الضلعين الآخرين بمقدار ذراع ونصف ليكون شكله شكل مربع مستطول وتجعل طرفيها في الزيار الشعر بعد فتله بالاوتاد وادخالها فيه من الناحيتين على ما تقدم في كيفية فتل زيار قوس الزيار وادخال

القسي فيه ثم نسج على تلك الاضلاع بالقنانيب نسجا مختلفا الى أن يعود على مثال الشبكة • فاذا حصلت أطراف الضلعين الاطولين في الزيار ربط فيها قنبان واشغلت في بعض شكل الدكة في الجهة التي هي ضد ضلع اليسارة ليكون الحجر اذا وقع على السترة مال بها الى ضد ضلعها ميلا يقضيه قوة وقوع الحجر ثم تعود السترة بالضرورة الى ضلعها فتنفض الحجر عنها • وليكن فوق تلك الشبكة التي بالقنانيب براذع محشوة بالصوف أو التبن أو ما جرى مجراه ثم تجعل فوق الجميع على صفة الغشا لبدا مدهونا بما ذكر من الادوية التي تمنع النار من الحريق ويستقى بها سقية جديدة يؤمن بها من حرق النار لها ثم ينصب ذلك في الموضع الذي يحتاج الى ستره وهذه صورتها « انظر الشكل رقم ٤١ ») •



الملحق رقم ١٤ : تركيب أنواع النفوط نقلاً عن مخطوط الطرسوسي

(عن : « Bulletin d'Etudes Orientales - Tome X11 - Années 1947 - 1948 - Page 122 - 125 »)

١ـ صفة نفط مستخرج له قوة في الاحراق ويدخل في كلما يتصرف فيـه النفوط .

(تؤخذ من الزيت الطيب قلة وتؤخذ من النورة غير مطفأة من واحد فتسحق النورة سحقا ناعما ثم تضرب بذلك الزيت ضربا جيدا وتجعل في وقتها في قرعةوتركبعليها الانبيق وتؤخذوصلة ، وتوقد تحتهابنارقويةالىان يقطر جميعه ثم تؤخذالزيتالقاطر فتضافاليهمثلنصف سدسه نورة أخرةغير مطفأة مسحوقة كما فعلت بها أولا ثم يقطر على تلك الصفة فمهما قطر يعمل عليه مثل نصف ثمنه نورة مسحوقة ويقطر ثالثة على المنهاج الاول ثم تؤخذ ما قطر منه فتضاف اليه مثل ربعه نفط ويستعمل فانه يحرق احراقا قويا لا مثل له .

٢ ـ صفة نفط يرمي به بالنشاب :

كبريت جزء راتنج جزء قلفونية جزء نورة جزء ساس كتان أو دقيق التبن مخلوطة بنخالة الحنطة جزء تسحق ما يجب سحقه وتخلط الجميع

وتؤخذ من شحم الكلي فتحرق وتؤخذ منه جزء وتخلط معه وتلف تلك العقاقير في مشاقة رقيقة وتلف عليه قشر التوت وتحشى به قلب النصل وتلف عليه وترمي فيه جمرة لطيفة أو تحرق طرفه وترمي به فاذا خالطه الهوى[1] أشعل نارا عظيمة فتحرق أي شيء أصابه .

٣ ــ صفة نفط آخر يرمى به في قشر البيض .

سندروس مذاب يضاف اليه مثله ماء الكبريت وهو النفط ومثله قلفونية ويجعل في قشر بيضة قد استخرج ما فيها ويسقب على النار ويملىء بـــه ويرمى بها على أي جسد شئت فاذا اتكسرت عليه أحميت نصلا حماء جيدا الى أن يكاد يذوب ، ارم به على ذلك المكان فانه يشعل نارا محرقة .

٤ ــ عمل نفط جيد يرمى به عن المنجنيق .

قطران عشرة أرطال راتنج ثلثة أرطال سندروس ولك من كل واحد رطل ونصف كبريت نقي طيب سالم من الترابية ثلثة أرطال شحم دلفين مسلى مذوب خمسة أرطال شـــحم كــلا الماعز محلول مروق مثله تحــل القطران وتلقى عليه تلك الشحوم وتطرح عليه الراتنج بعد أن تحله عــلى حدته ثم تسحق العقاقير كل واحد على حدته وتدر على المطبوخ وتقد عليه ويطبخ الى ان يصير الجميع واحدا فاذا أردت العمل به في وقت الحرب فتأخذ منه جزءا وتضيف اليه مثل عشره من الكبريت المعدني الذي يسمى النفط ما كان منه يميل الى الخضرة تشبه الزيت القديم ويجعل الجميع في طنجير وتغليه الى أن يكاد يقد فتغط الاناء بلبد وليكن فخارا وترمي به عن المنجنيق على الشيء الذي تريد حرقه فانه لا يطفأ أبدا .

٥ ــ عمل نفط يمشي على الماء يصلح لحرق المراكب .

قطران جزء كبريت معدني وهو النفط جزء راتنج جزء سندروس جزء شحم دلفين مسلي مروق جزء شحم كلي ماعز مثله كبريت أصـــفر

---

(١) يقصد « الهواء » ، وقد اوردنا الملاحق كما وردت بالنصوص الاصلية بدون أي تصحيح .

جزء تسحق ما يجب سحقه ويرفع القطران على النار الى الدست شيء فاذا علي القطران يضاف اليه السندروس ويضرب به الى أن يختلط ثم يلقى عليه بعد الفراغ الكبريت المعدني الذي كله الزيتالقديم وترفع فاذا احتجت اليه تأخذه وتغليه الى أن تعلم أنه قد أخذ الحد فتشعل فيه نارا وترسله على الماء الى ما اردت من المراكب فانه تحرق احراقا عظيما ويمشي على الماء ولا ينطفيء •

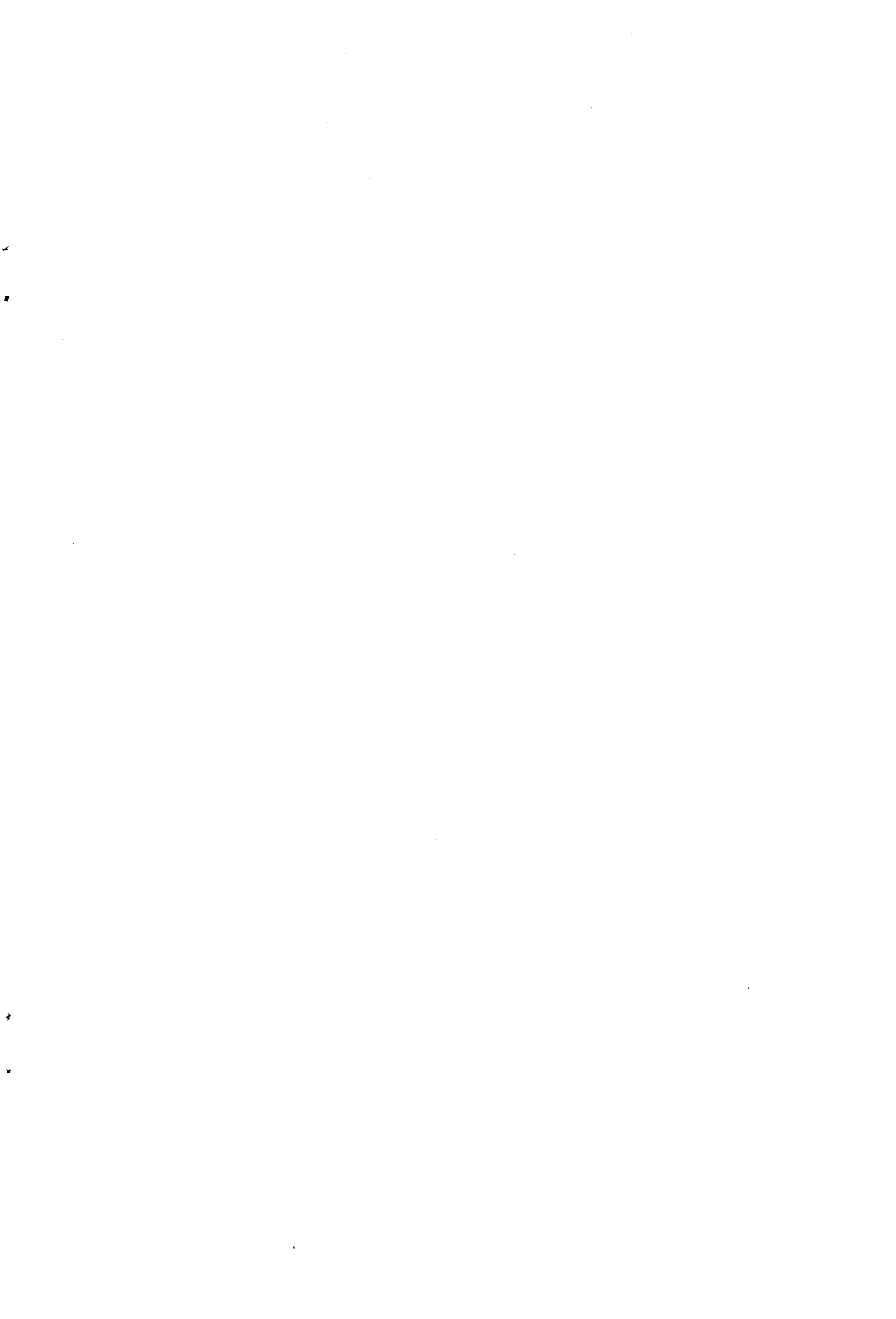
٦ ـ صفة نفط آخر مليح •

نورة لم يصبها الماء مسحوقة يضاف اليها مثل نصفها صمغ السـرو مسحوق وكبريت أسود مسحوق مثله ويعجن الجميع بدهن الرند ثم يعمل في الاواني ويرمى به على أي جسم شئت ويصبر عليه ساعة الى أن ينشف في الشمس ثم يؤخذ بيلسان فيطلى على قصبته ويرمى بها عليه فانه يشتعل نارا عجيبة يحرق كل شيء ، وان جعل دهن البليسان في قارورة وكسرت عليه كان أجود •

٧ ـ صفة نفط يشتعل اذا رششت عليه الماء :

تؤخـذ نورة غير مطفأة فتسحق وتخلط بشـمع ودهن ونفط أبيض وكبريت وتعمل منه صنما فانك اذا رششت عليه الماء اشتعل نارا •

٨ ـ صفة طلاء يمنع النار من أن يضر من طلي به : (تؤخـذ طلقا محليا بالباقلي وتعجن بالمغرة وشيء من خطمية عجنا جيدا ثم تطلي به ما أردت وتدعه حتى يجف وتعمل النار عليه فانها لا تألم) •



الملحق رقم ١٥ : قواعد ركوب الخيل كما جاءت في كتاب ابن هذيل الاندلسي

(فينبغي لمن يريد التصرف على الدواب أن يتعلم ما لا غنى به عن معرفته من احسان الركوب على العري وعلى السرج وامساك العنان ، ويتعلم أصولا من أعمال الفروسية فيستعين بها على ركوب الخيل والثبات عليها • واعلم ـ أرشدك الله ـ ان أصل الفروسية الثبات وأن مبتدأها انما هو الركوب على العرى من الخيل ، ومن لم يتدرب أولا على عرى لم يستحكم ثبوته في الغالب بل يكون أبدا قلقا في سرجه ولا سيما عند خببه وركضه ، فلا يؤمن سقوطه ان اضطراب فرسه أو اصابته هنة •

فمن أراد التفرس على العرى فليلبس ثيابا خفافا مشمرة ويلجم فرسه ويشد عليه جل صوف أو شعر وثيق الحزام واللبب ، فان الراكب على الجل أثبت منه على المجرد ، ويقف على يسار فرسه عند منكبه ويمسك عنان لجامه بيده اليسرى وان أخذ العرف مع العنان فلا بأس به ، ويثب بسرعة وخفة ، فاذا استوى على ظهره جمع يديه في العنان عند كاهل الفرس ونصب ظهره ولزم بفخذيه موضع دفتي السرج من ظهر الفرس ويتقدم قليلا فالتقدم أحسن على العرى من التأخر ، ويمد ركبتيه وساقيه وقدميه الى كتفي الفرس،

حتى يمكنه أن ينظر الى ابهامي قدميه ، وليكن اعتماده على اللزوم بفخذيه ، فبذلك يحوز الثبات ، وكل من لزم ركوبه غير ذلك فلا ركوب له ولا ثبات.

وتسوية العنان أصل في الاحسان والاتقان ، ثم يخرج فرسه من الوقوف الى المشي بغمز خفيف يغمزه بعقبيه برفق، ثم يسير به العنق برفق ، ثم يتوسع في العنق قليلا ، ويكون في خلال ذلك يتعهد نفسه في الجلوس على الهيئة المذكورة وفي أخذ العنان وتسويته حتى يعلم انه قد ثبت وصار له ذلك عادة وطبعا ، ثم ينتقل فرسه من العنق الى الخب بزيادة الغمز بعقبيه زيادة خفيفة فيخب خبا لينا ، وليخطف نفسه ، فان الخب يكاد يقلع الفارس من سرجه لا سيما عند ابتدائه وعند جذبه وانتهائه فيحذّر ذلك في الحالين ، ثم ليزد بعد بتدريج حتى يقارب التقريب .

فاذا ثبت على ذلك انتقل الى التقريب بسكون واستواء حتى يسير سيرا كدبيب الراجل وليستعن بساقيه ويلزم بهما الفرس أو يدخل قدميه تحت ابطي الفرس أو بين يديه ان كان من يلحق ذلك في الخب والتقريب ، فاذا ثبت على ذلك واستغنى عن الاستعانة بساقيه وسكن في ظهر الفرس وسكن الفرس تحته سكونا تاما ، فليجر عند ذلك فرسه بين الجريتين . فان ثبت وخف عليه امره فليجر فرسه ملء فروجه ، وليحذر عند ذلك على نفسه في الحالين عند الوثب وعند الجذب . وليكن جذبه قصدا ولا يطول في الطلق فان الطول قد يفسد الخيل ولا سيما التي يعمل عليها بالرمح . فان كان الفرس لينا ويعلم أنه ينحبس في جذبة واحدة فلا يحبسه الا في ثلاث جذبات ، ويحبسه في الرابعة بوقفة منها . وتكون كل جذبة الين من التي قبلها ، ولا يقبض رأسه عند جذبه ، وليكن حبسا رفيقا متدانيا مرة بعد أخرى ، ولا يرسل العنان بين الجذبتين لئلا يعود الفرس الى الجري . وليعدل يده بالعنان عند ذلك ويكون حبسه له باستواء . وليحذر طوله من جانب وقصره من جانب فان اعتدال العنان للفارس والفرس كالميزان . وحسن التقدير في ذلك عنوان العقل وشاهد النبل . وتعديله بمقدم الفرس ومؤخره

أكثر ما تعتني به أولا وآخرا • فليحذر الميل من أحدهما عن الاستواء ، وكثير من الخيل اذا حبسه غير العارف خلعه عند ذلك من سرجه •

وليتحفظ أيضا عند الجذب من ادماء فم الفرس باللجام فقل ما يدميه الا من لا معرفة له بامساكه ولا تقدير عنده في عنانه • وليكن اللجام نازكيا وهو المعروف الآن باللزمة وما أشبه فانه من لجم الفرسان • ويكون ثقله وخفته بقدر احتمال الفرس فلتجرب عليه اللجم فأيها كان أخف عليه وأطيب في فمه وهو به أحسن حالا فذلك لجامه • وعند النظر اليه يظهر ما يصلحه من ذلك • وان يكون الفرس يعلك لجامه فيستطيبه أحسن من أن يخافه فيشببه أو يطأطيء رأسه ، ولا يكون أيضا من الخفة بحيث يستهين به الفرس ولا يملك الفارس رأسه فالاعتدال بين ذلك هو المقصود •

وليكن عذاره الى القصر ، فان طوله ينقص من جري الفرس لا سيما الضعيف اللحيين • وبالضرورة يعلم أنه اذا ضرب اللجام أسنانه آذاه وقطع به عن كثير من الجري وشغله • واذا قصر العنان أخذ اللجام بانيابه واعتمد عليه وتروح اليه ، وليكن العنان أيضا الى القصر بحيث لا يتجاوز القربوس الا باليسير فان طوله مشغلة للفارس ، محير للفرس • فاذا اتقن ذلك كله وتعود الركوب على العرى وصار له ذلك كالطبع فقد ملك من الركوب أصله وحاز جله فلينقل بعد نفسه الى السرج بعون الله تعالى •

ومن أراد التفرس على السرج فالمستحب له أن يتخير سرجا متسعا ليتقلب فيه كيف شاء لا سيما لمن أراد التعلم فالمتسع أوفق له من الضيق ، وليكن وثيق الخشب واسع المجلس لاطيء القربوس والمؤخرة ويكون لببه وثيقا من جلد حسن الدباغ يدور بالسرج وحزام كذلك وثيق ، قال ابن حزام : وحزامان خير من حزام واحد ، وهو أحب الي، وركابين معتدلي الوزن والتقدير والحلق ، لا بالواسعة ولا بالضيقة وثقلهما خير من خفتهما • ويوثق من سير الركابين والابازم ، ويتفقد مقدار طولهما وقصرهما ليكونا

سواء وبقدر الحاجة في الطول والقصر • وان يكونا الى الطول يسيرا أحسن من أن يكونا الى القصر فانه ان قصر الركابان ربما انقطع الفارس من سرجه عند وثب الفرس وعند جذبه في الجري فلا يأمن السقوط لا سيما ان راغ الفرس أو شب •

ولكل رجل فيهما حد ينتهي اليه ، ويقد عليه كأثواب اللباس والخفاف وغيرها ، من تعدى حده وفارق قده ثقل عليه ملبوسه ، وتعذر قيامه فيه وجلوسه •

فالذي يصلح من ذلك أن يعتمد على مقعدته في مقعد سرجه مع ابسباط ساقيه واعتماده على ركابيه حتى يكون كالقائم المالك لجميع جسده المتصرف باعتدال في كل عضو من بدنه •

وينبغي له أن يتخذ بدادين مدورين أو مربعين ، ولا سيما لمن أراد السفر الطويل والجري الكثير ، فانه وقاية لحارك الفرس ، ان انقطع شيء من معاليق السرج فيقيه البداد ويحرس ظهر الفرس من القربوس والمؤخرة• ويتخذ مرشحة من طاقتين وقاية تحت البدادين والمرشحة أيضا تجفف العرق من البدادين •

فاذا أراد الركوب عليه شده بيديه ، وتولى أمره بنفسه ، ولم يتكل فيه على غيره، فان تولاه غيره فليمتحنه عند ركوبه احتياطا بحركته ونزوله • ومتى كان الحزام رخوا ماج السرج بفارسه ، لا سيما ان أمسك السلاح وذلك غير جيد • وأيضا فان الحزام اذا اشتد لم يمج في ظهر الفرس ولم يكد يدبره ولا يعقر ظهره • ومع رخاوته وانحلاله كثيرا ما يفعل الدبر والعقر ، وليمسك سوطه أو قضيبه عند الركوب بيده اليسرى ويشمر ثيابه ويقف عن يسار فرسه بحذاء ركابه الايسر وراءه قليلا ، ولا يتقدم في الوقوف فانه عيب وليكن جانبه الايسر يلي منكب الفرس فيأخذ العنان بيده اليسرى مع طاق القربوس من داخله او مع العرف ان رأى ذلك أعون له •

وليقصر عنانه في يده ليمتليء رأس الفرس ومتى لم يحس الفرس عند ذلك اللجام ربما اضطرب فلم يمكن من ركوبه ولا يفرط في كبحه فيدور عليه ولكن على اعتدال فيه .

ثم يفتل الركاب الايسر الى قدام فتلة واحدة ، ويضع صدر رجله اليسرى فيه ويمدها الى كتف الفرس ولا يدخلها تحت بطنه ، ثم ليأخذ بيده اليمنى القربوس ومؤخر السرج ، أي ذلك شاء فكل ذلك صواب واخذ القربوس باليمنى أحب الى الفرسان . ثم ليشل نفسه الى فوق شيلا رفيقا باقتدار وسكون حتى يركب بسرعة . وان أمسك له انسان الركاب الايمن عند ركوبه فذلك حسن .

فاذا استوى في سرجه فليضع صدر رجله اليمنى في الركاب الايمن ويعتمد على الركابين قليلا ليسوي ثيابه .

وان أحب أن يسوي ثيابه بيمينه قبل أن يجلس في السرج وبعد الاستقلال فليفعل ذلك فقد فعله الفرسان ولا أرى انا ذلك اذ قد يعتري الفرس حركة فلا يمكن استقلاله .

ولكن يمسك العنان في خلال ذلك كله ثم يسوي العنان بيده جميعا ويعدل به رأس الفرس ثم يخرج الفرس من حالة الوقوف الى المشي بأن يغمزه بعقبه غمزا خفيفا ولا يحركه بحركة بدنه ولا بحركة ساقيه يضرب بهما بطن الفرس فذلك قبيح لا يفعله الفرسان .

ولينظر الى ألذ مشية فرسه وأحسنها عنده وأخفها على نفسه وعلى الفرس وأشدها سكونا فيحمله عليها ، وليتفقد ما يصلح بالفرس من ذلك بعنـــاية .

واحسان الركوب والفروسية انما هو بحسن القعود في السرج والثبات وتعديل العنان واستواء الغمز واستعماله في موضعه بمقدار حيث يحتاج

اليه ويضطر له فليكن جلوسه مستويا منتصب لظهر معتدل المنكبين لا منحنيا ولا مستلقيا ولا متصدرا ولا منحدبا بل معتدلا بين ذلك كله

فاذا أحكم الجلوس هكذا فليلزم بفخذيه دفتي السرج ويطول فخذيه ، ويسور رجليه في الركابين ويلزمهما صدورهما ولا يفتحها ولا يؤخرهما •

وليس بالفارس أقبح من تأخير رجليه ، وليقدمنهما ولا يفرط • والقدر الذي يستحسن من ذلك أن يكاد الراكب ينظر الى أطراف أصابع رجليه اذا استوى • وأصل الركوب التمكن وبسط الفخذين وتطويلهما واللزوم بهما وارخاؤهما على السرج •

وجل الفرسان يرون حسن الركوب على الفخذين ، والاعتماد على الركابين وذلك أثبت له وبه يكون الراكب كالقائم • وليعتن بتمكن صدور قدميه في الركابين ، ويعتمد على الايمن أشد سيرا عند العمل بالرمح • وللرامي أن يعتمد على الايسر أشد يسيرا •

وقد تقدم ذكر تسوية العنان فليتفقده بعناية أكيدة شديدة ، فانه نفس الفروسية وملاكها ، وأصلها وفروعها ، وليتحفظ به ، فهو الميزان الذي لا يحتمل الرجحان وله حساب لا يقف على حقيقته الا الحاذق الطبع • وليكن وزنه في ذلك تعديل رأس الفرس بـــه ، وأن يجد الفرس مس اللجام وطعمه أبدا ، حتى يعلم أن فارسه أبدا لا ساه ولا غافل عنه • ولو لم يكن ذلك الا مخافة العثار ان أصابته هنة فيمسكه باللجام • وأيضا فان ارخاء العنـــان بافراط يعـود الفرس أن يركب رأسـه ويحكم نفسه فلا يستقيم ركوبه • ولا ينبغي أن يدفع الفرس للجري وهو يمسك العنـان ويجذبه ، فانه لا يدري الفرس أن الجري يراد منه ، ولا يفرط في ارساله فيختلط الامر عليه ويقلق ولكن بين ذلك امساكا معتدلا • ولان يملك الفارس رأس فرسه أوفق له وأحسن ••

وقد تقدم تدريج السير من المشي الى الخب ثم الى التقريب ثم الى

العدو (....) • ومن اضطر الى الركوب على السرج وهو دون حـزام فليأخـذ الركاب الايمن بيـده اليسرى ويجذبه على مجرى اللبب جذبا شديدا ويضع رجله اليسرى في الركاب الايسر ويأخذ بيمينه القربوس مع العنان ثم يركب •

ومن اضطر الى الركوب مع الرديف فليمسك العنان كما تقدم ويضع رجله اليسرى في الركاب الايسر ويأخذ طاق القربوس بيده اليمنى ، ثم ليشل نفسه ويشق برجله اليمنى السرج فيركب • واذا أخذ العنان بيده اليمنى مع طاق القربوس فـلا بأس بذلك ان احتاج اليه ، وللضرورات احكام بحسب أحوالها الحاضرة ، فليتناول الرجل منها أحسن ما يمكنـه ويقدر عليه من التناول بعون الله تعالى •

(عن كتاب « حلية الفرسان وشعار الشجعان » — ص ١٣١ — ١٤٠) •



الملحق رقم ١٦ : جدول بتشكيلات الجيش العربي القديم وما يقابلها من التشكيلات الحديثة

التسمية العربية القديمة		التسمية العربية الجديدة		التسمية باللغة الفرنسية		عدد الرجال التقريبي في الوحدة العربية القديمة	ملاحظات حول التسمية العربية القديمة
الوحـــدة	رتبة القائد	الوحـــدة	رتبة القائد	الوحـــدة	رتبة القائد		
العسكر	أمير العسكر	الجيش	مشير	Armèe	General	١٥٠٠٠ ـ ٢٥٠٠٠	
الخميس	رئيس الخميس	الفرقة	فريق أو لواء	Division	General	٤٠٠٠ ـ ٢٥٠٠٠	
الجيش ـ الفرقة ـ التعبية	رئيس الجيش	اللواء	لواء أو عميد	Brigade	Colonel	١٠٠٠ ـ ٤٠٠٠	بالنسبة لوحدات الخيالة ، تسمى الفرقة جحفلا ، والسرية كوكبة ، والفصيلة رعيلا ، والجماعة ثلة .
الكردوس ـ الكتيبة	أمير الكردوس	الكتيبة ـ الفوج	عقيد أو مقدم	Regiment	Commandant	٥٠٠ ـ ١٠٠٠	
السرية	قائد السرية	السرية	رائد أو نقيب	Compagnie	Capitaine	٥٠ ـ ٤٠٠	
المقنب ـ الجريدة	الخليفة	فصيل أو فصيلة	ملازم أول أو ملازم	Section	Lieutenant	٣٠ ـ ٤٠	
الحضيرة	العـريف	الجماعة	رقيب	Groupe	Sergent	١٠ تقريبا	
الرهط	العـريف	الطاقم ـ الزمرة	عريف	Equipe	Caporal	٥ ـ ١٠	

الملحق رقم ١٧ : موجز لتاريخ فداء الاسرى عند المسلمين

لقد كانت أول حادثة فداء في الاسلام هي حين وقع الحكم بن كيسان، وعثمان بن عبد الله ، أسيرين في سرية عبد الله بن جحش ، فبعثت قريش في فدائهما ، وقبل الرسول (ص) تنفيذا لحكم الآية الشريفة : « فان لقيتم الذي كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » •

وكان عليه السلام يحرص على مفاداة اسرى المسلمين كل الحرص، فقد فدى رجلين من المسلمين برجل من عقيل ، وكان يفادي بعض اسرى المشركين بالمال ، كما في غزوة بدر ، فقد شاور أصحابه في أسرى قريش، فأشار عليه أبو بكر الصديق بأخذ الفدية منهم حتى ينتفع المسلمون بها ، وعسى أن يهديهم الله الى الاسلام فيزداد بهم قوة ، فقبل الرسول أن يفادي الواحد منهم بدفع ما بين الالف والاربعة آلاف درهم ، حسب مكانته الاجتماعية في قريش •

وقد جرت كثير من حوادث الفداء في العهدين الراشدي والاموي ، ولكنها لم تكن منتظمة كالتي جرت في العهد العباسي • وقد جرى أول فداء

في عهد العباسيين على نهر اللامس ، على بعد ١٢ فرسخا من طرطوس [١] ، وذلك في عهدالرشيد سنة ١٨١ هـ (٧٩٧م) ، ففودي بكل أسير في بلادالروم، وقد شهد هذا الفداء جمهور من المسلمين يقدر بـ (٥٠٠٫٠٠٠) نسمة ، بأحسن ما يكون من العدد والسلاح والقوة ، وجاءت مواكب الروم الحربية بأحسن ما يكون الزي ، ومعهم الاسرى وعددهم (٣٧٠٠) أسير .

وكان الفداء الثاني في عهد الرشيد أيضا سنة ١٨٩ هـ (٨٠٤ م) ، وفودي به ٢٠٥٠ أسيرا .

وأما الفداء الثالث فكان في عهد الواثق سنة ٢٣١ هـ (٨٤٥ م) ، حيث اجتمع المسلمون والروم على نهر اللامس ، واحضر كل فريق من معه من الاسرى ، وكان النهر يفصل بين الطائفتين ، فكان المسلمون يطلقون الاسير فيطلق الروم الاسير من المسلمين فيلتقيان في وسط النهر ، ويأتي كل الى أصحابه ، فاذا وصل الاسير الى المسلمين كبروا ، واذا وصل الاسير الى الروم صاحوا حتى فرغوا . وكان عدد الاسرى المسلمين في هذا الفداء (٥٣٦٠) أسيرا موزعين كما يلي :

٤٤٦٠ من الرجال ٨٠٠ من النساء ١٠٠ من أهل الذمة الملحقين بالمسلمين [٢]

وكان الفداء الرابع في عهد المتوكل على الله سنة ٢٤١ هـ (٨٥٥ م) على نهر اللامس أيضا ، وكان القائم به من جهة المسلمين « شنيف » خادم المتوكل ، وكانت عدة من فودي به من المسلمين في سبعة أيام ٨٧٥ رجلا و ١٢٥ امرأة .

وكان الفداء الاخير الذي جرى في عهد الدولة العباسية ، بين المسلمين والروم ، هو الفداء الذي قام به سيف الدولة سنة ٣٥٥ هـ (٩٦٥ م) حيث

---

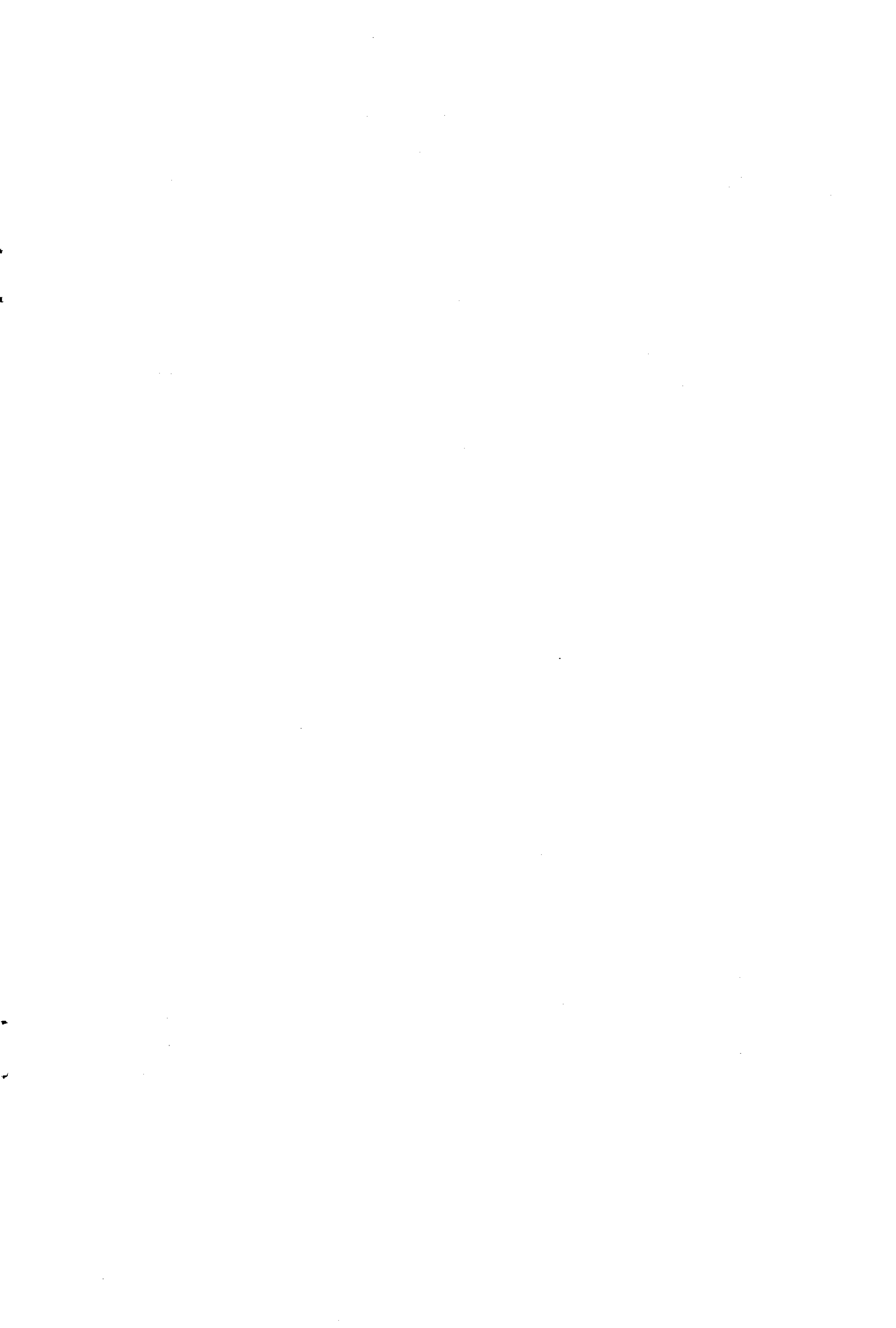
(١) الفرسخ يعادل – ٣٫٤١ ميلا .

(٢) لا يفوتنا هنا أن ننوه بأن فداء المسلمين لاهل الذمة الذين كانوا يعيشون بين ظهرانيهم يدل على مقدار التسامح الديني الذي كانوا عليه ، ويدل على أن روح التآخي كانت سائدة بين المسلمين والمسيحيين في هذه البلاد منذ زمن طويل ..

فدى بالاسرى المحتجزين لديه ابن عمه أبا فراس ، وجماعة من أكابر قواده ، ولما لم يبق معه من أسرى اشترى الباقين كل نفس بـ ٧٢ دينارا ، فنفذ ما معه من المال ، وبقي هناك أسرى مسلمون ، فافتداهم بدرعه الجوهر المعدوم النظير . وبعد أن توفي سيف الدولة سنة ٣٥٦ هـ ، وخرجت الموصل من الحمدانيين ، وهم عرب من شيبان ، الى البويهيين ، وهم عجم من جيلان ، سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) ، واحتل الفاطميون حلب سنة ٣٩٤ هـ (١٠٠٣ م) ، انقطع الفداء ، وتفرق سكان الثغور الى المدن الاسلامية ، خوفا على أنفسهم وأموالهم من فتكة الروم .

(بالاختصار عن كتاب « الجندية في الدولة العباسية » لمؤلفه نعمان ثابت – ص ٧١ – ٧٨)





الملحق رقم ١٨ : مقتطفات من رسالة عمر بن الخطاب (١)

ووصية علي بن أبي طالب في التعبئة (٢)

آ ـ كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن ابي وقاص ومن معه من الاجناد:

(« وترفق بالمسلمين في مسيرهم ، ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم فانهم سائرون الى عدو مقيم حامي الانفس والكراع ، واقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ، ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك الا من تثق بدينه ولا يرزأ أحدا من أهلها شيئا ، فان لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بهـــا كما ابتلوا بالصبر عليهـا فما صبروا لكم فقولوهم خيرا ، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح . واذا وطئت أرض العدو فاذك العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرهم . وليكن عندك من العرب أو من أهل الارض من تطمئن الى نصحه وصدقه ، فان الكذوب لا ينفعك خبره وان صدقك في بعضه ، والغاش عين عليك وليس عينا لك ، وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع

---

(١) راجع « العقد الفريد » لابن عبد ربه ـ ج ١ ـ باب وصايا أمراء الجيوش .

(٢) راجع « الجندية في الدولة العباسية » لنعمان ثابت ـ ص ٢٤٦ .

وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا امدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع عوراتهـــم .

وانتق للطلائع أهل الرأي والباس من أصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل ، فان لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل امر السرايا الى أهل الجهاد والصبر على الجلاد ، لا تخص بها أحدا بهوى فيضيع من رأيك وامرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك ، ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكاية . فاذا عاينت العـــدو فاضمم اليـك أقاصيك وطلائعك وسراياك واجمع اليك مكيدتك وقوتك ثم لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتـل ، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله وتعرف الارض كلها كمعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك ، ثم اذك احراسك على عسكرك ، وتيقظ من البيات جهدك (....) والله ولي أمـرك ومن معـك ، وولى النصـــر لـكم على عدوكم ، والله المستعان ») .

ب ـ وقال علي بن أبي طـالب يوصي قائديـــه في صفين ، زياد بن النضر وشريح بن هانيء :

(« واعلما ان مقدمة القوم عيونهم ، وعيون المقدمة طلائعها ، فاياكما ان تسأما عن توجيه الطلائع ، ولا تسيرا بالكتائب والقبائل من لدن مسيركما الى نزولكما الا بتعبية وحذر ، واذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في اشرف المواضع ، وليكن ذلك لكم حصنا حصينا ، واذا غشيكم الليل فحفوا عسكركم بالرماح والترسـة ، وليليهم الرماة ، ومـا أقمتم فكذلك كونوا لئلا يصاب منكم غرة ، واحرسا عسكركما بأنفسكما ، ولا تذوقـا نوما الا غرارا ومضمضمة ، وليكن عندي خبر كما فاني ولا شيء الا ما شاء الله ، حثيث السير في أثركما ، ولا تقاتلا حتى تبدآ أو يأتيكما أمــري ان شاء الله ») .

جـ ـ وقد خطب علي بن ابي طالب بجنده يوم واقعة صفين :

(« فسـووا صفوفكم كالبنيان المرصوص ، وقدموا الدارع واخروا الحاسر ، وعضوا على الاضراس فانه أنبى للسيوف عن الهام ، والتووا على أطراف الرماح أصون للاسنة ، وغضوا الابصار فانه أربط للجأش وأسكن للقلوب ، واخفتوا الاصوات فانــه أطــرد للفشل وأولى بالوقار ، وأقيموا راياتكم فلا تميلوها ولا تجعلوها الا بأيدي شجعانكم ، واستعينوا بالصدق والصبر فانه بقدر الصبر ينزل النصر ») .

★ ★ ★

الملحق رقم ١٩ : بعض فقرات رسالة عبد الحميد الكاتب في التعبئة [1]

(« .... ثم أذك عيونك [2] على عدوك ، متطلعا لعلم أحوالهم التي يتقلبون فيها ، ومنازلهم التي هم بها ، ومطامعهم التي قد مدوا بها أعناقهم نحوها ، وأي الامور أدعى لهم الى الصلح ، وأقودها لرضاهم الى العافية ، ومن أي الوجوه مأتاهم : أمن قبل الشدة والمنافرة والمكيدة والمباعدة ، والارهاب والابعاد ، أو الترغيب والاطماع ؟ متثبتا في أمرك ، متخيرا في رويتك ، متمكنا من رأيك ، مستشيرا لذوي النصيحة ، الذين قد حنكتهم التجربة ، ونجذتهم [3] الحروب ، متشزنا في حربك [4] ، آخذا بالحزم في سوء الظن ، معدا للحذر ، محترسا من الغرة [5] كأنك مواقف لعدوك رأي عين ، تنظر حملاتهم ، وتتخوف غاراتهم ، معدا أقوى مكيدتك ، وأجد

---

(١) رسالة وجهها عبد الحميد الكاتب الى ولي العهد عبد الله بن مروان ، الذي كان قد كلفه أبوه مروان بن محمد بالتوجه لمحاربة الضحاك الخارجي سنة ١٢٩ هـ . وبوسع القارىء أن يجد النص الكامل للرسالة في كتاب « رسائل البلغاء » للاستاذ محمد كرد علي ، ص ١٧٣ ــ ٢١٠ (الطبعة الثالثة ١٩٤٦ م) .

(٢) العيون : رجال الاستطلاع .

(٣) أي أحكمتهم التجارب .

(٤) أي متأهبا في حربك .

(٥) الغرة : المفاجأة .

تشميرك ، وأرهب عتادك ، معظما أمر عدوك لاكثر مما بلغك ، ومن المكيدة قويا ، من غير أن يفتأك [1] ذلك عن احكام أمورك ، وتدبير رأيك ، واصدار رويتك ، والتأهب لما يحز بك ، مصغرا له بعد استشعار الحذر ، واستبطان الحزم ، واعمال الروية ، واعداد الاهبة • فان ألفيت عدوك كليل الحد ، وقم الحزم [2] ، نضيض الوفر [3] ، لم يضررك ما أعددت له من قـوة ، وأخذت من حزم ، لم يزدك ذلك الا جرأة عليه ، وتسرعا الى لقائه • وان ألقيته متوقد الجمر ، مستكشف الجمع ، قوي التبع ، مستعلي سورة الجهل معه من أعوان الفتنة وتبعة ابليس من يوقد لهب الفتنة مسعرا ، ويتقدم الى لقاء أبطالها متسرعا ، كنت لاخذك بالحزم ، واستعدادك بالقوة ، غير مهين الجند ، ولا مفرط في الرأي ، ولا متلهف على اضاعة تدبير ، ولا محتاج الى الاعداد (•••••) •

احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من أخبار عدوك ، واياك ومعاقبة أحد منهم على خبر ان أتاك به اتهمته فيه ، وسؤت ظنا عليه به ، وأتاك غيره بخلافه ، أو أن تكذبه فيه وترده عليه • ولعله أن يكون قـد محضك النصيحة ، وصدقك الخبر ، وصدقك الخبر ، وكذبك الاول ، أو خرج جاسوسك الاول متقدما قبل وصول هذا من عند عدوك (••••) وعدهم جزالة المثاوب في غير ما استنامة منك الى ترقيقهم [4] أمر عدوك ، والاغترار بمـا يأتونك به ، دون أن تعمـل رويتك في الاخـذ بالحزم ، والاستكثار من العدة • واجعلهم أوثق من تقدر عليه ، وآمن من تسكن الى ناحيته ، ليكون ما يبرم عدوك في كل يوم وليلة عندك ان استطعت ذلك،

---

(١) يفتأك : يسكنك •

(٢) أي مقهور الحزم •

(٣) أي ضعيف الامكانيات •

(٤) أي أنه يحذر ولي العهد من الاخذ بكلام الجواسيس ، بدون تدقيق ، حينما ينقلون اليه أخبارا عن عدوه تجعل هذا العدو ضعيفا وقوته قليلة •

فتنقض عليهم بتدبيرك ورأيك ما أبرموا ، وتأتيهم من حيث أقدموا ، وتستعد لهم بمثل ما حذروا •

واعلم أن جواسيسك وعيونك ربما صدقوك ، وربما غشوك ، وربما كانوا لك وعليك [1] فنصحوا لك وغشوا عدوك ، وغشوك ونصحوا عدوك ، وكثيرا ما يصدقونك ويصدقونه (••••) واحذر أن يعرف جواسيسك في عسكرك ، أو يشار اليهم بالاصابع ، وليكن منزلهم على كاتب رسائلك وأمين سرك ، ويكون هو الموجه لهم ، والمدخل عليك من أردت مشافهته منهم • واعلم أن لعدوك في عسكرك عيونا راصدة ، وجواسيس كامنة ، وأن رأيه في مكيدتك مثل ما تكايده به ، وسيحتال لك كاحتيالك له ، ويعد لك كاعدادك له ، فاحذر أن يشهر رجل من جواسيسك في عسكرك فيبلغ ذلك عدوك ، ويعرف موضعه فيعد له المراصد ، ويحتال له بالمكايد ، فان ظفر به وأظهر عقوبته كسر ذلك ثقات عيونك ، وخذ لهم عن تطلب الاخبار من معادنها ، واستقصائها من عيونها ، حتى يصيروا الى أخذها مما عرض من غير الثقة ولا المعاينة ، لقطا لها بالاخبار الكاذبة ، والاحاديث المرجفة •

واحذر أن يعرف بعض عيونك بعضا ، فانك لا تأمن تواطؤهم عليك ، وممالاتهم عدوك ، واجتماعهم على غشك ، وأن يورط بعضهم بعضا عند عدوك (••••) •

فاذا أحكمت ذلك ، وتقدمت في اتقانه ، واستظهرت بالله وعونه ، فول شرطتك وأمر عسكرك أوثق قوادك عندك ، وآمنهم نصيحة ، وأنفذهم بصيرة في طاعتك وأقواهم شكيمة في أمرك (••••) • وليكن عالما بمراكز الجنود ، بصيرا بتقدم المنازل ، مجربا ، ذا رأي وتجربة وحزم في المكيدة،

---

(١) فطن الكاتب ، منذ ذلك الوقت ، الى أن العميل لك قد يكون عميلا لعدوك أيضا ، وتاريخ الحروب الحديثة مليء بمثل هذه الحالات ، حيث يطلق على العميل الذي يعمل للعدوين معا اسم (عميل مزدوج Double - Agent)

له نباهة في الذكر ، وصيت في الولاية ، معروف البيت ، مشهور الحسب • وتقدم اليه في ضبط معسكرك ، واذكاء أحراسه في آناء ليله ونهاره ، ثم حذره أن يكون له اذن لجنوده في الانتشار والاضطراب والتقدم لطلائعك، فتصاب لهم غرة يجتريء بها عدوك عليك ، ويسرع اقداما اليك ، ويكسر من أفئدة جنودك ، ويوهن من قوتهم ، فان اصابة عدوك الرجل الواحد من جندك وعبيدك فطمع لهم فيك ، مقولهم على شحذ أتباعهم عليك ، وتصغيرهم أمرك ، وتوهينهم تدبيرك • فحذره ذلك وتقدم اليه فيه • ولا يكونن منه افراط في التضييق عليهم ، والحصر لهم ، فيعمهم أزله [1] ، ويشملهم ضنكه ، ويسوء عليهم حاله ، وتشتد به المؤنة عليهم ، وتخبث له ظنونهم • وليكن موضع انزاله اياهم ضاما لجماعتهم ، مستديرا بهم ، جامعا لهم ، ولا يكون منتشرا متبددا فيشق ذلك على أصحاب الاحراس ، ويكون فيه النهزة للعدو ، والبعد من المادة ، ان طرق طارق في فجآت الليل وبفتاته • ومره فليول عليهم رجلا ركينا مجربا ، جريء الاقدام ، ذاكي الصرامة ، جلد الجوارح ، بصيرا بموضع أحراسه ، غير مصانع ولا مشفع للناس في التنحي الى الرفاهية والسعة ، وتقدم العسكر أو التأخر عنه ، فان ذلك مما يضعف الوالي ويوهنه ، لاستنامته الى من ولاه ذلك وأمنه به على جيشه •

واعلم أن مواضع الاحراس من موضعك ، ومكانها من جندك ، بحيث الفناء عنهم ، والرد عليهم ، والحفظ لهم ، والكلاءة لمن بغتهم طارقا ، وأرادهم مخاتلا (••••) تم تقدم في طلائعك ، فانها أول مكيدتك ، ورأس حربك ، ودعامة أمرك ، فانتخب لها من كل قادة وصحابة ، رجالا ذوي نجدة وبأس ، وصرامة وخبرة ، حماة كفاة ، قد صلوا بالحرب وتذاوقوا سجالها ، وشربوا من مرارة كؤوسها ، وتجرعوا خصص درتها ،

---

(١) الازل : الضيق والشدة •

(٢) الزبن : الدفع •

وربتهم بتكرارهم ، وحملتهم على أصعب مراكبها (٠٠٠٠) ٠ وخذهم من السلاح بأبدان الدروع ، ماذية الحديد ، شاكة النسج ، متقاربة الحلق ، متلاحمة المسامير وأسوق الحديد ، مموهة الركب ، محكمة الطبع ، خفيفة الصوغ ، وسواعد طبعها هندي ، وصوغها فارسي ، رقاق المعاطف ، بأكف وافية ، وعمل محكم ، ويلق البيض [١] ، مذهبة ومجردة ، فارسية الصوغ ، خالصة الجوهر ، سابغة الملبس ، واقية الجنن ، مستديرة الطبع ، مبهمة السرد ، وافية الوزن (٠٠٠٠) ٠ معهم السيوف الهندية ، وذكور البيض اليمانية [٢] ، رقاق الشفرات ، مسمومة الشحذ ، غير كليلة الحد ، مشطبة الضرائب ، معتدلة الجواهر ، صافية الصفائح ، لم يدخلها وهن الطبع ، ولا عابها أمت الصوغ ، ولا شانها خفة الوزن ، ولا قدح حاملها بهور الثقل ٠ قد أشرعوا لدن القنا [٣] ، طوال الهوادي ، زرق الاسنة ، مستوية الثعالب [٤] ، وميضها متوقد ، وشحذها متلهب ، معاقص عقدها منحوتة ، ووصم أودها مقوم ، وأجناسها مختلفة ، وكعوبها جعدة ، وعقدها حبكة ، شطبة الاسنان ، محكمة الجلاء ، مموهةالاطراف ، مستمدةالجنبات، دقاق الاطراف ، ليس فيها التواء أود ، ولا أمت وصم ، ولا بها مسقط عيب ، ولا عنها وقوع أمنية ٠ (وليكونوا) مستحقبي كنائن النبل ، وقسي الشوحط والنبع [٥] ، أعرابية التعقيب ، رومية النصول ، فانها أبلغ في الغاية ، وأنقذ في الدروع ، وأشك في الحديد ، ساقطين حقائبهم على متون خيولهم ، مستخفين من الآلة والامتعة والزاد الا ما لا غناء بهم عنه ٠ واعلم أن الطلائع عيون وحصون للمسلمين ، وهم أول مكيدتك ، وعروة أمرك ،

---

(١) أي الخوذ البيضاء ٠

(٢) البيض اليمانية : نوع من السيوف العربية ٠

(٣) أي الرماح المثنية ٠

(٤) الثعلب : طرف الرمح الداخل في السنان (أنظر الفصل السادس من كتابنا هذا) ٠

(٥) النبع والشوحط : شجران تصنع من أغصانه الاقواس ٠

وزمام حربك ، فليكن اعتناؤك بهم ، بحيث هم من مهم عملك ، ومكيدة حربك . ثم انتخب للولاية عليهم رجلا بعيد الصوت ، مشهور الفضل ، نبيه الذكر ، له في العـدو وقعـات معروفات ، وأيـام طـوال ، وصولات متقدمات ، قد عرفت نكايته ، وحـذرت شـوكته ، وهيب صوته ، وتنكب لقاؤه ، أمين السريرة ، ناصح الجيب ، قد بلوت منه ما يسكنك الى ناحيته ، من لين الطاعة ، وخالص المودة ، ونكاية الصرامة ، وغلوب الشـهامة ، واستجماع القوة ، وحصافة التدبير . ثم تقدم اليه في حسن سياستهم ، واستنزال طاعتهم ، واجتلاب موداتهم ، واستعذاب ضمائرهم ، وأجر عليهم أرزاقا تسعهم ، وتحد من أطماعهم ، سوى أرزاقهم في العامة ، وفي ذلك من القوة لك عليهم ، والاستنامة الى ما قبلهم (.....) .

ول دراجة عسكرك واخراج أهله الى مصافهم ومراكزهم رجلا من أهل بيوتات الشرف ، محمود الخبرة ، معروف النجدة ، ذا سن وتجربة، لين الطاعة ، قديم النصيحة ، مأمون السريرة ، (....) واضمم اليه عدة من ثقات جندك ، يكونون شرطة معه . ثم تقدم اليه في اخراج المصاف ، واقامة الاحراس ، واذكاء العيون ، وحفظ الاطراف ، وشـدة الحذر . ومره فليضع القواد بأنفسهم مع أصحابهم في مصافهم ، كـل قائـد بازاء موضعه ، وحيث منزله ، قد شـد مـا بينه وبين صاحبه بالرماح شارعة ، والتراس موضونة [1] ، والرجال راصدة ، ذاكيةالاحراس ، وجلة الروع ، خائفة طوارق العدو وبياته . ثم مره أن يخرج كل ليلة قائدا من أصحابه، أو عدة منهم ان كانوا كثيرا ، على غلوة أو غلوتين من عسكرك ، محيطا بمنزلك اذاكية احراسه ، قلقة التردد ، مفرطة الحذر ، معـدة للروعة ، متأهبة للقتال ، آخذة على أطراف العسكر ونواحيه ، متفرقين في اختلافهم كردوسا كردوسا ، يستقبل بعضهم بعضا في الاختلاف (....) . فوض

---

(١) أي منضودة .

الى أمراء جندك وقواد خيلك أمـور أصحابهم ، والاخـذ على أيديهم ، رياضة منك لهم على السمع والطاعة لامرائهم ، والاتباع لامرهم ، والوقوف عند نهيهم • وتقدم الى أمراء الاجناد في النوائب التي ألزمتهم اياها ، والاعمال التي استنجدتهم لها ، والاسلحة والكراع التي كتبتها عليهم • واحـذر اعتلال أحد من قوادك عليك بما يحول بينك وبين تأديب جندك وتقويمهم لطاعتك ، وقمعهم عن الاخلال بمراكزهم لشيء مما وكلوا به من أعمالهم فان ذلك مفسدة للجند ، مفثأة للقواد عن الجد والايثـار للمناصحة ، والتقدم في الاحكام • واعلم أن استخفافهم بقوادهم ، وتضييعهم أمـر رؤسائهم ، دخولا للضياع على أعمالك ، واستخفافا بأمرك الذي يأتمرون به ، ورأيك الذي ترتأي • وأوعز الى القواد أن لا يقدم أحد منهم عـلى عقوبة أحدمن أصحابه الا عقوبة تأديب ، وتقويم ميل ، وتثقيف أود (••••) فانظر في ذلك نظرا محكما ، وتقدم فيـه برفقك تقدما بليغا • واياك أن يدخل حزمك وهن ، أو يشوب عزمك ايثار ، أو يخلط رأيك ضياع (••••) •

واذا كنت من عدوك على مسافة دانية ، وسنن لقاء مختصر ، وكان من عسكرك مقتربا ، قد شامت طلائعك مقدمات ضلالته ، وحماة فتنته ، فتأهب أهبة المناجزة ، وأعد اعداد الحذر ، وكتب خيولك ، وعب جنودك، واياك والمسير الا مقدمة وميمنة وميسرة وساقة [1] ، وقد شهروا الاسلحة ، ونشروا البنود والاعلام ، وعرف جندك مراكزهم سائرين تحت ألويتهم ، قد أخذوا أهبة القتال ، واستعدوا للقاء ، ملتجئين الى مواقفهم ، عارفين بمواضعهم في مسيرهم ومعسكرهم • وليكن ترحلهم وتنزلهم على راياتهم وأعلامهم ومراكزهم ، قد عرف كل قائد منهم أصحابه مواقعهم ، من الميمنة

---

(١) كانت التعبئة السائدة في ذلك الوقت هي « الخميس » الذي يضم : مقدمة ، وساقة (مؤخرة) ، وميمنة ، وميسرة ، وقلب ، وينصح الكاتب هنا باتباع هذه التعبئـة دون غـيرها •

والميسرة والقلب والساقة والطليعة ، لأزمين لها ، غير مخلين بما استنجدتهم له ، ولا متهاونين بما أهبت بهم اليه ، حتى تكون عساكرهم من منهل تصل انيه ، ومسافة تختارها كأنه عسكر واحد في اجتماعها على العدو ، وأخذها بالحزم ، ومسيرها على راياتها ، ونزولها على مراكزها ، ومعرفتها بمواضعها ، ان أضلت دابـة موضعها عـرف أهـل العسكر من أي المراكز هي ومن صاحبها ، وفي أي المحل حلوله منها ، فردت اليـه هداية معروفة بسمت صاحب قيادتها ، فان تقدمك في ذلك واحكامك له ، طارح من جندك مؤونة الطلب ، وعناء المعرفة وابتغاء الضالة • ثم اجعل على ساقتك أوثق أهـل عسكرك في نفسك صرامة ونفاذا ، ورضى في العـامة وانصافا من نفسه للرعية ، وأخذا بالحق في المعدلة ، مستشعرا تقوى الله وطاعته ، آخـذا بهديك وأدبك ، واقفا عند أمرك ونهيك ، معتزما على مناصحتك وتزيينك ، نظيرا لك في الحال ، وشبيها بك في الشرف ، وعديلا في الموضع ، ومقاربا في الصيت ، ثم اكثف معه الجمع ، وأيده بالقوة ، وقوه بالظهر ، وأعنه بالاموال ، واعمده بالسلاح ، ومره بالعطف على ذوي الضعف من جندك ، ومن أزخفت بـه دابته ، وأصابته نكبـة أو رجلة أو آفة من غير أن تأذن لاحد منهم في التنحي عن عسكره ، أو التخلف بعد ترجله ، الا لمجهود سقما أو لمطروق بآفة جائحة • ثـم تقدم اليه محذرا ، ومره زاجرا ، وانهه مغلظا بالشدة على من مر به منصرفا عن معسكرك من جندك بغـير جوازك ، شادا لهم أسرا ، وموقرهم حديدا ، ومعاقبهم موجعا ، وموجههم اليك ، فتنهكهم عقوبة ، وتجعلهم لغيرهم من جندك عظة (••••) • اجعل خلف ساقتك رجلا من وجوه قوادك ، جليدا ماضيا عفيفا صارما ، شـهم الرأي ، شديد الحذر ، شكيم القوة ، غير مداهن في عقوبة ، ولا مهين في قوة ، في خمسين فارسا من خيلك ، يحشر اليك جندك ، ويلحق بك من

تخلف عنك [1] ، بعد الأبلاغ في عقوبتهم ، والنهك لهم ، والتنكيل بهم (٠٠٠٠) • وحذره عقوبتك اياه في الترخيص لاحد ، والمحاباة لذي قرابة، والاختصاص بذلك لذي أثره أو هوادة ، وليكن فرسانه منتخبين في القوة، معروفين بالنجدة ، عليهم سوابغ الدروع ، دونها شعار الحشو ، وجبب الاستجنان ، متقلدين سيوفهم ، سامطين كنائنهم (٠٠٠٠) •

وليكن رحيلك ابانا واحدا ، ووقتا معلوما ، لتخف المؤونة بذلك على جندك ، ويعلموا أوان رحيلك ، فيقوموا فيما يريدون من معالجة أطعمتهم، وأعلاف دوابهم ، وتسكن أفئدتهم الى الوقت الذي وقفوا عليه ، ويطمئن ذوو الحاجات الى أبان الرحيل • ومتى يكون رحيلك مختلفا تعظم المؤونة عليك وعلى جندك ، ويخلوا بمراكزهم ، ولا يزال ذوو السفه والنزق يترحلون بالارجاف ، وينزلون بالتوهم ، حتى لا ينتفع ذو رأي بنوم ولا طمأنينة • اياك أن تنادي برحيل من منزل تكون فيه حتى تأمر صاحب تعبئتك بالوقوف بأصحابه على معسكرك ، آخذا بفوهة جنبتيه بأسلحتهم ، عدة لامر ان حضر ، أو مفاجأة من طليعة للعدو ان رأت منكم نهزة(٠٠٠٠)•

فاذا انتهيت الى منهل أردت نزوله ، أو هممت بالمعسكر به ، فاياك ونزوله الا بعد العلم بأهله ، والمعرفة بمرافقه • ومر صاحب طليعتك أن يعرف لك أحواله ، ويسبر علم دفينه ، ويستبطن علم أموره ، ثم ينهيها اليك على ما صارت اليه ، لتعلم كيف احتماله لعسكرك (٠٠٠٠) فانك ان لم تفعل ذلك لم تأمن أن تهجم على منزل ، ويزعجك منه ضيق مكانه ، وقلة مياهه ، وانقطاع مواده ، فان ارتحلت ان أردت بعدوك مكيدة ، أو احتجت من أمورهم الى مطاولة ، فان ارتحلت منه كنت غرضا لعدوك ، ولم تجد الى المحاربة والاخطار سبيلا • وان أقمت به أقمت على مشقة وحصر

---

(١) ما أشبه هذه المفرزة ، التي يوصي الكاتب بتشكيلها ، بمفارز الانضباط ، التي تشكل الان من أفراد الشرطة العسكرية ، وتسير خلف كل رتل لجمع المتخلفين عنه ، واعادتهم الى مكانهم في صفوفه •

(٠٠٠٠) فاذا أردت نزولا أمرت صاحب الخيل التي وكلت الناس ، فوقفت خيله منتحية من معسكرك ، عدة لامر ان غالك (٠٠٠٠) وتخرج دبابتك من معسكرك دراجة ودبابا ، محيطين بعسكرك ، وعدة لك ان احتجت اليهم • وليكن دباب جندك أهل جلد وقوة ، قائدا أو اثنين أو ثلاثة بأصحابهم في كل ليلة ويوم نوبا بينهم ، فاذا غربت الشمس ، ووجب نورها ، أخرج اليهم صاحب تعبئتك ابدالهم ، عسسا بالميل في أقرب من مواضع دبابي النهار ، يتعاور ذلك قوادك جميعا ، فلا محاباة لاحد منهم فيه ولا ادهان (٠٠٠٠) اياك أن يكون منزلك الا في خندق أو حصن تأمن به بيات عدوك ، وتستنيم فيه الى الحزم من مكيدة اذا وضعت الاثقال ، وخطت أبنية أهل العساكر ، لم يمدد خباء ، ولم ينصب بناء ، حتى يقطع لكل قائد ذرعا معلوما من الارض بقدر أصحابه ، فيحفروه عليهم خندقا ، يطيفونه بعد ذلك بخنادق الحسك ، طارحين لها دون أشجار الرماح ، ونصب الترسة ، لها بابان وقد وكلت بحفظ كل باب منهما رجلا من قوادك في مائة رجل من أصحابه ، فاذا فرغ من الخندق كان ذلك الرجلان القائدان بمن معهما من أصحابهما أهلا لذلك المركز ، وموضع تلك الخيل، وكانوا هم البوابين والاحراس لذينك الموضعين ، قد كفوهما وضبطوهما ، وأعفوا من أعمال المعسكر ومكروهة غيرهما •

واعلم أنك اذا كنت في خندق أمنت باذن الله طوارق عدوك وبغتاتهم، فاذا راموا ذلك منك كنت قد أحكمت ذلك وأخذت بالجد فيه ، وتقدمت في الاعداد له ، ورتقت مخوف الفتق منه (٠٠٠٠) •

اذا ابتليت ببيات عدوك ، أو طرقك رائعا في ليلك (٠٠٠٠) ألا يتكلم أحد منهم [1] رافعا صوته بالتكبير ، مغرقا في الاجلاب ، معلنا بالارهاب لاهل الناحية التي يقع بها العدو طارقا ، وليشرعوا رماحهم مادين لها في وجوههم،

---

(١) الضمير هنا يعود على جنود الجيش الصديق •

ويرشقونهم بالنبل ملبدين بترستهم ، لازمين لمراكزهم ، غير مزيلي قدم عن موضعها ، ولا منحـــازين الى غـــير مركزهم ، وليكبروا ثلاث تكبيرات متواليات ، وسائر الجند هادون ، لتعرف موضع عدوك من معسكرك ، فتمد أهل تلك الناحية بالرجال من أعوانك وشرطك ، ومن انتخبت قبل ذلك عدة للشدائد بحضرتك ، وتدس اليهم النشاب والرماح .

واياك أن يشهروا سيفا يتجالدون به [1] ، وتقدم اليهم أن لا يكون قتالهم بالليل في تلك المواضع لمن طرقهم الا بالرماح ، مسندين لهـــا الى صدورهم ، والنشاب راشقين به وجوههم ، قد ألبدوا بالترسة ، واستجنوا بالبيض ، وألقوا عليهم سوابغ الدروع ، وجباب الحشو . فان صد العدو عنهم حاملين على ناحية أخرى ، كبر أهل تلك الناحية الاولى وبقية العسكر سكوت ، والناحية التي صد عنها العدو لازمة لمراكزها ، ثم فعلت في تقويتهم وأمدادهم بمثل صنيعك باخوانهم . واياك أن تخمد نار رواقك ، واذا وقع العدو في معسكرك فأججها ساعرا لها ، وأوقدها حطبا جزلا ، يعرف بهـــا أهل المعسكر مكانك وموضع رواقك ، فيسكن نوافر قلوبهم ، ويقوى واهن قوتهم ، ويشد منخذل ظهورهم ، ولا يرجمون بك بالظنون ، ويجيلون لك آراء السوء . وذلك من فعلك رد عدول بغيظه ، لم يستقل منك ظفرا ، ولم يبلغ من نكايتك سرورا ان شاء الله .

فان انصرف عنك عدوك ، ونكل عن الاصابة من جندك ، وكان بخيلك قوة على طلبه ، أو كانت لك من فرسانك خيل معدة ، وكتيبة منتخبة ، وقدرت أن تركب بهم اكتافهم ، وتحمل على سننهم ، فاتبعهم جريدة خيل على الثقاة من فرسانك ، وأولي النجدة من حماتك ، فانك ترهق عدوك ، وقد أمن بيـــاتك ، وشـــغل بكلاله عن التحرز منك . والاخـــذ بأبواب معسكره . والضبط لمحارســـه عليك ، موهنـــة حماتهم ، لقبة [2] أبطالهم ، لما ألفوكم

---

(١) يتجالدون بالسيف : يتضاربون به .
(٢) أي تعبة الى درجة الاعياء .

عليه من التشمير والجد ، قد عقر الله فيهم ، وأصاب منهم ، وجـرح من مقاتلتهم ، وكسر من أماني ضلالتهم ، ورد من مستعلى جماحهم (٠٠٠٠٠٠) ثم ليشهروا السلاح ، وينتضوا السيوف فان لها هيبة رائعة ، وبديهة مخوفة ، لا يقوم لها في بهمة الليل وحندسه الاالبطل المحارب، وذو البصيرة المحامي ، والمستميت المقاتل ، وقليل ما عندهم تلك الحمية ، وفي ذلك الموضع ٠

ليكن أول ما تتقدم به في التهيؤ لعدوك ، والاستعداد للقائه ، انتخابك من فرسان عسكرك ، وحماة جندك ، ذوي البـأس والحنـكة ، والجلد والصرامة ممن قد اعتاد طراد الكماة ، وكشر عن ناجذه في الحرب ، وقام على ساق في منازلة الاقران (٠٠٠٠٠٠) ثم أعرضهم رأي عين على كراعهم وأسلحتهم ، ولتكن دوابهم اناث عتاق الخيول ، وأسلحتهم سوابغ الدروع ، وكمال آلة المحارب ، متقلدين سيوفهم المستخلصة من جيـد الجواهر ، وصافي الحديد ، المتخيرة من معادن الاجناس ، هندية الحديد ، يمانية الطبع، رقاق المضارب ، مسمومة الشحذ ، مشطبة الضريبة ، ملبدين بالترسـة الفارسية ، صينية التعقيب ، معلمة المقابض بحلق الحديد ، أنحاؤها مربعة ، ومخارزها بالتجليد مضاعفة ، ومحملها مستخف ، وكنائن النبل جعاب القسي قد استحقبوها ، وقسي الشريان [1] والنبع ، اعرابية الصنعة ، مختلفة الاجناس محكمة العمل ، ونصول النبل مسمومة ، وتركيبها عراقي ، وتريشـها بدوي [2] ، مختلفة الصوغ في الطبع ، شتى الاعمال في التشطيب والتجنيح والاستدارة ، ولتكن الفارسية مقلوبة المقابض ، منبسطة السية [3] ، سهلة الانعطاف ، مقربة الانحاء ، ممكنة الرمي ، واسعة الاسهم ، فرضها سهلة الورود ، ومعاطفها غير مقتربة المواتاة ٠ ثم ول على كل مائة رجل منهـم رجلا من أهل خاصتك وثقاتك ونصائحك ٠ وتقدم اليه في ضبطهم (٠٠٠٠)

---

(١) شجر يصنع منه خشب القسي (الاقواس) ٠
(٢) أي يوضع الريش فيها حسب الطريقة البدوية ٠
(٣) السية : طرف القوس ٠

واجعلهم عـدة لامـر ان فاجأك ، وطارق بيتك • ومرهم أن يكونوا على أهبة معدة ، وحذر ناف لسنة الغفلة عنهم ، فانك لا تدري أي الساعات من ليلك ونهارك تكون اليهم حاجتك • فليكونوا كرجل واحـد في التشمير والترادف ، وسرعة الاصابة ، فانك عسيت أن لا تجد عند جماعة جندك في مثل تلك الروعة والمباغتة ، ان احتجت الى ذلك منهم ، معونة كافية ولا أهبة معدة [١] ، بل ذلك كذلك ، فليكن هؤلاء القوم الذين تنتخب عدتك وقوتك، بعونا قد وظفتها على القواد الذين وليتهم أمورهم ، فسميت أولا وثانيا وثالثا ورابعا وخامسا ، الى عشرة ، فان اكتفيت فيما يبدهك ويطرقك ببعث واحد ، كان معدا ، لم تحتج فيه الى انتخابهم في ساعتهم تلك • وقطع البعث عليهم عندما يرهقك ، وان احتجت الى اثنين او ثلاثة وجهت منهـم ارادتك ، أو ما ترى قوتك ، ان شاء الله (••••••) •

وليكن في عسكرك المكبرون بالليل والنهار قبل المواقعة، وقوم موقوفون يحضونهم على القتال ، ويحرضونهم على عدوهم ، ويصفون لهم منـــازل الشهداء وثوابهم ، ويذكرونهم الجنة ودرجاتها ونعيم أهلها وسكانها ، ويقولون : اذكروا الله يذكركم ، واستنصروه ينصركم •

وان استطعت أن تكون أنت المباشر لتعبية جندك ، ووضعهم مواضعهم من راياتك ، ومعك رجال من ثقاة فرسانك ، ذوو سن وتجربة ونجدة على التعبئة التي أمير المؤمنين واصفها لك في آخر كتابه هذا ، فافعل ، ان شاءالله•

أيدك الله بالنصر ، وغلب لك على القوة ، وأعانك على الرشـــد ، وعصمك من الزيغ ، وأوجب لمن استشهد معك ثواب الشهداء ، ومنازل الاصفياء والسلام عليك ورحمة الله وبركاته •

وكتب سنة تسع وعشرين ومائة

---

(١) ما أشبه هذه الوحدة ، التي يصر الكاتب على وجوب الاحتفاظ بها جاهزة في الحروب، بسرايا الطوارىء في أيامنا هذه •

الملحق رقم ٢٠ : أهم المعارك

الرقم المتسلسل	اسم المعركة	تاريخها هجري	تاريخها ميلادي	مكان حدوثها
١	ذي قار		٥٨٤	في بادية الشام غرب شط العرب
٢	بدر	٢	٦٢٣	على بعد ١٦٠ كم من المدينة
٣	احـد	٣	٦٢٤	بين مكة والمدينة
٤	الخندق	٥	٦٢٦	حول المدينة
٥	مؤتة	٨	٦٢٩	جنوبي بلاد الشام
٦	تبوك	٩	٦٣٠	شمالي الحجاز
٧	اليرموك	١٣	٦٣٤	على ضفاف النهر المعروف بهذا الاسم
٨	القادسية	١٤	٦٣٥	على بعد ثلاث أميال عن مجرى الفرات الاوسط
٩	أجنادين	١٥	٦٣٦	في شمالي فلسطين
١٠	بابليون	٢٠	٦٤٠	شمالي مدينة القاهرة حاليا
١١	نهوند	٢١	٦٤١	شمالي ايران
١٢	ذات السـواري البحرية	٣٢	٦٥٢	في عرض البحر

أسماء قادتها	نتيجتها الوقتية	نتيجتها البعيدة
هاني بن مسعود من العرب وخنابزين والهامرز عن الفرس	انتصار العرب على الفرس وهو أول انتصار لهم عليهم	ارتفاع معنويات العرب
الرسول من المسلمين وأبو سفيان من قريش	انكسار المشركين	اول انتصار للمسلمين
الرسول وجماعة قريش	انكسار المسلمين	شعور المسلمين بالالم لمخالفتهم امر قائدهم ، وكان في ذلك درس عظيم لهم .
الرسول وأبو سفيان	فشل المشركين	ضعف الكفار وقوة المسلمين
زيد بن حارثة ضد الروم	انسحاب المسلمين	أول صدام حربي بين العرب والروم
الرســـول	لم يحدث اصطدام	تمهيد لحركة الفتح الاسلامي
خالد بن الوليد ضد ماهان الرومي	انتصـــار المسلمين	وقوع بلاد الشام بيد المسلمين
سعد بن أبي وقاص ضد رستم الفارسي	انتصـــار المسلمين	زوال ملك العائلة الساسانية
عمرو بن العاص ضد ارطبون قائد الروم	انتصـــار المسلمين	تصفية بقية جيوش الروم في بلاد الشام .
عمرو بن العاص مقابل « تيودور » قائد الروم	انتصـــار المسلمين	خضوع مصر للحكم الاسلامي
النعمان بن المقرن ضد يزدجرد الثالث	انتصـــار المسلمين	احتلال بلاد الفرس جميعها ، وانتشار الدين الاسلامي فيها
عبدالله بن سعد بن ابي سرح وقسطنطين بن هرقل عن الروم	انتصـــار المسلمين	أول نصر بحري للعرب مما شجعهم على ركوب البحار

ملحق رقم ٢٠ تابع :

الرقم المتسلسل	اسم المعركة	تاريخها هجري	ميلادي	مكان حدوثها
١٣	حصار القسطنطينية الاول	٤٨	٦٦٨	على مقربة من القسطنطينية
١٤	حصار القسطنطينية الثاني	٩٧	٧١٥	على مقربة من القسطنطينية
١٥	بلاط الشهداء	١١٤	٧٣٢	بين مدينتي تور وبواتييه في فرنسا
١٦	عمورية	٢٢٣	٨٣٧	في بلاد الاناضول قرب أنقرة
١٧	الرها الاولى	٤٩١	١٠٩٧	أورفة في بلاد الاناضول
١٨	انطاكية	٤٩٢	١٠٩٨	في الزواية الشمالية الغربية من بلاد الشام
١٩	القدس	٤٩٣	١٠٩٩	في فلسطين
٢٠	الرها الثانية	٥٤٤	١١٤٩	أورفة
٢١	حطين	٥٨٣	١١٨٧	شمالي فلسطين
٢٢	عين جالوت	٦٥٩	١٢٦٠	وسط فلسطين
٢٣	مرج الصفر	٨٠٣	١٤٠٠	جنوبي دمشق
٢٤	مرج دابق	٩٢٢	١٥١٦	شمالي حلب

أسماء قادتها	نتيجتها الوقتية	نتيجتها البعيدة
يزيد بن معاوية ضد امبراطور الروم	عدم قدرة المسلمين على فتح المدينة	تطلع المسلمين وطموحهم الى فتح هذه المدينة ، وحرص الامبراطورية البيزنطية على الدفاع عنها لان حياتها معلقة فيها .
مسلمة بن عبد الملك ضد امبراطور الروم	عدم قدرة المسلمين على فتح المدينة	
عبد الرحمن الغافقي وشارل مارتيل	انكسار المسلمين	انسحاب المسلمين نهائيا من غاليا (فرانسة) .
الخليفة المعتصم بالله ضد الامبراطور تيوفيل	تدمير المدينة وسقوطها بيد المسلمين	استنجاد الروم باوروبة والبابا
بودوان الصليبي ضد جيوش المسلمين والعرب	سقوط المدينة بيد الصليبيين	تأسيس دولة صليبية فيها تحت اسم « ايديسا »
بوهموند الصليبي ضد جيوش المسلمين والعرب	سقوط المدينة بيد الصليبيين	تأسيس دولة صليبية فيها
غودوفروا دوبويون الصليبي ضد جيوش العرب والمسلمين	سقوط المدينة بيد الصليبيين	تأسيس دولة صليبية فيها
عماد الدين زنكي ضد الصليبيين	استرجاع المدينة من قبل العرب المسلمين	كانت هذه المعركة بداية النهاية بالنسبة للصليبيين
صلاح الدين الايوبي ضد الصليبيين	سحق الصليبيين	نهاية الصليبيين وسقوط معاقلهم
الامير قطز المملوكي ضد جيوش هولاكو	انكسار التتر	ايقاف التيار التتري الاول وتراجعه
الامير فرج المملوكي ضد جيوش تيمورلنك	انكسار تيمورلنك	ايقاف التيار المغولي الثاني وتراجعه
السلطان سليم العثماني والسلطان قانصوه الغوري	انكسار المماليك	وقوع بلاد الشام تحت الحكم العثماني

ملحق خاص بالمخطوطات التي ألفها العرب الأقدمون في فنون الحرب وآدابها

لقد ابتدأ الكتاب والقادة العرب ، منذ أوائل القرن الثاني للهجرة ، بترجمة المخطوطات الهندية والفارسية التي تبحث في فنون الحرب ، وأشهر المخطوطات التي ترجمت في ذلك العصر :

١ ــ مخطوط « تعبية الحروب وآداب الاساورة وكيف كانت ملوك الفرس تولي الاربعة الثغور » ، مترجم عن الفارسية .

٢ ــ مخطوط « آداب الحروب وفتح الحصون والمدائن وتربيض الكمين وتوجيه الجواسيس والطلائع والسرايا ووضع المسالح » وقد ترجم عن مخطوط فارسي عمل للاردشير بن بابك ، والمترجم هو عبد الجبار بن عدي الذي قدمه للخليفة المنصور .

٣ ــ مخطوط باجهر الهندي في « فراسات السيوف ونعتها وصفاتها ورسومها وعلاماتها » .

٤ ــ مخطوط شاناق الهندي في « امر تدبير الحرب وما ينبغي للمليك أن يتخذ من الرجال »

٥ ــ مخطوط « الرمي » تأليف الملك الفارسي بهرام جور ــ مترجم عن الفارسية .

ومنذ بداية القرن الثالث للهجرة بدأ العرب بالتأليف في الاسلحة والتعبية وفنون الحرب وآدابها ، ولكن حركة الترجمة لم تنقطع أيضا ، خاصة وان هذا العصر كان عصر المأمون •

ثم توالت مؤلفات العرب في مختلف فنون الحرب ، منذ ذلك الوقت وحتى الفتح العثماني ، وقد زاد عدد المخطوطات التي كتبها العرب في هذا المجال ، وضمن هذه المدة ، عن الالف مخطوط • وسنكتفي هنا بذكر أهم وأشهر هذه المخطوطات مع أماكن وجودها :

١ ــ رسالة في « السيوف التي كانت عند العرب وأجناسها » ، وقد كتبها الفيلسوف الكندي في أوائل القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) وتوجد نسخة عن هذه المخطوطة في مكتبة متحت « ليدن » في هولندة تحت رقم Arab 287 ، كما وتوجد نسخة منها في مكتبة أيا صوفيا • وقد نشر البكباشي الدكتور عبد الرحمن زكي رسالة الكندي ، وعلق على محتوياتها ، في مجلة كلية الآداب ــ جامعة القاهرة ــ المجلد ١٤ ــ الجزء الثاني ــ ديسمبر ١٩٥٢ •

٢ ــ كتاب « الحيل » تأليف الهرثمي الشعراني ، الذي ألفه للخليفة المأمون ، وجعله في مقالتين :

ــ المقالة الاولى ثلاثة أجزاء : الجزء الاول في عدة فصول ، ثم الجزء الثاني في سبعة أبواب ، والجزء الثالث في ٢٤ بابا •

ــ والمقالة الثانية ست وثلاثون فصلا وخمسة وعشرون بابا •

٣ ــ « مختصر في سياسة الحروب » ، تأليف الهرثمي الشعراني أيضا ، يقع في ١١٤ صفحة ، وهو مصور في معهد احياء المخطوطات التابع للجامعة العربية تحت رقم ٨٤٤ •

٤ ــ « الجماهر في معرفة الجواهر » ، من تأليف البيروني ، ويعود تاريخه لاوائل القرن الحادي عشر للميلاد • وتوجد نسخة من هذا المخطوط في مكتبة « طوب قابوسراي » في استنبول تحت رقم ٢٠٤٧ ،

ونشره المستشرق فريتز كرانكو في مطبعة جمعية (دائرة المعارف العثمانية) .

٥ ـ « الفتح القسي في الفتح القدسي » تأليف الوزير عماد الدين ابن محمد بن حامد الاصفهاني المتوفي في دمشق سنة ٥٩٧ هـ ، ويبحث في فترة الحروب الصليبية ـ مطبوع .

٦ ـ « البرق الشامي في التاريخ » للمؤلف السابق ذكره ، وتوجد نسخة منه في متحف لينغراد بالاتحاد السوفييتي .

٧ ـ « تبصرة أرباب الالباب في كيفية النجاة من الحروب ومن الاسواء ونشر أعلام الاعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الاعداء » ، وهو من تأليف العلامة مرضى الطرسوسي . توجد منه نسخة في مكتبة « اكسفورد » تحت رقم ٢٦٤ ، كما وتوجد منه نسخة اضافية في مكتبة المتحف الحربي في القاهرة .

نشره وعلق عليه « كلود كاهين » في مجلة :
Bulletin d'Etudes Orientales - Tome X11 - Années 1947 - 1948.

٨ ـ « اللعب بالبندق » لابي عبد الله بن اسماعيل بن عبيد الله البغدادي المعروف بابن البقال معيد النظامية المتوفي سنة ٥٨٨ هـ .

٩ ـ « الحيل والحروب وآلات السلاح وحصار القلاع وصنعة الضرب بالسيف والرمي بالنشاب وعمل البارود » ، ويعود تاريخ هذا المخطط لسنة ٦٢٢ هـ ، وتوجد نسخة عنه في مكتبة «ليدن» تحت رقم ٩٢ .

١٠ ـ « التذكرة الهروية في الحيل الحربية » لابي الحسن علي بن محمد بن ابي بكر الهروي المتوفي سنة ٦١١ هـ . وتوجد نسخة عنه في دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٢٩٩ ، وهو مصور في معهد المخطوطات (الجامعة العربية) تحت رقم ٢١٠ .

١١ ـ « الجهاد والفروسية وفنون الآداب الحربية » ، تأليف طيبوغا الاشرفي البكلميشي سنة ٧٧٠ هـ . وهو كتاب يتألف من ٢١٤ صفحة ،

ويبحث في ركوب الخيل وأسلحة الفارس واللعب بالسـيف والرمح . توجد منه نسخة في دار الكتب المصرية .

١٢ ـ « بغية المرام وغاية الغرام في رمي السهام » للمؤلف السابق ذكره ، الذي عاش في عهد السلطان الملك « الاشرف » . وهي قصيدة نظمها صاحبها ٧٧٠ هـ وتوجد منها نسخة في مكتبة أحمد الثالث في استنبول ونسخة أخرى في ليدن . وهي مصورة في الجامعة العربية تحت رقم ٩٧٠ .

١٣ ـ « غنية الطلاب في معرفة الرمح والنشاب » للمؤلف السابق ذكره ، وتوجد نسخة منه في دار الكتب الوطنية في باريس ، ونسخة أخرى في دار الكتب المصرية .

١٤ ـ « تحفة المجاهدين في العمل بالميادين » ، ألفه الامير لاجين بن عبد الله الذهبي الحسامي الطرابلسي سنة ٧٣٨ هـ . توجد نسخة منه في متحف برلين ونسخة في مكتبة اوكسفورد ، وهو مصور في الجامعة العربية تحت رقم ٩٠٢ .

١٥ ـ « بغية القاصدين في العمل بالميادين » للمؤلف السابق ذكره ، توجد نسخة منه في مكتبة ليدن ـ هولاندة .

١٦ ـ « آثار الاول في تدبير الدول » ألفه الحسن بن عبد الله بن محمد سنة ٨[illegible] هـ ، وتوجد نسخة عنه في المتحف الحربي في القاهرة تحت رقم ٣٨٣ عربي . وهو مطبوع على هامش « تاريخ الخلفاء » للسيوطي ـ طبعة ١٣٠٥ هـ ، كما وطبع قبل ذلك في مصر سنة ١٢٥٩ هـ .

١٧ ـ «كشف الكروب في معرفة الحروب» ، ألفه عماد الدين موسى ابن محمداليوسفيالمصري سنة ٧٥٩ هـ وقدمه للملكالظاهر جقمق . وتوجد نسخة عنه في دار الكتب المصرية ، ونسخة أخرى في متحف القاهرة الحربي (رقم ١٠٦ عربي) .

١٨ ـ « الفروسية المحمدية » الذي ألفه الامام ابن قيم الجوزية سنة

٧٥٩ هـ وقد طبع في دار الكتب المصرية سنة ١٩٤١ م بعد أن حققه السيد عزت العطار الحسيني .

١٩ ـ « بيان الاستدلال على بطلان محتلي السباق والنضال » للمؤلف السابق ذكره .

٢٠ ـ « السر المخزون وجامع الفنون في امر الفروسية والحرب » ، للامير بدر الدين محمد بن بكتوت بن عبدالله الاشرفي المشهور بالرماح . نسخته في دار الكتب الوطنية في باريس تحت رقم ١١٢٨ .

٢١ ـ « كامل الصناعة في علم الفروسية والشجاعة » للمؤلف السابق ذكره . وتوجد نسخة منه في المتحف البريطاني .

٢٢ ـ « الاحكام الملوكية والضوابط الناموسية » الذي ألفه محمد ابن منكلي العلمي القاهري سنة ٧٧٨ هـ ، ويبحث في فن القتال . وتوجد منه نسخة في الخزانة التيمورية في القاهرة تحت رقم ٢٣ ، ونسخة أخرى في متحف القاهرة الحربي ، ونسخة ثالثة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٧٠٥ فنون حربية .

٢٣ ـ « فن الحرب » للمؤلف السابق ذكره ، وقد ألفه تلبية لرغبة السلطان الاشرف شعبان ، وهو يتحدث عن سياسة الصنائع الحربية ـ مجهول المكان ـ .

٢٤ ـ « انس الملا ووحش الفلا » للمؤلف السابق ذكره ، وتوجد نسخة عنه في دار الكتب الوطنية في باريس .

٢٥ ـ « التدبيرات السلطانية في سياسة صنائع الحربية » للمؤلف السابق ذكره . وتوجد نسخة عنه في خزانة أيا صوفية (في استنبول) تحت رقم ٨٢٥٦ ، ونسخة أخرى في لينغراد .

٢٦ ـ « الادلة الرسمية في التعابي الحربية » للمؤلف السابق ذكره ـ مجهول المكان ـ .

٢٧ ـ « الرسالة المرضية في صناعة الجندية » للمؤلف السابق ذكره ـ مجهول المكان ـ •

٢٨ « الاقوال الكافية في الفصول الشافيــة » تأليف علي بن داوود الرسولي ، في أواسط القرن الثامن للهجرة ، وتوجد منه نســـخة في المتحف البريطاني •

٢٩ ـ « الاجتهاد في طلب الجهاد » : رسالة كتبت للامير منجك ، من قبل عماد الدين اسـماعيل بن عمر المعروف بابن كثـير الحـــافظ الدمشقي ، المتوفي سنة ٧٤٤ هـ • وقد طبعت في القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ من قبل « جمعية النشر والتأليف الازهرية •

٣٠ ـ « رسالة في الرمي بالبندق » للمؤلف السابق ذكره • وتوجد من هذا المخطوط نسخة في الجامعة العربية تحت رقم ٧٧٤ •

٣١ ـ « جامع النواريخ » ، تأليف خوجة رشيد الدين ، ويعـود تاريخه للقرن الرابع عشر للميلاد وتوجد فيه الوثائق اللازمة لدراســة الملابس والسلاح في عصر المغول • وتوجد عدة مخطوطات منهذا الكتاب ، أحدها في مكتبة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن ، وآخر في مكتبة جامعــة أدنبرة ، واثنان في مكتبة « طوب قابو سراي » في استنبول •

٣٢ ـ « حلية الفرسان وشعار الشجعان ، تأليف عبد الرحمن بن هذيل الاندلسي ، حققه وعلق عليه محمد عبـد الغني حسن ، في الجـزء السادس من مجموعة ذخائر العرب ، طبع دار المعـــارف في القـــاهرة سنة ١٩٥١ •

٣٣ ـ « تحفة السلاطين في الجهاد » لابي عبد الله محمود بن محمد تاج الدين الوراق ، الذي ألفه في القرن الثامن للهجرة •

٣٤ ـ « سبيل الرشاد في فضل الجهاد » لابي جعفر احمد بن ابراهيم ابن الزبير بن محمد بن ابراهيـم بن الحسن الغرناطي ، القاضي المالكي المتوفي سنة ٧٠٨ هـ •

٣٥ ـ « غايـة المقصـود في العلم والعمل بالبنود » تأليف محمد بن لاجين الحسامي الطرابلسي • وتوجد نسخة عنه في دار الكتب الوطنيـة بباريس تحت رقم ٢٨٢٧ •

٣٦ ـ « معرفة علم رمي السهم » ـ لمؤلف مجهول ـ توجد نسخة منه في مكتبة المتحف الحربي في القاهرة •

٣٧ ـ « الانيق في المجانيق » تأليف أرنبوغا الزردكاش الذي قدمه للامير شمس العلاء منكلي سنة ٨٦٧ هـ • وهو كتـــاب يتألف من ١٠٩ صفحات وفيه حوالي خمسمائة رسم • وتوجد نسخة منه في دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وهو مصور في الجامعة العربية أيضا تحت رقم ٩٧٠ •

٣٨ ـ « رمي القوس » لمؤلف مجهول ، كتبه سنة ٨٠٠ هـ ، ويحوى على ١٣٦ صفحة • وتوجد منه نسخة في دار الكتب المصرية •

٣٩ ـ « خزانة السلاح » لمؤلف مجهول قدمه للسلطان محمد شاه ابن السلطان مظفر شـاه سنة ٨٤٠ هـ ، ويحوى (٤٢) صفحة • وتوجد نسخة منه في دار الكتب المصرية •

٤٠ ـ « نهاية السؤال والامنيـة في تعليم الفروسـية » الذي الف سنة ٨٠١ هـ • ومؤلف هـذا الكتـاب مجهول ، ولو ان بعض المؤرخين ينسبونه الى بكتوت الرماح ، خازندار الملك الظاهر ، والذي المعنا لاسمه فيما سبق • وقد اشتمل هذا الكتاب على باب تحدث فيه المؤلف عن فضل السيوف وأنواعها وسقاياتها ، وقال انـه اقتبس ذلك من رسالة الكندي • وتوجـد نسـخة من هـذا المخطوط في المتحف البريطاني تحت رقـــم Orient 2631 كما وتوجد نسخة عنه في دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦ فنون ، وهي تحتوي على عدة صور ملونة ولكنها ناقصة من أولها ، هذا بالاضافة الى نسخة أخرى في مكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٦٣٣٨ •

٤١ ـ « غرس الاقشاب في الرمي بالنشاب » ، تأليف جلال الدين

السيوطي سنة ٩١١ هـ ، وهذا المخطوط مصور في الجامعة العربيـة تحت رقم ١٠٥٦ ٠

٤٢ ـ « السماح في أخبـــار الرمـاح » للمؤلف السابق الذكر ـ مجهول المكان ٠

٤٣ ـ « الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب » لمؤلف مجهول يغلب على الظن أنه محمد بن منكلي الشمسي ٠ وتوجد من هذا المخطوط نسختان في خزانة « أياصوفية » تحت رقمي ٣٠٨٦ ـ ٣٠٨٧ ، ونسخة ثالثة في متحف ليدن تحت رقم ٤٩٩ ٠ وهو مصور في معهد احياء المخطوطات التابع للجامعة العربية تحت رقم ٦٧٢ ٠

٤٤ ـ « هداية الرامي الى الاغراض والمرامي » من تأليف الحسن السنجاري ٠ وهذا المخطوطمصور في الجامعةالعربية تحت رقم ف ١٠٥٦ ٠

٤٥ ـ كتاب « ثلاثـة مذاهب خاصة بالفروسية والرمي » ، ألفـه جمشار الخوارزمي٠ نسخته الاصلية في متحف لندن، وتوجد منه مخطوطة مصورة في مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٦٣٤٠ ٠

٤٦ ـ « الفروسية والمناصب الحربية » ، من تأليف حسن نجمالدين الرماح ، وتوجد نسخة منه في دار الكتب الوطنية في باريس تحت رقـــم ٢٨٢٥ ، كما أنه مصور في معهد المخطوطات ٠

٤٧ ـ « المغازي » لابن اسحاق المتوفي سنة ١٥١ هـ ، وتوجد نسخة منه في مكتبة كوبريلي في تركيا تحت رقم ١١٤٠ ٠

٤٨ ـ « التعلم والاعلام في رمي السهام » لعلي بن قاسم السعدي الحلبي ، وقد ألفه ليقدمه الى الامير برسباي الشركسي ٠

٤٩ ـ « الواضح في الرمي والنشاب » للطبري ، وتوجد نسخة منه في مكتبة الجامعة الازهرية تحت رقم ٧٢٧٥ ٠

٥٠ ـ « السلاح » للاصمعي ٠

٥١ ــ « الامنية في علم الفروسية » لعز الدين محمد بن أبي بكر بن جماعة ، المتوفي سنة ٨١٩ هـ •

٥٢ ــ « مرشد الاجناد في آلات الجهاد » ، للمؤلف السابق ذكره ، والذي ألف أيضا « أولى الاسباب في الرمي بالنشاب » •

٥٣ ــ « الارجوزة الحلبية » نظمها أبو بكر الحلبي المنقاري سنة ٩٢١ هـ ، وتوجد نسخة منها في متحف برلين •

٥٤ ــ « نظم التعبية » لمؤلف مجهول ــ وهذا المخطوط مصور في الجامعة العربية تحت رقم ٩٤٦ •

٥٥ ــ « توطئة المهاد في فضل الجهاد » تأليف نور الدين علي المكي ، وتوجد نسخة منه في مكتبة أياصوفيا •

٥٦ ــ « نسب الخيل في الجاهلية والاسلام » من تأليف ابن الكلبي وقد طبع هذا الكتاب في ليدن سنة ١٩٢٨ •

٥٧ ــ « أسماء الخيل وأسماء فرسانها » من تأليف الجواليقي وقد طبع هذا الكتاب في ليدن سنة ١٩٢٨ •

٥٨ ــ « المرايا المحرقة » من تأليف عطارد بن الحسيب ، وقد أشار لهذا المخطوط المؤلف مرضي الطرسوسي في مخطوطه «تبصرة أرباب الالباب•••»•

٥٩ ــ « ارشاد العباد الى الغزو والجهاد » تأليف الشيخ أحمد حافظ فخر الدين النقشبندي الموصلي ، وهو مخطوط يقع في (٢٥٠) صفحة •

٦٠ ــ « علم الآلات الحربية » تأليف ابن شاكر •

٦١ ــ « الافادة لاهل السعادة في علم الرمي بالنشاب » لعلي بن قاسم السعدي الحلبي • وتوجد منه نسخة في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٣ •

٦٢ ــ « القوس والترس » لابي زيد سعيد بن أوس الخزرجي •

٦٣ ـ « القوسية » رسالة من تأليف نظام الدين محمد بن اسحاق الاصبهـاني •

٦٤ ـ « كتاب السلاح » لابي دلف القاسم بن عيسى العجلي •

٦٥ ـ « كتاب الرمي » لابي بكر محمد بن خلف المتوفي سنة ٣٠٦هـ•

٦٦ ـ « أسـماء السـيف » للشـيخ محمـد بن الهروي المتوفي سنة ٤٣٣ هـ •

٦٧ ـ « السبق والنضال » لابي موسى سليمان بن محمد المعروف بالحامض النحوي ، والمتوفي سنة ٣٠٥ هـ •

٦٨ ـ « الاس في العمل بالسيف والترس » لمحمد بن علي الحموي•

٦٩ ـ « مشارع الاشواق الى مصارع العشاق » ، تأليف العلامـة أحمد بن ابراهيم الدمشقي • وقد لخصه الشيخ محمود العالم المتوفي في القاهرة سنة ١٣١١ هـ بكتابه : « فكاهة الاذواق من مشارع الاشواق » •
وتوجد نسخة من الكتاب الاصلي في المكتبة المصرية ، تحت رقم ٨٦ •

٧٠ ـ « العبرة في الغزو والشهادة والهجرة » للشيخ أبي الطيب صديق بن حسن القنوجي •

٧١ ـ « المستطرف في ثمرة الشجاعة والحروب وتدبيرها » للشيخ شهاب الدين الابشيهي •

٧٢ ـ « غرر الخصائص الواضحة في بيان الشجاعة وصفة الابطال وخيارها » للشيخ ابراهيم بن محي الوطواط •

٧٣ ـ « القوس » لابي عبيدة معمر بن المثنى البصري •

٧٤ ـ « كتاب السبق والرمي » لابن الجنيد محمد بن أحمد •

٧٥ ـ « كتاب القسي والسهام والنبال » لابي حاتم سهل بن محمد السجستاني •

٧٦ ـ « أحكام السبق والرمي » للشيخ تاج الدين أحمد بن عثمان التركماني الحنفي المتوفي سنة ٧٤٤ هـ •

٧٧ ـ « النهاية في الرماية » لحسن بن اليونيني •

٧٨ ـ « كتاب المجن » لابي العرف أحمد بن تمام التميمي الافريقي المتوفي سنة ٣٣٣ هـ •

٧٩ ـ « تحفة أولي الالباب في الرمي بالنشاب » للشيخ محمد بن أحمد الخلوتي •

٨٠ ـ « بلوغ المطلوب في فن القنبرة والطوب » للشيخ محمد حسين عطا زادة ، ألفه سنة ١٢٢٣ هـ • ونشرته مجلة « الشرق » في مجلدها الخامس ـ ص ٤٩ •

٨١ ـ كتاب أشار المستشرق كلود كاهين الى مؤلفه تحت اسم Hizam ، ونعتقد بأنه ابن حزام الذي ذكر اسمه ابن هذيل في كتابه « حلية الفرسان وشعار الشجعان » ـ ص ١٣٤ • والمخطوط المذكور موجود في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم ٢٨٢٤ •

٨٢ ـ « البنود في معرفة الفروسية » لنجم الدين حسن الرماح ، الذي ألمعنا لذكره سابقا • ويوجد من هذا الكتاب نسخة في دار الكتب المصرية •

٨٣ ـ « تفريج الكروب في تدبير الحروب » لابي عبد الله محمد ابن محمد الرشيدي • ومنه نسخة مصورة في معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية تحت رقم ٩٠٣ •

٨٤ ـ « الحراقات » لابي سعد العلاء بن سهل ، ونسخته في دار الكتب الوطنية في طهران •

٨٥ ـ « العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع » لابراهيم ابن أحمد غانم الاندلسي • ومنه مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم ٨٦ •

٨٦ ـ « مدخل في فن الفروسية والحيلة الحربية » : لم يذكر

مؤلفه . وقد ورد ذكر هذا الكتاب في دليل الكتب العربية الموجودة في فيينا .

٨٧ ـ « علم الفروسية وآلات الحرب » : لم يذكر مؤلفه . ومنه مخطوطة في الجامعة الازهرية تحت رقم ٧٢٦٠ .

٨٨ ـ « السعي المحمود في ترتيب العساكر والجنود » : لابن العنابي . وهو جد هام في تنظيم الجيوش وتعبئتها . ومنه نسخة في مكتبة الجامعة الازهرية برقم ٢٢٨٦٨ .

٨٩ ـ « رسالة في الجهاد وآداب الحرب » ـ مخطوطة في مكتبة الحجار ، في حلب .

٩٠ ـ « الاجتهاد في المهادنة والجهاد » لاحمد بن الغزالي الفاسي الاندلسي . ومنه مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٨٠٥ .

٩١ ـ « التساريح والتباطيل » ـ لمؤلف مجهول ـ توجد نسخة عنه في مكتبة الازهر برقم ٧٢٦٠ .

٩٢ ـ « النفحات المسكية في صناعة الفروسية » تأليف القاضي أحمد ابن محمد الحموي . وقد حققه وطبعه السيد « عبد الستار القرغولي » ـ نشر مكتبة « المثنى » في بغداد سنة ١٩٥١ .

٩٣ ـ « الفوائد في أصول البحر والقواعد » للبحار العربي الشهير أحمد بن ماجد .

٩٤ ـ « ارشاد العباد الى الغزو والجهاد » للشيخ الغازي أحمد فخر الدين الفيضي ـ طبع مصر ١٣٣٦ هـ .

٩٥ ـ كتاب « الفروسية » لبدر الدين الرماح الخازنداري . وتوجد نسخة عنه في مكتبة المتحف البريطاني في لندن .

٩٦ ـ « أشياء الجهاد وأدوات الصافنات الجياد » لابن خلف المصري •

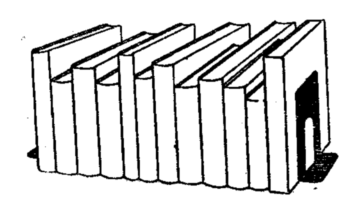
٩٧ ـ « تجنيد الاجناد وجهات الجهاد » لبدر الدين بن محمد بن ابراهيم الكناني الحموي •

٩٨ ـ « اسبال الذيل في ذكر جهاد الخيل » لنجم الدين بن خير الدين الرملي • توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٧ •

٩٩ ـ « فضل القوس العربية » تأليف مصطفى الشوربجي الفرحاتي في سنة ١١٤٠ هـ •

١٠٠ ـ « رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد » للامام محمد البخشي الحلبي المتوفي سنة ١٠٩٨ هـ •

ـ وهناك كتب أخرى ورد ذكرها في فهارس الكتب العربية ، ولكننا لم نتمكن من معرفة اسم مؤلفها أو مصيرها مثل : « العمل بالنار والنفط والزراقات في الحروب » ، و « الدبابات والمنجنيقات والحيل والمكايد وما اليها » ، و « مصباح الكلام في معرفة ضرب الحسام » ، و « المنهل العذب لورود أهل الحرب » ، و « القول التام في فضل الرمي بالسهام » ، و « الاشكال في الرمي بالنبال » •••• وغيرها كثير •





(حسب تسلسل الاشارة اليها)

آ ـ الكتب العربية القديمة :

١ ـ القــرآن الكريم .

٢ ـ « انسان العيون في سيرة الامين والمأمون » الشهير باسم « السيرة الحلبية » ، من تأليف علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي ـ طبعة بولاق سنة ١٢٩٢ هـ .

٣ ـ « الكامل » ، لابي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف باسم « ابن الاثير الجزري » ـ مطبعة محمد مصطفى في مصر سنة ١٣٠٣ هـ .

٤ ـ « صبح الاعشى » ، للشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي ـ طبع المطبعة الاميرية في القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ .

٥ ـ « تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الامة » ، للامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بن محمد السيوطي ـ طبع المطبعة الاميرية في مصر ، سنة ١٣٥١ هـ .

٦ ـ « الاحكام السلطانية » ، تأليف علي بن محمد بن حبيب البصري

البغدادي ، الشهير بأبي الحسن الماوردي ـ طبع مطبعة دار السعادة في مصر سنة ١٣٢٧ هـ .

٧ ـ « تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين » ، للشيخ الشرقاوي ـ مطبوع على هامش « فتوح الشام » للواقدي ـ مطبعة الجمهورية سنة ١٩٥٥ م .

٨ ـ « تاريخ الامم والملوك » ، لابي جعفر محمد بن جرير الطبري ـ المطبعة الحسينية المصريـة ـ على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب ـ ١٣٢٦ هـ .

٩ ـ « فتوح الشام » ، لابي عبد الله محمد بن عمر الواقدي ـ طبـع مطبعة الجمهورية سنة ١٩٥٥ م .

١٠ ـ « العقد الفريد » ، لابي عمر شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بابن عبد ربه الاندلسي ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

١١ ـ « فتوح البلدان » ، تأليف أبي العبـاس أحمـد بن يحي بن جابر البلاذري ـ مراجعة رضوان محمد رضوان ـ طبع المطبعة التجارية الكبرى في مصر .

١٢ ـ « خلاصة وفاء الوفاء » ، من تأليف السمهودي .

١٣ ـ « القاموس المحيط » ، للشيخ مجد الدين محمد بن ابراهيم بن عمر الشيرازي الفيروزبادي ـ المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٤٤ هـ .

١٤ ـ « حلية الفرسان وشعار الشجعان » ، تأليف علي بن عبد الرحمن ابن هذيل الاندلسي ـ نشره بطريقة (الفوتوتيب) المسيو لويس مرسييه ، قنصل فرنسة في المغرب ، سـنة ١٩٢٢ م . ثم طبعتـه ونشرته دار المعارف للطباعة والنشر في مصر سنة ١٩٥١ ، بعد أن حققه وعلق عليه محمد عبد الغني حسن .

١٥ ـ « النفحات المسكية في صناعة الفروسية » تأليف القاضي أحمد بن

محمد الحموي ـ تحقيق عبد الستار القرغولي ـ من مطبوعات مكتبة المثنى في بغداد سنة ١٩٥١ م ٠

١٦ ـ « صحيح البخاري » ، لمحمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة ـ طبعة بولاق سنة ١٣٠٤ هـ ٠

١٧ ـ كتاب « الروضتين في أخبار الدولتين » ، لشهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الشافعي ، المشهور بأبي شامة ـ مطبعة وادي النيل في مصر سنة ١٢٨٧ هـ ٠

١٨ ـ « آثار الاول في ترتيب الدول » ، للحسن بن عبد الله ـ طبعةبولاق٠

١٩ ـ « نهاية الأرب في فنون الأدب » ، لشهاب الدين أحمد النويري ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة سنة ١٩٣٣ م ٠

٢٠ ـ « المخصص » لابي الحسن علي بن اسماعيل المشهور باسم « ابن سيده » الاندلسي ـ طبع المطبعة الاميرية في مصر ـ ١٣١٦ هـ ٠

٢١ ـ « الفتح القسسي في الفتح القدسي » ، لابي عبد الله محمد بن محمد ، الشهير باسم عماد الدين الكاتب الاصفهاني ـ مطبعة الموسوعات في مصر ١٣٢١ هـ ٠

٢٢ ـ « امتاع الاسماع » ، لابي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي ـ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤١ م ٠

٢٣ ـ « فتوح الاسلام لبلاد العجم وخراسان » ، لابي عبد الله محمد ابن عمر الواقدي ٠

٢٤ ـ « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » ـ ابن شداد ٠

٢٥ ـ « التعريف بالمصطلح الشريف » ، تأليف شهاب الدين بن العباس العمري ، الذي ألفه سنة ١٣٤٩ م ٠

٢٦ ـ « تاريخ مصر » المشهور باسم « بدائع الزهور في وقائع الدهور » تأليف ابن أياسي الحنفي ـ المطبعة الكبرى الاميرية سنة ١٣١١ هـ ٠

٢٧ ـ « وفيات الاعيان » ، لابن خلكان ـ مصر سنة ١٣١٠ هـ .
٢٨ ـ « المقدمة » ، عبد الرحمن بن خلدون ـ طبعة المهدية سنة ١٣٤٨ هـ.
٢٩ ـ « تاريخ ابن مماتي » .
٣٠ ـ « تهذيب الالفاظ » لابن السكيت .
٣١ ـ « فقه اللغة » ، لابي منصور الثعالبي ـ المطبعة الرحمانية في مصر سنة ١٩٢٧ م .
٣٢ ـ « السلوك في معركة دول الملوك » لابي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي ـ تحقيق الدكتور مصطفى زيادة .
٣٣ ـ « الخراج » لابي يوسف ـ طبع مصر ١٣٠٢ هـ .
٣٤ ـ « السياسة الشرعية » لابن يتمية .
٣٥ ـ « تاريخ بيروت » ، لصالح بن يحي ـ تحقيق الاب لويس شيخو ـ المطبعة الكاثوليكية في بيروت ـ ١٩٢٧ م .
٣٦ ـ « معجم البلدان » ، لياقوت الحموي ـ طبعة أولى سنة ١٣٢٣ هـ .
٣٧ ـ « العجائب والظرف » ، ابن الرشيد .
٣٨ ـ « مطالع البدور في منازل السرور » ، لعلاء الدين الغزولي .
٣٩ ـ « رسائل الجاحظ » ، عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ .
٤٠ ـ « سراج الملوك » ، للطرطوشي .
٤١ ـ « السيرة النبوية » ، لمحمد بن هشام المتوفي سنة ٢١٨ هـ ـ طبعة مصر ١٣٤٨ هـ .
٤٢ ـ « الفهرست » ، لمحمد بن اسحاق النديم ـ القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ .
٤٣ ـ « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » ، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة ـ حلب سنة ١٩٤١ م .
٤٤ ـ « البيان والتبيين » ، لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٤٩ .

٤٥ ـ « الفروسية » لابي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ تحقيق السيد عزت العطار الحسيني ـ دار الكتب المصرية ١٩٤١ م ٠

* * *

ب ـ المخطوطات العربية :

١ ـ « تبصرة أرباب الالباب ٠٠٠٠٠٠» ـ مرضي الطرسوسي
٢ ـ « رسالة في السيوف وأجناسها » ـ الكندي
٣ ـ « مختصر في سياسة الحروب » ـ الهرثمي الشعراني
٤ ـ « جامع التواريخ » ـ خوجة رشيد الدين
٥ ـ « الادلة الرسمية في التعابي الحربية » ـ محمد بن منكلي العلمي

* * *

جـ ـ الكتب العربية الحديثة :

١ ـ « الفن الحربي في صدر الاسلام » ، تأليف عبد الرؤوف عون ـ مطبعة دار المعارف في مصر سنة ١٩٦١ م ٠
٢ ـ « الجندية في الدولة العباسية » ، تأليف الرئيس الاول الركن نعمان ثابت ـ مراجعة عبد الستار القرغولي وابراهيم أدهم الزهاوي ـ مطبعة بغداد (جديد حسن باشا) ـ ١٩٣٩ م (١٣٥٨ هـ) ٠
٣ ـ « تاريخ التمدن الاسلامي » ، من تأليف جرجي زيدان ـ مطبعة الهلال في الفجالة ـ مصر سنة ١٩١٤ م ٠
٤ ـ « السلام والحرب في الاسلام » ، للمقدم محمد فرج ـ طبع دار الفكر العربي سنة ١٩٦٠ ٠
٥ ـ « الحضارة الاسلامية » من تأليف أحمد زكي باشا ٠

٦ ــ « الافصاح في فقه اللغة » ، من تأليف عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى . مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٨ هـ .
٧ ــ « السلاح في الاسلام » للدكتور عبد الرحمن زكي ــ طبع دار المعارف في مصر ١٩٥١ م .
٨ ــ « الاعلام وشارات الملك في وادي النيل » للدكتور عبد الرحمن زكي ــ مطبعة دار المعارف بمصر ــ ١٩٤٨ م .
٩ ــ « شعر الحرب في أدب العرب » للدكتور زكي المحاسني .
١٠ ــ « معركة المنصورة وأثرها في الحروب الصليبية » ، للعقيد الدكتور عبد الرحمن زكي . مطبعة ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي التابعة لوزارة الحربية المصرية ــ القاهرة .
١١ ــ « الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية » تأليف أحمد بن زيني دحلان ــ طبع المطبعة الحسينية في مصر .
١٢ ــ « تاريخ الاسلام السياسي » ــ الدكتور حسن ابراهيم حسن ــ طبعة ١٩٣٥ م .
١٣ ــ « دائرة المعارف » ــ البستاني .
١٤ ــ « قصة الكفاح بين العرب والاستعمار » تأليف محمد سعيد العريان وجمال الدين الشيال . دار المعارف ١٩٦٠ م .
١٥ ــ « تاريخ عمرو بن العاص » تأليف حسن ابراهيم حسن ــ مطبعة المعارف ١٩٢٦ م .
١٦ ــ « تاريخ الاسطول العربي » ، لمحمد ياسين الحموي ــ مطبعة الترقي ــ دمشق ــ ١٩٤٥ م .
١٧ ــ « خطط الشام » ــ محمد كرد علي .
١٨ ــ « عبقرية الاسلام في أصول الحكم » للدكتور منير العجلاني ــ مطبعة النضال في دمشق .

١٩ ـ « المثنى بن حارثة » تأليف عبد الستار القرغولي •
٢٠ ـ « الفاروق عمر » ـ محمد حسين هيكل •
٢١ ـ « قادة الحرب العرب » المقدم السيد فرج ـ دار الفكر العربي ١٩٥٨ •
٢٢ ـ « ابو بكر الصديق » محمد رضا ـ
٢٣ ـ « التراتيب الادارية » لمحمد الحسني الادريسي الفاسي ـ طبعة فاس ١٣٤٦ هـ •
٢٤ ـ « رسائل البلغاء » لمحمد كرد علي ـ الطبعة الثالثة ـ القاهرة ١٩٤٦ م •
٢٥ ـ « نظم الحرب في الاسلام » ـ جمال الدين عياد ـ طبع الخانجي ـ ١٣٧٠ هـ •
٢٦ ـ « أبطال الفتح الاسلامي » ـ محمود نصير •
٢٧ ـ « النظم الاسلامية » ـ حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن •
٢٨ ـ « محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية » ـ الشيخ محمد الخضري ـ طبعة ١٣٧٠ هـ •
٢٩ ـ « جيش مصر في عهد صلاح الدين » ـ الدكتور نظير احسان سعداوي •
٣٠ ـ « ابطال الوحدة السورية ـ المصرية » المقدم مفلح علي ـ دمشق ١٩٥٨ •

★ ★ ★

د ـ الكتب المعربة :

١ ـ « أطلس التاريخ الاسلامي » ، تأليف هاري و • هازارد ، رسم

لستركوك و ج ٠ ماك سميلي ـ اصدار مؤسسة فرانكلين للطباعـة والنشر ٠

٢ ـ « فتح العرب لمصر » ، تأليف الفريد بتلر ـ ترجمة محمد فريد أبو حديد ـ ١٩٣٢ م

٣ ـ « مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي » تأليف سيد أمير علي ٠

٤ ـ « الامبراطورية البيزنطية » تأليف نورمان بيرنز ـ ترجمة الدكتور حسين مؤنس ويوسف زايد ـ طبعة مصر ١٩٥٠ م

٥ ـ « حضارة العرب » تأليف جوستاف لوبون ـ تعريب عادل زعيتر ١٩٤٥ م ٠

★ ★ ★

هـ ـ المجلات العربية :

١ ـ مجلة « العرب » ـ اصدار خالد ابي النصر ـ الاعداد ١ ـ ١٠

٢ ـ مجلة « المقتطف » ـ ج ٢ ـ مجلد ٩٨ ـ ص ٤٦١ ـ ٤٦٨ (مقال بقلم السيد جمال محمد محرز عن الرنوك) ٠

٣ ـ مجلة « كلية الآداب » التي تصدر عن كلية الآداب في جامعة القاهرة ـ الجزء الثاني ـ ديسمبر ١٩٥٢ (مقال حول رسالة الكنـــدي في السيوف كتبه المؤرخ الدكتور عبد الرحمن زكي) ٠

٤ ـ مجلة « المجمع العلمي العراقي » ـ المجلد ٢٠ ـ الجزء ١ ، ٢ (مقال بعنوان « الحسك في الحروب القديمة » بقلم السيد ميخائيل عواد) ٠

٥ ـ « المجلة التاريخية المصرية » ـ المجلد ٢ ـ العدد الاول ـ مايو ١٩٤٩ (مقال للدكتور ابراهيم أحمد العدوي بعنوان : « الحمام الزاجل في العصور الوسطى ») ٠

٦ ـ « المجلة العسكرية العراقية » ـ السنة الثانية ـ ج ١ ـ ص ٤٩ •

٧ ـ « المجلة العسكرية السورية » ـ أعداد متفرقة وعديدة ، وخاصة الاعداد : ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٧ ـ العدد الخامس من السنة ١١ ـ العدد السابع من السنة ١١

٨ ـ « مجلة الشرق » ـ المجلد الخامس ـ مقال « بلوغ المطلوب في فن القنبرة والطوب » •

٩ ـ « مجلة المعرفة » التي تصدر عن وزارة الثقافة والارشاد القومي السورية ـ عدد تشرين الثاني ١٩٦٤ •

١٠ ـ مجلة « حماة الوطن » التي تصدر عن وزارة الدفاع الكويتية ـ عدد تشرين الثاني ١٩٦٣ •

* * *

و ـ مراجع أخرى متفرقة :

١ ـ نشرات المتاحف العسكرية العالمية •

٢ ـ محاضرات المؤتمر الاخير للمتاحف العسكرية الذي عقد في فينا سنة ١٩٥٩ •

٣ ـ محاضرات جامعية وثقافية غير مطبوعة •

٤ ـ مراسلات مع عدة مكتبات ومتاحف عالمية •

٥ ـ زيارات للمتاحف الحربية العربية ، وصور ملتقطة لمعروضاتها •

* * *

ز ـ المراجع الفرنسية

1 — Supplément aux Dictionnaires Arabes - Dozy - Leide - 1881.

2 — Un Traité d'Armurerie Présenté à Saladin - Par : Claude Cahen - Bulletin d'Etudes Orientales - Tome XII - Années 1947 - 1948.

3 — Les Mémoires de jean de Joinville - Editions Natalis de Wailly - Paris - 1868.

4 — l'Art Militaire et les Armes au Moyen Age - Par : Ferdinand Lot - Tome II.

5 — Guide des Amateurs d'Armes et d'Armures Anciennes - Encyclopédie d'Armurerie - Paris - 1869.

6 — De l'Art Militaire Chez les Arabes au Moyen Age - Par : Maurice Reynaud - Journal Asiatique - 4 me Série - 1848.

7 — Lames Orientaux - Par : Hammer Burgstale - Journal Asiatique - 1854.

8 — Histoire des Croisades - René Grousset - 3 me Volume - Paris - 1934 - 1936.

9 — Les Ahabis et l'Organisation Militaire de la Mecque au Siécle de l'Hégire - Par : Jean Maspero - Journal Asiatique - 1961.

10 — Dictionnaire du Coutume et de ses Accessoires, des Armes et des Etoffes dès Origines à nos Jours - Par : Maurice Loloir - Librairie Grund - Paris.

★ ★ ★

ح - المراجـــع الانكليزيـــة

1 — The Sword in Islamic Art - By : D r A. Rahman Zaki - University of Baghdad.

2 — Damascene Steel - By : N. Belatiev - Journal of the Iron and Steel Institute - 1918.

3 — A History of the Art of War in the Middle Ages - By : D r Oman - 1898.

4 — Orient Under the Caliphs - By : D r Von Kremer - Translated by Khuda Bukch - Calcutta - 1920.

5 — Notes on some Old Arms and Instruments of War, Chiefly Among the Arabs - By : E. Rehatsek.

6 — Saracenic Arms and Armours - By : L. A. Mayer - Ars Islamica.

7 — Brief Guide to the Arms and Armour - By : G. Mann - Wallace Collection.

8 — A Glossery of Construction, Decoration and the Use of Arms and Armours - By : G. S. Stone.

9 — Oriental Arm and Armour - Bulletin of Metropolitain Museum of Art - Feb. 1947.

10 — Weapons and Tactics From the Siege of Troy to the Siege of Stalingrad - By : Tom Wintringham.



فهرس المصطلحات العسكرية

الـواردة في الكتـــاب (١)

أ

---

(١) نعني بالمصطلحات العسكرية الكلمات الفنية الخاصة بأسماء الاسلحة والصنوف والتشكيلات العسكرية في السلم والحرب والرتب ٠ وقد نظمنا هذا الفهرس عوضا عن فهرس الاعلام الذي يذيل الكتب التاريخية عادة ٠

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

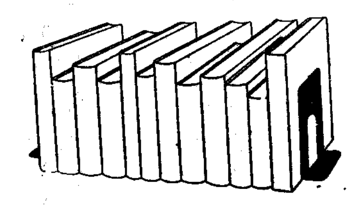
فهارس الكتاب

آ ـ فهرس البحوث :

ب ـ فهرس الملاحق :

ج ـ فهرس الرسوم :

د ـ فهرس المخططات :



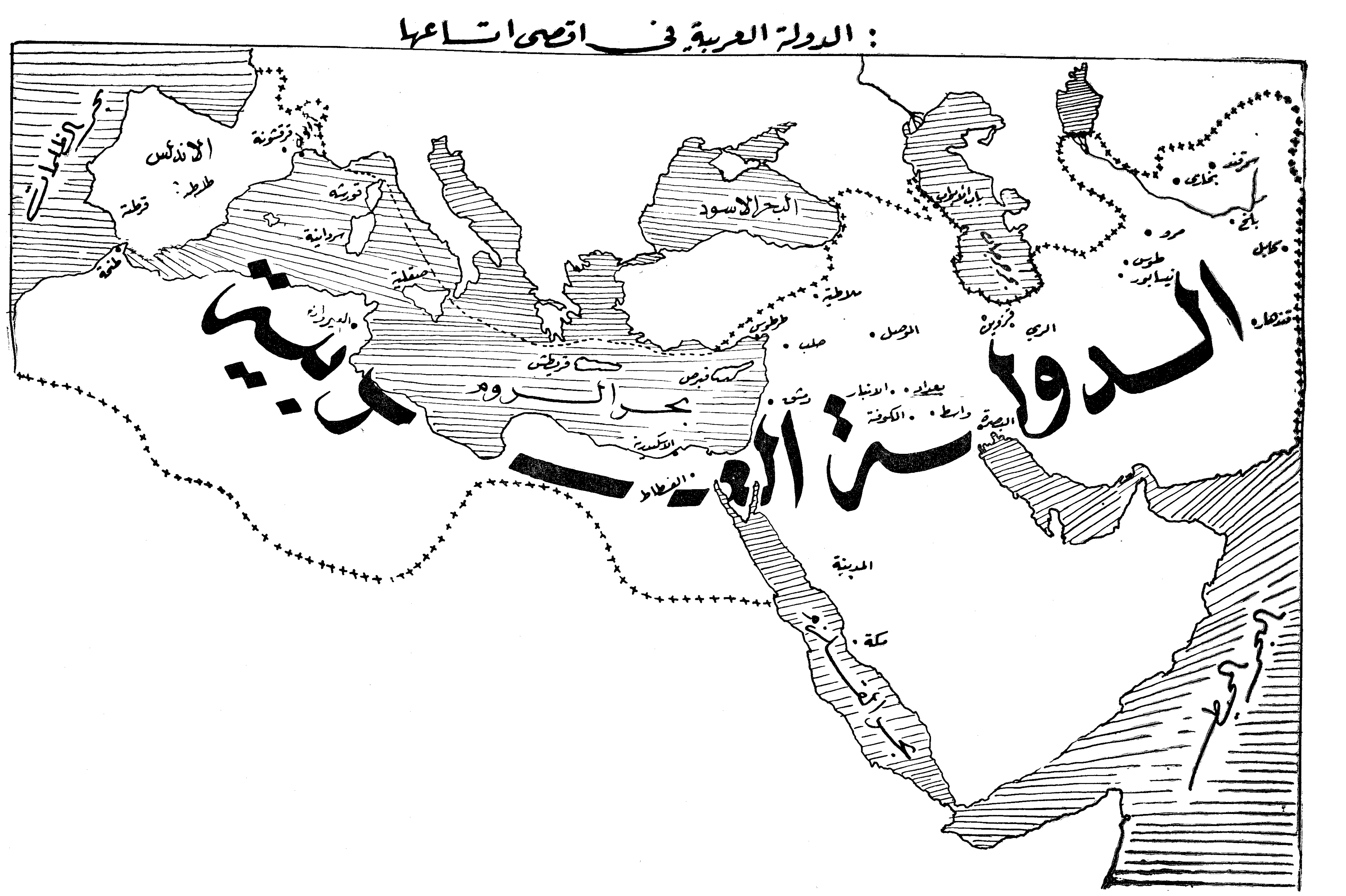
جدول الخطأ والصواب

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
١٣	الحاشية	اشتراكوا	اشتركوا
١٥	١٨	لعرب	العرب
١٧	١	وان	وبأن
١٨	١	أليمينة	اليمنية
١٩	١	للملكة	للمملكة
٢١	٩	(٣)	(٢)
٢١	الحاشية	ألفا .	ألفا ،
٢٢	الحاشية	مرضي	مرضى
٢٥	١١	م ٥	م ، ٥
٢٦	الحاشية	الراقدي	الواقدي
٢٧	٥	(٤)	(١)
٣٠	الحاشية	الأقفال	الأنفال
٣٢	١٣	اصابته	اصابة
٣٣	الحاشية	الأثقال	الأنفال
٣٥	الحاشية	الأقفال	الأنفال
٣٩	الحاشية	البلادزي	البلاذري
٤٣	١٦	صاحب	صاحبا
٥٠	١٢	لفترة	الفترة
٨١	١٥	(٢)	(٣)
٨٢	١	أن	ان
٨٣	١٢	بن	ابن
٨٣	١٥	تتخذ	تتخذه
٩٢	٣	لمصنوعة	المصنوعة
٩٦	٨	المعلقة	الحلقة
٩٨	١٥	الشريح	الشريحية
١٠١	٢١	اللقوس	للسهم

تابع جدول الخطأ والصواب

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطــأ	الصــواب
١١٥	٧	يحاذى	يحاذي
١٢١	الحاشية	Auec	Avec
١٢٩	الحاشية	Tame	Tome
١٣٨	١٢	جراب	جرار
١٣٩	٣	الجاهلين	الجاهليين
١٥١	١٨	وأرجلهم	وأرجلها
١٥٣	٤و٥	كان	كأن
١٧٤	٧	ونبت	وثبت
١٧٤	٨	الماء	الدماء
١٨٦	٨	مرماة	مرمات
٢٠٥	١٦	التمسك	بالتمسك
٢٣٣	شرح الشكل	فهرسة	فهرس
٢٥٦	الحاشية	النغمات	النفحات
٣١٤	١١	السطر كله	زيادة
٣١٧	١٤	السطر كله	زيادة
٣٢٩	٩	اضطراب	اضطرب
٣٤٨	١٥	وصدقك الخبر	تحذف هاتان الكلمتان
٣٥١	١٨	وأنقذ	وأنفذ
٣٦٠	١٢	ثلاث	ثلاثة

تم طبع الكتــاب ، بعون الله ، بمطــابع الجمهورية في دمشق
وذلك في الشهر الأخير من عــام ١٩٦٤ م ٠



: الدولة العربية في اقصى اتساعها